

دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي (KPT)

جامعة المدينة العالمية

كلية اللغات – قسم اللغة العربية

التوجيه اللغوي لُصوص القرآن الكريم

عند الشيعة الاثني عشرية من خلال تفسير الطبرسي

دراسة لغوية وصفية نقدية

بحث مقدّم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية

إعداد الطالبة:

ندى عبد الله الضاهر

**PAR123AX982**

إشراف

الأستاذ المساعد الدكتور/حسين البسومي

قسم اللغة العربية – كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية

١٤٣٥-٢٠١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



**CERTIFICATION OF DISSERTATION WORK PAGE :** صفحة التحكيم

تم إقرار بحث الطالبة: .....

من الآتية أسماؤهم:

The thesis of ..... has been approved by the following:

المشرف على الرسالة Supervisor Academic

الأستاذ المساعد الدكتور/حسين البسومي



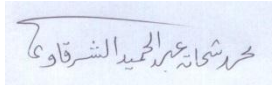
المشرف على التصحيح Supervisor of correction

الأستاذ المشارك الدكتور داود عبد القادر إيليغا



رئيس القسم Head of Department

الأستاذ المساعد الدكتور محمد عبد الحميد الشرقاوي



عميد الكلية Dean, of the Faculty

الأستاذ المشارك الدكتور داود عبد القادر إيليغا



قسم الإدارة العلمية والتخرج Academic Managements & Graduation Dept

Deanship of Postgraduate Studies عمادة الدراسات العليا

## إقرار

أقررتُ بأنّ هذا البحث من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، والنقل والاقتباس من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوعه.

اسم الطالبة : \_\_\_\_\_.

التوقيع : \_\_\_\_\_

التاريخ : \_\_\_\_\_

## DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is result of my own investigation, except where otherwise stated.

. -----Name of student:

Signature: -----

Date: -----

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٤ © محفوظة

ندى عبدالله الزاهر

التوجيه اللغوي لنصوص القرآن الكريم

عند الشيعة الاثني عشرية من خلال تفسير الطبرسي

دراسة لغوية وصفية نقدية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن

مكتوب موقع من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١- يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.

٢- يحق لجامعة المدينة العالمية ماليزيا الاستفادة من هذا البحث بمختلف الطرق وذلك

لأغراض تعليمية، لا لأغراض تجارية أو تسويقية.

٣- يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور؛

إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكدت هذا الإقرار:-----.

التاريخ:-----

التوقيع:-----

## الملخص

إنَّ المرجعيَّاتِ والمعتقداتِ الَّتِي تؤمَّنُ بِهَا الفِرَقُ على اختلافِ مَشارِبِهِم وتَمسَّكُ بِهَا؛ دَفَعَتْهُم إلى توجيهِ نُصوصِ القرآنِ الكريمِ بما يتناسبُ مع مرجعياتهم ومعتقداتهم. وهذا التوجيهُ أَظْهَرَ مَا يَكُونُ عندَ المفسِّرينَ من هذه الفِرَقِ، ومن هذه الفرقِ الشَّيعةُ الاثنا عشرية، وهي فرقة اتخذت لنفسها أصولاً وفروعاً في عقيدتها شابحت أو فارقت فيها الجماعة وغيرها من الفرق، ممَّا أدَّى إلى اختلاف توجيههم لنصوص القرآن الكريم، وعليه يهدف هذا البحث إلى دراسة التوجيهات اللغوية لنصوص القرآن الكريم عند هذه الفرقة؛ وذلك من حيث التَّعرُّف على مدى تأثرهم في توجيهاتهم اللغوية الصِّرفية والنَّحوية والدَّلالية لنصوص القرآن الكريم بعقيدتهم الأصولية والفرعية، حيث سار البحث على المنهج الوصفي التحليلي لمناسبتة طبيعة هذا البحث، كما أولى البحث اهتماماً خاصاً بالجانب التقدي؛ وذلك بمناقشة ومراجعة آرائهم وتوجيهاتهم للنصوص. ومن النتائج الَّتِي توصلت إليها الباحثة أَنَّ الشيعة الاثني عشرية هم يتأثرون كثيراً في توجيهاتهم الصِّرفية والنَّحوية والدَّلالية بمعتقداتهم تأثيراً شديداً، وذلك من واقع النماذج الَّتِي تمَّ الوقوف عليها، كما ورد في توجيههم الصِّرفي نفي الاستماع عن الله تعالى؛ وذلك في الآيات ذات صلة؛ بحجتهم أَنَّ الاستماع هو طلب الإصغاء؛ وهذا لا يجوز على الله سبحانه وتعالى، وكتوجيههم النَّحوي مثل رأيهم بأنَّ الرؤيا تعني العلم؛ لأنَّها تعدَّت إلى مفعول واحد، وكذلك توجيههم الدَّلالي، كحصرهم دلالة أهل البيت بأصحاب الكساء، (محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً، دون نساء النَّبي وبناته وأقاربه، لعلاقة ذلك بالإمامة عندهم، أو كتوجيههم النَّصوص المتعلقة بالغيب بأنَّه غيبة المهدي المنتظر.

## Summary

Convictions and Beliefs which other different doctrines have believed and insisted pushed them to explain Quran verses as per their convictions and beliefs. It is so clear in interpreters texts who following those doctrines. One of these doctrines is The Twelve Imams of Twelver Shiites. It is a religious denomination that operates under a common name, tradition, and identity whether similar or different from others. Consequently, they interpret Quran texts as per their convictions. Therefore, this research aims at studying Shiite interpretations of the Quran. The Shiites interpret many passages in the Quran as showing the transcendentalism of the Imams. We will discover to what extent their main and branch doctrine impacts on language sentences, inferences and grammar they used for interpreting Quran texts. The research used the descriptive analytical approach because it is suitable for such subject. A special focus is given in the search to critical aspect through augmenting and reviewing their visions and inferences. The research has concluded that The Twelve Imams of Twelver Shiites affected mostly by their doctrine in their grammar using, linguistic inferences and word formation. This explained by many examples displayed. They posted in their philosophy: Why Allah Does Not Listen? (as per related verses). Their argument is that listening definition is: “request for hearing” and that is not allowed to describe Allah almighty as so. For their linguistic styling, they identify “to view” as it means “to know” because in Arabic verb it takes one object. For their inferences, they limit the members of ahl al-bayt (the Prophet's family) exclusively to (Mohamed P.U.H., Ali, Fatma, Al Hassan, Al Hussein (May Allah be pleased with him) and excluded prophet’s wives, his daughters and relatives (this is pertinent to The Twelve Imams doctrine). For their texts regarding unseen secrets, they said unseen secrets means the absence Imam Al-Mahdi.

## إهداء

إلى أستاذي الدكتور عصام فاروق

من أنار لي الدرب....

وذلك لي الصعاب....

كل الاحترام والتقدير.

## شكر وتقدير

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

أتقدم بوافر الشكر إلى المشرف الدكتور الفاضل حسين البسومي، والمشرف الدكتور الفاضل سيد نجم، على ما قدماه من ملاحظاتٍ وتوجيهاتٍ أسهمت في إثراء هذا العمل، وأسأل الله أن ينفع بهما، ويجزل لهما الأجر والثواب.

وأشكر فضيلة الدكتور محمد صلاح لإشرافه على البحث في فترة سبقت إشرافهما، أرجو من الله له الخير والتوفيق.

وأشكر فضيلة الدكتور عصام فاروق، الذي تبني فكرة البحث، وبلورها على يديه، وشجّعني على الإقدام عليها؛ أدعو الله أن يبارك في جهوده.

كما أشكر فضيلة الدكتور السيد عبدالحليم الشوربجي، على توجيهاته السديدة التي أمدني بها خلال فترة كتابتي للبحث؛ جزاه الله عني خير الجزاء، وزاده بركة في علمه ووقته.

والشكر موصول لإدارة هذه الجامعة المباركة "جامعة المدينة العالمية"، وعلى رأسها معالي مدير الجامعة الأستاذ الدكتور محمد بن خليفة التميمي - على إتاحة لنا فرصة التعلم والتحصيل العلمي فيها.

كما أسدي شكري لإدارة كلية اللغات، وأعضاء هيئتها التدريسية الموقرين، لما يبذلون من جهد وعطاء لطلبة العلم، كما أشكر لعميد الكلية الأستاذ المشارك الدكتور داود عبد القادر إيليغا، لما بذله من جهد طيب في الإشراف على التعديلات التي طلبتها لجنة التقييم في البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



## فهرس المحتويات

الموضوع .....	الصفحة .....
البسملة.....	ب
صفحة التحكيم .....	ت
الاقرار بالعربي والانجليزية.....	ث
ملخص بالعربية والانجليزية.....	خ
إهداء .....	ذ
شكر.....	ر
المقدمة.....	١
<b>الفصل الأول:</b>	
٧	
الفكر الشيعي والتوجيه اللغوي مع نبذة عن حياة الطبرسي ومنهجه في التفسير	
المبحث الأول: في الفكر الشيعي: مفهومه ونشأته وأسس.....	٩
المطلب الأول: الشيعة لغةً واصطلاحاً.....	٩
المطلب الثاني: نشأة الشيعة الاثني عشرية المطلب الـ ٣: في أصل العقيدة عند الشيعة، وفروعها	١٤
المطلب الثالث: في أصل العقيدة عند الشيعة، وفروعها.....	٢٠
المطلب الرابع: الشيعة في ميزان أهل السنة.....	٣٢
المبحث الثاني: في التوجيه اللغوي.....	٣٣
المطلب الأول: في التوجيه.....	٣٣
المطلب الثاني: في اللغة.....	٣٤
المطلب الثالث: المستويات اللغوية.....	٣٥
المبحث الثالث: نبذة عن حياة الطبرسي ومنهجه في التأليف.....	٣٧
المطلب الأول: نبذة عن حياة الطبرسي.....	٣٧
المطلب الثاني: منهج الطبرسي في التفسير.....	٣٩
<b>الفصل الثاني: التوجيه النحوي للنص القرآني عند الشيعة الاثني عشرية</b>	
٤١	
المبحث الأول: الوحدات النحوية الإفرادية .....	٤٤
المطلب الأول: المرفوعات والمنصوبات والمجرورات.....	٤٤

٤٤	الأمر الأول: الفاعل .....
٤٧	الأمر الثاني: المفعول به.....
٥٥	الأمر الثالث: الظرف.....
٥٧	الأمر الرابع: العطف على مجرور .....
٦٠	الأمر الخامس: تعلُّق الجار والمجرور .....
٦٤	الأمر السادس: حذف المضاف .....
٧٥	المطلب الثاني: عود الضمير واسم الإشارة .....
٧٨	الأمر الأول: ضمائر المتكلم .....
٨١	الأمر الثاني: ضمائر المخاطب .....
٨٢	الجزئية الأولى: تاء المخاطب.....
٨٣	الجزئية الثانية: كاف الخطاب .....
٨٨	الجزئية الثالثة: ألف الاثنين .....
٩١	الأمر الثالث: ضمائر الغائب.....
٩١	الجزئية الأولى: هاء الغائب.....
١٠٣	الجزئية الثانية: واو الجماعة .....
١٠٤	الأمر الرابع: الضمير المستتر .....
١٠٥	الأمر الخامس: عود اسم الإشارة.....
١٠٧	المطلب الثالث: حروف المعاني .....
١١٠	الأمر الأول: الباء .....
١١٢	الأمر الثاني: من .....
١١٦	الأمر الثالث: إلى .....
١٢٠	الأمر الرابع: على .....
١٢٢	الأمر الخامس: لن .....
١٢٤	الأمر السادس- لا .....
١٢٦	الأمر السابع: لعلّ .....
١٢٩	الأمر الثامن: لام التعليل، ولام العاقبة .....
١٣٤	الأمر التاسع: إمّا .....
١٣٥	الأمر العاشر: ما.....

١٣٧	..... الأمر الحادي عشر: أتى
١٣٩	..... المبحث الثاني: الوحدات النحوية التركيبية
١٤٠	..... المطلب الأول: الوحدات النحوية الخبرية
١٤٠	..... الأمر الأول: النفي
١٤٣	..... الأمر الثاني: العطف
١٤٥	..... الأمر الثالث: الاستثناء
١٤٨	..... الأمر الرابع: الاستدراك
١٤٩	..... المطلب الثاني: الوحدة النحوية الإنشائية
١٥٠	..... الأمر الأول: الشرط
١٥٦	..... الأمر الثاني: التعجب
	<b>الفصل الثالث: التوجيه الدلالي للنص القرآني عند الشيعة الاثني عشرية</b>
١٥٨	
١٥٩	..... المبحث الأول: الدلالة المعجمية
٢٠٧	..... المبحث الثاني: تخصيص الدلالة
٢٤٦	..... المبحث لثالث: الدلالة المجازية
٢٥٨	..... المبحث الرابع: التوجيه بتقدير محذوف
٢٦٥	..... المبحث الخامس: التوجيه الباطني
٢٧٦	<b>الفصل الرابع: التوجيه الصرفي للنص القرآني عند الشيعة الاثني عشرية</b>
٢٧٨	..... المبحث الأول: الأفعال
٢٧٨	..... المطلب الأول: الفعلية
٢٨١	..... المطلب الثاني: التعدي وال لزوم
٢٨٢	..... الأمر الأول: التعدي بالهمزة
٢٨٧	..... الأمر الثاني: التعدي بـ (إلى)
٢٩٠	..... المطلب الثالث: صيغة الفعل (فاعل)
٢٩٢	..... المبحث الثاني: الأسماء (اسم الفاعل)
٢٩٧	..... الخاتمة
٣٠٠	..... فهرس الآيات
٣٠٧	..... المصادر والمراجع



## مقدمة:

في تفسير القرآن هناك علاقة جدلية بين المعنى اللغوي- وهو قصدُ الله عزَّ وجلَّ - وبين الظاهر اللغوي، ولا شكَّفي أنَّ الاعتماد الأول في تفسير القرآن الكريم يرجع إلى اللغة، وأنَّ فهم نصوصه يعتمد على فهمها ومعرفة قواعدها.

إلَّا أنَّ الخلافَ بين الظاهر اللغوي للآية، والمرجع العقدي لدى المفسرين على اختلاف مشاربهم، دعا المفسرين إلى سلوك كلِّ السبل التي من شأنها أن توجَّه ذلك الظاهرَ توجيهاً ينسجم مع المرجعيات التي يؤمنون بها من غير اللغة. ولاشك في أنَّ اختلاف المفسرين فيما بينهم في تحديد المرجعيات ومدى فهمهم لها أدى إلى الاختلاف في توجيهاتهم اللغوية؛ كأن يكون العقل كما هو عند المعتزلة، أو النقل كما هو عند المحدثين، أو اعتقادات خاصة كما هي أغلب التوجيهات عند الشيعة، كاعتقادهم بوجوب إمامة آل البيت، أو كانت هذه المرجعية هي القرآن نفسه كما هو عند الجميع.

وقد كانت المعتزلة والأشاعرة أكثر الفرق الإسلامية شهرةً، وكان لهما أثرٌ ظاهرٌ في طرائق البحث اللغوي في نصوص القرآن والسُّنة، وامتد هذا الأثرُ لباقي الفرق الإسلامية أو المنتسبة للإسلام؛ كالمرجئة، والجهمية، والشيعة بأقسامها.

## مشكلة البحث:

ولعل الشيعة من أكثر الفرق سعياً إلى توجيه النصوص القرآنية؛ لتناسب ومعتقداتهم، وبالأخصَّ الاثنا عشرية منهم، وهم من الفرق التي تأثرت بالمعتزلة في الكثير من معتقداتهم، وتشابحت في أصولها معهم، إضافةً إلى معتقداتهم الخاصة بهم، كاعتقادهم بالإمامة، والولاء لآل البيت والبراء ممن سواهم. وكثيراً ما يخرج التوجيه عن حدود معنى التوجيه؛ ليكون تشويهاً للمعنى، مستندين إلى ما يقولونه أو ما يقوله أئمتهم؛ فالإمام بمثل النبي، أو أنه تجاوز منزلة الأنبياء!

وربما كانت النصيرية أكثر ضلالاً من الاثني عشرية، وأكثر توجيهاً، بل تحريفاً للنصوص، إلَّا أنَّ الاثني عشرية بمصادرهما وكتبها، وتراثها تمثل نحلة كبرى، حتى أنهم يسمّون مسائل

اعتقادهم "دين الإمامية" ويكفي أن نعرف أن أحد مصادرها في الحديث عن الأئمة يقع في مائة وعشرة مجلدات وهو "بحار الأنوار" لشيخهم المجلسي (ت ١١١١هـ).

وهذه الطائفة تسعى إلى نشر مذهبها والدعوة إليه، وعندها دعاة متفرغون ومنظمون، ولها في كل مكان (غالبًا) خلية ونشاط، وتوجّه جُلّ اهتمامها في الدعوة لنحلتها في أوساط أهل السنة، وهي - اليوم - تسعى جاهدةً لنشر "مذهبها" في العالم الإسلامي، وتصدير ثروتها، وإقامة دولتها الكبرى بمختلف الوسائل.

ومن جانب آخر، فإنّ هذه هي الطائفة الشيعية الكبرى في عالم اليوم، وقد احتوت معظم الفرق الشيعية التي ظهرت على امتداد الزمن.

إضافة إلى كثرة مهاجمة الشيعة الاثنا عشرية لأهل السنة، ولا سيما صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطعنهم في أُمّات كتب المسلمين.

والحقيقة أنّ صورة الشيعة الاثني عشرية ضبابية لدى الكثير بما فيهم الكتّاب والمفكّرون المعاصرون ؛ ففريقٌ يرى أنّهم كفرة، كما في كتابات إحسان إلهي ظهير<sup>(١)</sup>، وإبراهيم الجبهان، وفريقٌ يرى أنّ الاثني عشرية طائفة معتدلة، كعليّ عبد الواحد، ومصطفى الشكعة<sup>(٢)</sup> وغيرهما، وفريقٌ التبس عليه الأمر.

ويسعى هذا البحث إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما مدى تأثير الشيعة الاثني عشرية بعقيدتهم عند توجيههم اللغوي لنصوص القرآن الكريم؟.

- كيف يوجّه الشيعة الاثنا عشرية لنصوص القرآن الكريم توجيهاً نحويًا؟.

(١) : كتب إحسان إلهي ظهير (١٤٠٧): بين الشيعة والسنة - ترجمان السنة - لاهور - باكستان ، الشيعة والتشيع - دار

ترجمان - الطبعة الأولى ١٩٨٤ ، الشيعة وآل البيت - ترجمان السنة ، لاهور - باكستان.

(٢) انظر إسلام بلا مذاهب - لمصطفى الشكعة - الدار المصرية - ٢٠١٣ ص ١٩٤

- كيف يوجّه الشيعة الاثنا عشرية لنصوص القرآن الكريم توجيهاً دلالياً؟<sup>١</sup>
- كيف يوجّه الشيعة الاثنا عشرية لنصوص القرآن الكريم توجيهاً صرفياً؟

### هدف البحث:

لذلك، فقد خصصتُ رسالتي لبحث كيفية تعامل الشيعة الاثني عشرية مع نصوص القرآن الكريم، ودراسة مدى تأثيرهم في تراثنا اللغوي وديننا، وهي محاولة للوقوف على التوجيهات الخاطئة التي وجهها الطبرسي؛ لنكون على بصيرة من ديننا، فتسلّم عقيدتنا من غياهب التأويلات .

ويهدف هذا البحث إلى جملة من الأهداف منها:

- \_ التعرف على مدى تأثر عقيدة الشيعة الاثني عشرية في توجيههم اللغوي لنصوص القرآن الكريم بمعتقداتهم الأصولية والفرعية.
- دراسة التوجيه النحوي لنصوص القرآن الكريم عند الشيعة الاثني عشرية.
- دراسة التوجيه الدلالي لنصوص القرآن الكريم عند الشيعة الاثني عشرية.
- دراسة التوجيه الصرفي لنصوص القرآن الكريم لدى الشيعة الاثني عشرية.

حيث يسير البحث على دراسة وصفية تحليلية مبنية على البحث في نصوص القرآن الكريم، وعرض توجيهات الشيعة اللغوية لها، من غير الخوض في علم الكلام، أو التعرض لمباحث الأصول، إلّا بما هو ضروري لفهم النصوص، أو الاستدلال على صحة القول. ويولي البحث اهتماماً خاصاً بالجانب النقدي؛ وذلك بمناقشة التوجيهات المختلفة، من الوجهة اللغوية، والاجتهاد في الحكم عليها.

### الدراسات السابقة:

ولقد كتبَ في الاثني عشرية - والتي تسمى بالرافضة - عددٌ من العلماء، وكان لمصنفاتهم أثرها، كما في كتاب أبي نعيم الأصبهاني "تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة"، وطُبِعَ بعنوان "تثبيت

<sup>١</sup> لم أتعرض للمستوى الصوتي في البحث لأنني لم أَعثر على نماذج تتعلق بالمستوى الصرفي، تتناسب وتوجيهات الشيعة الاثني عشرية .

الإمامة والرد على الرافضة (حققه عليّ بن محمد بن ناصر الفقيهي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الطبعة الأولى - ١٩٨٧ ) ومنها جالسُنة" لابن تيمية، إضافة إلى ما في كُتب الفرق والعقيدة، وهذه الكتب في جملة منها تحمل صفة الرد على بعض مؤلفات الشيعة.

أمّا الدراسات السابقة التي تناولت الجانب اللغوي في توجيه النصوص عند الشيعة الاثني عشرية فهي قليلة، وربما تضمنتها ثنايا الكتب التي تتحدث عن عقائد الشيعة، أو أفكارهم، أو منهجهم في التفسير، ولم تُفرد لها بحوث لغوية متخصصة، كما هو الحال في الفرق الأخرى كالأشاعرة والمعتزلة، وبطبيعة الحال أهل السنة.

ومن الرسائل المشابهة لرسالتي هذه، رسالة لخالد السعيد "أثر التوحيد والتثنية في التوجيه اللغوي لنصوص القرآن الكريم عند السنة والمعتزلة" ( رسالة ماجستير - كلية الآداب - الجامعة الأردنية ١٩٨٤) وهي دراسة لنصوص من القرآن أثّرت العقيدة في توجيهها، إلّا أنّ البحث لم يكن هدفه بحث أثر التشيع في توجيه النصوص، إنّما تناولت التوجيهات اللغوية لعلماء من السنة والمعتزلة، وقسمت على مباحث الشريعة.

ومن الدراسات التي تناولت العقيدة الأشعرية دراسة لشاهر ذياب "أثر العقيدة الأشعرية في التوجيه اللغوي والنحوي لنصوص القرآن الكريم" ( رسالة ماجستير كلية اللغة العربية وآدابها - الجامعة الأردنية - ٢٠٠١)، وهي دراسة تطبيقية عرّضَ بها توجيهات الأشاعرة النحوية واللغوية، وقسمها بحسب موضوعات العقيدة، كما اتجه البحث إلى نقد هذه التوجيهات والنظر بها من وجهة لغوية.

كما توجد دراسات ليوسف خلف العيساوي؛ الأولى "أثر الدلالة اللغوية والنحوية في استنباط الأحكام الاعتقادية من القرآن الكريم" وهي عبارة عن رسالة ماجستير لم أعثر عليها ولكنه ذكر كلاما عنها في رسالته الثانية، "أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية" ( دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ٢٠٠٢)، وقد تعرّض الباحث في الدراستين لأمثلة تطبيقية، وهي دراسة غير متخصصة بالشيعة.



أما دراستي هذه، فقد خصصتها لدراسة التوجيهات الصرفية والنحوية والدلالية، عند الشيعة الاثني عشرية، دراسة لغوية بعيدة عن مناهج المتكلمين.

### منهج البحث:

ويعتمد منهجي في البحث على استقراء بعض النصوص القرآنية التي وُجِّهَتْ عند الشيعة الاثني عشرية، بما يتناسب مع معتقداتهم، وقد اقتصرْتُ في هذا البحث على تفسير مجمع البيان في علوم القرآن للطبرسي، فتناولتُ نماذجَ من توجيهاته في تفسيره، على سبيل المثال لا الحصر، ومن هذه النماذج ما اتفق عليها مفسرو الشيعة مع مفسري السُّنة في توجيهها.

ثم بوبتُ هذه النصوصَ على مستويات اللغة الصرفي، والنحوي، والدلالي، تبعاً لتوجيه الطبرسي لها، وإنْ كانت في بابٍ آخرٍ في أصلها.

ثم عمدتُ إلى استبيان هذه التوجيهات عند مفسري الشيعة الاثني عشرية، ومقارنتها بالتوجيهات اللغوية عند أهل السُّنة، والمعتزلة - إنْ لزم الأمر - ثم مناقشة هذه التوجيهات، والنظر فيها من الوجهة اللغوية، ويتجه هذه البحث اتجاهاً نقدياً بترجيح بعض هذه التوجيهات أو ردّها.

إنَّ ارتباط هذا البحث بالعقيدة، والتي هي أصلُ الأصول، يجعل الخوضَ فيها ليس سهلاً على مثلي، فكيف إذا أضفنا اضطرابَ العقيدة عند الشيعة الاثني عشرية، فإنْ نفوا التشبيه والصفات عن الله في موضع، تجدهم في موضع آخر يسردون الأخبار والأحاديث التي تجسّم، وإنْ نفوا الصفات القبيحة عن الله في مكان، تجدهم في موضع آخر ينسبون له - عزَّ وجلَّ - أنواعَ الظلم.

وربما كانت عقيدتهم في التقية تزيد من حدة هذا الاضطراب الذي نجده في كتبهم، والتقية عندهم من أصول الدين، بل هي تسعة أعشار الدين.

كما أنَّ تفاوتهم في التشيع سببٌ آخر في هذا الاضطراب في كتب تفسيرهم؛ فمن المفسرين من هو مُغالٍ في التشيع كالقمي، والعايشي، ومنهم من اعتدل في تشيعه إلى حد ما كالطوسي

والطبرسي. وقد عمدتُ لتجاوز هذا الاضطرابِ إلى الاستناد إلى كتبهم الخاصة بالعقيدة، والتي وضعها من هو معتمدٌ من قبلهم من علمائهم وشيوخهم، وابتعدتُ عن الخوض في الأخبار المتناقضة التي تناقض هذه العقيدة، علماً بأنَّ معظم كتب الرواية عند الشيعة لا تحظى بفهرسة دقيقة، وليس لها تنظيم، كما هو الحال في كتب أهل السنة، ولذلك فإنَّ الأمر اقتضى منِّي قراءة طويلة في كتب حديثهم. ومن جهة أخرى، فقد اعتمدتُ تفسيراً واحداً وهو تفسير الطبرسي "مجمع البيان في تفسير القرآن" في استقراء النصوص. وقد اعتمدتُ تفسير الطبرسي نموذجاً دون غيره من تفاسير الشيعة؛ لأنه يُعدُّ من التفاسير المعتدلة عند الشيعة الإثني عشرية، ابتعد فيه عن الغلو في التفسير، وذلك أنَّ تفاسير الشيعة في معظمها تؤوّل معظم الآيات بما لا يخرج عن دائرة أهل البيت والإمامة، ومن اغتصبهم الإمامة.

وإنَّ لم تكن كذلك، فلا بدَّ أن يكون تأويلها مستنداً إلى أخبار أهل البيت ورواياتهم في تأويلها؛ كالتفسير المنسوب إلى العسكري، وتفسير القمي، والتي تعتقد الشيعة في معظمها أنَّها الوسيلة الأولى لتفسير القرآن، بل إنَّ علم القرآن منحصرٌ بآل البيت.

## هيكل البحث:

وجاءت الرسالة في مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة:

أمَّا الفصلُ الأول فهو فصلٌ تمهيديٌّ، يحوي مقدّماتٍ لابدَّ منها في دراسة التوجيه اللغوي عند الشيعة الإثني عشرية، وفيه مبحثان: الأول في معنى التشيع ونشأته، والثاني في التوجيه اللغوي.

ويدرس الفصلُ الثاني التوجيهَ النحويَّ لنصوص القرآن الكريم، وفيه مبحثان: الأول اختص بالوحدات النحوية الإفرادية، والثاني بالوحدات النحوية التركيبية.

ويدرس الفصلُ الثالثُ التوجيهَ الدلالي لنصوص القرآن الكريم، وفيه عددٌ من المباحث: أولها يتعلق بالمعنى المعجمي، والثاني بتخصيص المعنى، والثالث: بالمعنى المجازي، والرابع التوجيه بتقدير محذوف، وآخرها بالتأويل الباطني.

ويدرس الفصل الرابع التوجيه الصرفي لنصوص القرآن الكريم عند الشيعة، وفيه مبحثان أولهما يتعلق بتوجيه الأفعال، والثاني بتوجيه الأسماء.

ثم خاتمة أجملت فيها ما توصلت إليه من نتائج.

وأخذ الفصل الثالث الجزء الأكبر من البحث؛ فالتوجيهات المعتمدة على المستوى الدلالي للغة كثيرة، مقارنةً بالتوجيهات المعتمدة على المستوى النحوي، والصرفي، فهي أقل بكثير ولاسيما المستوى الصرفي؛ فالدلالة الصرفية غالباً ما تكون محدّدة لا سبيل إلى تعدّد توجيهاتها، كدلالة الجنس والعدد والبناء للمعلوم والمجهول، كما أنّ التوجيهات المتعلقة بالمستوى النحوي محدودة أيضاً، وإن كانت أكثر اتساعاً منها في المستوى الصرفي، وذلك مقارنةً بالتوجيهات المعتمدة على دلالة الكلمة في ذاتها؛ فالمعنى المعجمي يتسع ليشمل المعاني المجازية، وما يعترى اللفظة من تخصيص وتعميم، ونقل للدلالة، إلى غير ذلك، لذلك فقد أخرجت التوجيهات المتعلقة بالمستوى الصرفي إلى آخر البحث وكان حقها أن تتقدم لقلة هذه النماذج.

وأرجو من الله أن أكون قد وفقت فيما عرضت، والله ولي التوفيق .

## الفصل الأول

الفكرُ الشيعيُّ والتّوجيه اللغويُّ

مع نبذة عن حياة الطّبرسي ومنهجه في التّفسير

## ١- تمهيد

اشتمل هذا الفصلُ على مبحثين؛ يدور أولهما حول معنى التشيع، وكيفية تطوُّر هذا المعنى ليخصَّ من يزعمون أنهم أتباعُ عليٍّ رضي الله عنه خاصة، وأهم المراحل التي مرَّ بها الفكرُ الشيعي، وأشهر الفرق التي تنتمي إلى هذه الطائفة، كما عرضتُ في هذا المبحث أهم الأصول العقائدية التي استند عليها الشيعةُ في توجيه النصوص القرآنية، وفروعهم الفقهية بإيجاز، وأقول بعض علماء أهل السُّنة في هذه الطائفة.

ثم بينتُ في المبحث الثاني معنى التوجيه لغةً واصطلاحاً، ومعنى اللغة، مع ذكر عام للمستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، والتي قُسم البحثُ على أساس الثلاثة الأخيرة منه.

### ١-١ المبحث الأول: في الفكر الشيعي: مفهومه ونشأته وأساسه.

يتحدث هذا المبحثُ عن معنى التشيع لغةً واصطلاحاً، مع نبذة عن نشأة هذا الفكر، وأهم الأصول العقائدية والفروع فيه، إضافة إلى آراء بعض العلماء وأقوالهم في التشيع.

#### ١-١-١ المطلب الأول: الشيعة لغةً واصطلاحاً.

التعريف اللغوي:

يقول ابن دريد (٣٢١هـ): "فلان من شيعة فلان، أي: ممن يُرى رأيه، وشيعةُ الرجل على الأمر تشيعاً إذا أعنته عليه، وشايعةُ الرجل على الأمر مشايعة وشياعاً إذا مالته عليه"<sup>(١)</sup>

وقال الأزهري (٣٧٠هـ): "والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمرهم شيعة. والجماعة شيع وأشياع، والشيعة: قوم يهوون هوى عترة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويوالونهم."<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> جمهرة اللغة - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٧ الجزء الثاني ص ٨٧٢.

<sup>(٢)</sup> تهذيب اللغة - محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ) - المحقق: محمد عوض مرعب - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م الجزء الثالث ص ٣٥.

وقال ابن منظور (٧١١هـ): "والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيعٌ، وأشباع جمع الجمع. وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكور والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي: عندهم، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة."<sup>(١)</sup>

وقال الزبيدي (١٢٠٥هـ): "كلُّ من عاونَ إنساناً وتحزب له فهو له شيعة. وأصل الشيعة من المشايعة وهي المتابعة، وقيل: عين الشيعة واو من شوع قومه إذا جمعهم. وقد غلب هذا الاسم (الشيعة) على كل من يتولى علياً وأهل بيته.. وهم أمةٌ لا يحصون، مبتدعة، وغلاتهم الإمامية المنتظرية يسبون الشيخين، وغلاة غلاتهم يكفرون الشيخين، ومنهم من يرتقي إلى الزندقة."<sup>(٢)</sup>

ووردت مادة (شيع) في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً<sup>(٣)</sup>، على عدة معانٍ؛ أحدها: الفرق كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾<sup>(٤)</sup>، يقول الطبري: "﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ يعني

---

<sup>(١)</sup> لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (٧١١هـ) - دار صادر - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ - الجزء الثامن - ص ١٨٨.

<sup>(٢)</sup> تاج العروس من جواهر القاموس - محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (١٢٠٥هـ) - مجموعة من المحققين - دار الهداية الجزء ٢١ ص ٣٠٣.

<sup>(٣)</sup> قاله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ الأنعام، الآية: ١٥٩ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ الحجر، ١، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ القصص: ٤، وقال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ الروم ٦٩،

قال تعالى: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿القصص، الآية ١٥، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ مَرِيماً﴾ آية: ٦٩ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ القمر، آية ٥١، وقال تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ سبأ، الآية: ٥٤. وقال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ الصافات، الآية ٨٣. وقال تعالى: ﴿أَوْ يَلِسْكُمْ شِيَعًا﴾ الأنعام، آية: ٦٥ (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ط ١٣٦٤ - ص ٣٩٨).

<sup>(٤)</sup> القصص، آية: ٤

بالشيعة: الفرق" <sup>(١)</sup>، والثاني: الأهل والنسب، كقوله تعالى: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ <sup>(٢)</sup> يقول ابن قتيبة: "ومعنى ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أي: من أصحابه بني إسرائيل." <sup>(٣)</sup> والثالث: الملة، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ <sup>(٤)</sup>، والرابع: الأهواء المختلفة، قال تعالى: ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا﴾ <sup>(٥)</sup>.

ويقول ابن القيم: "إن لفظ الشيعة والأشباع غالباً ما يُستعمل في الذم"، ويقول: "ولعله لم يرد في القرآن إلا كذلك، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْلَهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾، وكقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا﴾، وقوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾. ويعلل ابن القيم لذلك بقوله: "وذلك والله أعلم لما في لفظ الشيعة من الشِّعَاع، والإشاعة التي هي ضد الائتلاف والاجتماع، ولهذا لا يطلق لفظ الشيعة إلا على فرق الضلال لتفرقهم واختلافهم." <sup>(٦)</sup>

وورد لفظ الشيعة في السنة المطهرة بمعنى الأتباع.. كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "لم أرك عدلت.." قال فيه عليه الصلاة والسلام: "سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه." <sup>(٧)</sup>

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة - دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.

(٢) [القصص، آية: ١٥]

(٣) غريب القرآن - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) - المحقق: أحمد صقر - دار الكتب العلمية ١٩٧٨ م.

(٤) [مريم، آية: ٦٩]

(٥) [الأنعام، آية: ٦٥]

(٦) بدائع الفوائد - لمحمد ابن قيم الجوزية - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الجزء الأول ص ١٥٥.

(٧) مسند الإمام أحمد - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ) - شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون - مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى (٢٠٠١ م) - الجزء ١١ ص ٥١٤.

أما عند الشيعة فإنَّ لفظ الشيعة كمصطلح يدل على فرقتهم، وقد فسروا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ أي: إِنَّ إبراهيم من شيعة عليٍّ، فشيعة عليٍّ معروفون قبل زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>(١)</sup>

وورد لفظ الشيعة بمعناها اللغوي، وهو المناصرة والمتابعة، في وثيقة التحكيم بين الخليفة عليٍّ ومعاوية - رضي الله عنهما - ومما جاء في صحيفة التحكيم: "هذا ما تقاضى عليه عليٌّ بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وشيعتهما. ومنها: أَنَّ عليًّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس، ورضي معاوية وشيعته بعمر بن العاص. ومنها: فإذا تُوفي أحدُ الحكمين فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه. ومنها: وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية فلشيعته أن يختاروا مكانه رجلًا يرضون عدله".<sup>(٢)</sup>

وأغلب الظن أن إطلاق لفظ التشيع بدأ بعد مقتل الحسين (٦١هـ)، يقول المسعودي: "وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة في الكوفة، وتكونت حركة التوابين، ثم حركة المختار (الكيسانية) وبدأت الشيعة تتكون وتضع أصول مذهبها.. وأخذت تتميز بهذا الاسم"<sup>(٣)</sup>، وهذا الوقت الذي حدده المسعودي هو بعد قتل الحسين رضي الله عنه.

---

<sup>(١)</sup> ورد عن الصادق أن الله لما خلق إبراهيم كشف له عن بصره فرأى الأنوار الخمسة فقال: ما هذه الأنوار؟ فقال الله تعالى: هذه نور محمد وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين ورأى تسعة أنوارٍ قد حَفَّوا بهم فقال: أرى تسعة أنوارٍ قد حَفَّوا بهم فقال: هؤلاء الأئمة من ولد عليٍّ وفاطمة وسمَّاهم له، فقال إبراهيم: إلهي وسيدي أرى أنواراً قد أحرقوا بهم لا يحصى عددهم إلا أنت، قيل: يا إبراهيم هؤلاء شيعتهم، شيعة أمير المؤمنين فعند ذلك قال إبراهيم: اللَّهُمَّ اجعلني من شيعة أمير المؤمنين قال، فقال تعالى: (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ). انظر تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة للجنابذي.

<sup>(٢)</sup> الأخبار الطوال - أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (٥٢٨٢هـ) - تحقيق: عبد المنعم عامر - مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيبال - دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة - الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ م ص ١٩٤.

<sup>(٣)</sup> مروج الذهب ومعادن الجوهر - لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي - تحقيق: أسعد داغر - دار الهجرة - قم (١٤٠٩هـ) - الجزء الثالث ص ٨٦.



## تعريف الشيعة اصطلاحاً:

ويعرف شيخ الشيعة القمي<sup>(١)</sup> الشيعة بقوله: "هم شيعة عليّ بن أبي طالب"، وفي موضع آخر يقول: "الشيعة هم فرقة عليّ بن أبي طالب المسمون شيعة عليّ في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته."<sup>(٢)</sup>

ويقول المفيد<sup>(٣)</sup>: "بأن لفظ الشيعة يطلق على أتباع أمير المؤمنين صلوات الله عليه، على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة، وجعله في الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء."<sup>(٤)</sup>

أما الطبرسي: فقد عرّف الشيعة بقوله: "الشيعة صارت بالعرف اسماً لمتبعي الإمام عليّ على سبيل الاتقاد لإمامته بعد النبي."<sup>(٥)</sup>

أما علماء السنة فيقول الأشعري<sup>(٦)</sup>: "إنما قيل لهم: الشيعة، لأنهم شايعوا عليّاً - رضوان الله عليه - ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم."<sup>(١)</sup>

---

(١) سعد بن عبد الله القمي، هو عند الشيعة جليل القدر، واسع الأخبار، كثير التصنيف، ثقة. من كتبه: الضياء في الإمامة، ومقالات الإمامية، توفي سنة (٣٠١هـ) وقيل: (٢٩٩هـ).

(٢) المقالات والفرق - سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي - تصحيح وتعليق: محمد جواد مشكور - مركز انتشارات علمي وفرهنگي التابع لوزارة الثقافة والتعليم العالي - طهران - الطبعة الثانية ١٣٦٠هـ - ش / ١٩٨٢م. ص ٣ و ١٥.

(٣) هو: محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، المعروف بابن المعلم، والمفيد، كنيته أبو عبد الله، (٩٤٨م - ١٠٢٢م) ولد في قرية عكبرا على بُعد عشرة فراسخ من بغداد سنة ٣٣٦هـ، وقيل سنة ٣٣٨هـ. يعتبر أحد أبرز علماء الإمامية وبالأخص الإثنا عشرية ومحدثيها. صاحب كتاب الارشاد في الجرح والتعديل الذي يعتبر أحد كتب التاريخ لدى الشيعة نال في زعمهم شرف مكانة مهديهم المنتظر، وله قريب من مائتي مصنف.

(٤) أوائل المقالات - محمد العكبري الملقب بالمفيد - تحقيق ابراهيم الأنصاري - مطبعة مهر - الطبعة الأولى ١٤١٣. ص ٣٥.

(٥) مجمع البيان للطبرسي ص ٥٩ عند تفسيره لقوله تعالى: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ آيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) [الأنعام: ٦٥]

(٦) أبو الحسن الأشعري، (٢٦٠هـ - ٣٢٤هـ) هو المنظر الأول لمواقف أهل السنة ومؤسس المذهب المعروف باسمه، بعد أن انشق عن المعتزلة وكان يريد أن يقيم مذهبا وسطا يجمع بين منهج المعتزلة العقلاني والفكر السني المعتمد على الرواية والحديث.

ويعرّف ابن حزم <sup>(٢)</sup> الشيعة بأنهم: "من وافق الشيعة في أن علياً - رضي الله عنه - أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً." <sup>(٣)</sup>

ويعرف الشهرستاني <sup>(٤)</sup> الشيعة بأنهم: "هم الذين شايعوا علياً - رضي الله عنه - على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ووصية، إمّا جليّاً، وإمّا خفيّاً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تُناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين الذي لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله." <sup>(٥)</sup>

### ١-٢-١ المطلب الثاني: نشأة الشيعة الاثني عشرية

إنّ الشيعة بأصولها ومعتقداتها مرت بمراحل كثيرة خلال نشأتها <sup>(٦)</sup>، واختلفت الشيعة حول نشأة التشيع على آراء؛ منها أن التشيع قديمٌ وُلِدَ قبل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه ما من نبيٍّ إلّا وقد عُرض عليه الإيمان بولاية عليٍّ، ومن ذلك ما جاء في الكافي عن أبي الحسن قال: "ولاية عليٍّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلّا بنبوّة محمد - صلى الله عليه وآله -، ووصية عليٍّ عليه السلام." <sup>(٧)</sup>

---

<sup>(١)</sup> مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - الأشعري - ص ٥.

<sup>(٢)</sup> أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ أو ٣٨٣هـ، وتوفي في الأندلس سنة (٤٥٦هـ) ومن آثاره: المحلى، والفصل وغيرهما.

<sup>(٣)</sup> الفصل في الملل والأهواء والنحل - لابن حزم - الجزء الثاني - ص ٩٠.

<sup>(٤)</sup> محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح المعروف بالشهرستاني. قال السبكي عنه: كان إماماً مبرزاً مقدماً في علم الكلام والنظر، برع في الفقه والأصول والكلام، ومن تصانيفه: الملل والنحل، نهاية الإقدام، وغيرهما. توفي سنة (٥٤٨هـ)، وكانت ولادته عام ٤٦٧هـ، وقيل: ٤٧٩هـ.

<sup>(٥)</sup> الملل والنحل - الشهرستاني - مؤسسة الحلبي - الجزء الأول ص ١٤٦.

<sup>(٦)</sup> الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم - محمد العسال الطبعة الأولى - ١٤٢٧ ص ٢٥.

<sup>(٧)</sup> أصول الكافي - محمد بن يعقوب الكليني - تعليق عليّ أكبر الغفاري - دار الكتب الإسلامية - طهران - الطبعة الثالثة - ١٣٨٨ - الجزء الأول ٤٣٧.

ويزعم بعضهم أنَّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الذي وضع بذرة التشيع، وأنَّ الشيعة ظهرت في عصره، يقول القمي: "أول الفرق الشيعة، وهي فرقة عليّ بن أبي طالب المسمّون شيعة عليّ في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته، منهم المقداد بن الأسود الكندي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وعمار بن ياسر المذحجي.. وهم أول من سموا باسم التشيع من هذه الأمة." (١)

أما غير الشيعة، فقد اختلفوا أيضًا في نشأة التشيع على آراء؛ منها: أنَّ التشيع ظهر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث وُجد من يرى أحقية عليّ رضي الله عنه بالإمامة، وهذا الرأي قال به طائفة من القدماء والمعاصرين، منهم العلامة ابن خلدون (٢) يقول: "اعلم أنَّ مبدأ هذه الدولة - يعني دولة الشيعة - أنَّ أهل البيت لما تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أنَّهم أحقُّ بالأمر، وأنَّ الخلافة لرجالهم دون من سواهم." (٣)

والرأي الثاني: أنَّ التشيع لعليّ بدأ بمقتل عثمان - رضي الله عنه - يقول ابن حزم: "ثم ولي عثمان، وبقي اثني عشر عامًا، وممّوته حصل الاختلاف، وابتدأ أمر الروافض." (٤)

وقد اعترفت كتب الشيعة الاثني عشرية بأنَّ عبد الله بن سبأ أول ادعى الولاية (٥) لعليّ رضي الله عنه (١)، ثم جاء من عمّم الولاية في بعض نسله، وقد جاءت رواية في رجال الكشي (٢) تكشف أنَّ شيطان الطاق (٣) هو من عمّم هذا القول.

(١) فرق الشيعة للنوختي والقمي - تحقيق عبد المنعم الحفني - دار الرشد للطبعة - ١٩٩٢م - ص ١٥.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي (١٣٨٢م) مؤرخ عربي، تونسي المولد أندلسي الأصل، ومغربي الثقافة، حيث تتلمذ في جامع القرويين يعتبر مؤسس علم الاجتماع الحديث.

(٣) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: - عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٥٨٠٨هـ) - المحقق: خليل شحادة - دار الفكر، بيروت - الطبعة: الثانية - ١٩٨٨ م الجزء الثالث ص ٣١٤.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل - لابن حزم، ص ٦٧.

(٥) يروون عن أبي عبد الله جعفر الصادق، أنه قال: (إن الله جعل عليا علمائيه وبين خلقه، ليس بينه علم غيره، فمن أقر بولايته كان مؤمنا ومن جحدته كان كافرا، ومن جهله كان ضالا، ومن نصب معه كان مشركا، ومن جاء بولايته دخل الجنة،

## وتنقسم الشيعة حاليًا إلى ثلاث طوائف رئيسية:

١- الطائفة الأولى: الاثنا عشرية: وأول من ذكر هذا المصطلح من الشيعة المسعودي<sup>(٤)</sup> في كتابه التنبيه والإشراف<sup>(٥)</sup>، أمّا من غيرهم فعبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) حيث ذكر أنهم سموا بالاثني عشرية لدعواهم أنّ الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(٦)</sup>، وهذا المصطلح لا نجده في كتب الفرق والمقالات المتقدمة، فلم يذكره القمي (٣٠١هـ) في "المقالات والفرق"<sup>(٧)</sup>، ولا الأشعري في "مقالات الإسلاميين"<sup>(٨)</sup>.

---

ومن أنكرها دخل النار) الأمامي- لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ)- تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع - دار الثقافة - ص ٤١٠.

<sup>(١)</sup> يهودي من سبأ قال بألوهية عليّ وقد شارك بقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه ونفاه سيدنا عليّ رضي الله عنه إلى المدائن بعد أن هم بقتله وإحراق أتباعه- انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - لأبي الحسن الأشعري - تحقيق محمد عبد الحميد مكتبة النهضة الإسلامية - الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ص ٢٠، وانظر الملل والنحل، للشهرستاني - الجزء الأول ص ١٧٤.

<sup>(٢)</sup> انظر اختيار معرفة الرجال المعروف بـ رجال الكشي لأبي جعفر محمد بن الحسن بن عليّ الطوسي - تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - الطبعة: الأولى ١٤٢٧ ص.

<sup>(٣)</sup> محمد بن عليّ بن النعمان بن أبي طريفة البجلي توفي ١٦ هـ - يسمونه الشيعة مؤمن الطاق ولقبه أصلاً صاحب الطاق (نسبة إلى منطقة في الكوفة تسمى طاق المحامل كما له دكان فيها)، وهو من غلاة الشيعة وتنسب له الفرقة الشيطانية - انظر فرق الشيعة للنوختي ص ٧٨.

<sup>(٤)</sup> والمسعودي أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي. وكنيته أبو الحسن، ولقبه قطب الدين، ولقب بهيرودوتس العرب (٢٨٣ هـ - ٣٤٦ هـ / ٨٩٦ - ٩٥٧ م) مؤرخ، جغرافي ورائد نظرية الانحراف الوراثي.. وهو من ذرية عبد الله بن مسعود.

<sup>(٥)</sup> التنبيه والإشراف - لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (٣٤٦هـ) تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي - دار الصاوي - القاهرة - الجزء الأول ص ١٩٨.

<sup>(٦)</sup> الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية - عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفرايني، أبو منصور (٤٢٩هـ) - دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٧٧ الجزء الأول ص ٦٧.

<sup>(٧)</sup> المقالات والفرق - للقمي..

<sup>(٨)</sup> مقالات الإسلاميين - للأشعري.

وظهور هذا الاسم كان - بلاشك - بعد ميلاد فكرة الأئمة الاثني عشر، والتي حدثت بعد وفاة الحسن العسكري<sup>(١)</sup> سنة (٢٦٠هـ).

### أسماء الأئمة الاثني عشر<sup>(٢)</sup>:

- ١- علي بن أبي طالب، أبو الحسن، المرتضى، 23 قبل الهجرة، ٤٠ بعد الهجرة.
- ٢- الحسن بن علي، أبو محمد، الزكي ٢-50هـ.
- ٣- الحسين بن علي، أبو عبد الله، الشهيد، ٣-61هـ.
- ٤- علي بن الحسين، أبو محمد، زين العابدين، ٣٨-95هـ.
- ٥- محمد بن علي، أبو جعفر، الباقر، ٥٧-114هـ.
- ٦- جعفر بن محمد، أبو عبد الله، الصادق، ٨٠-148هـ.
- ٧- موسى بن جعفر، أبو إبراهيم، الكاظم، ١٢٨-183هـ.
- ٨- علي بن موسى، أبو الحسن، الرضا، ١٤٨-203هـ.
- ٩- محمد بن علي، أبو جعفر، الجواد، ١٩٥-220هـ.
- ١٠- علي بن محمد، أبو الحسن، الهادي، ٢١٢-254هـ.
- ١١- الحسن بن علي، أبو محمد، العسكري، ٢٣٢-260هـ.
- ١٢- محمد بن الحسن، أبو القاسم، المهدي يزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥ ويقولون بحياته إلى اليوم.

٢- الطائفة الثانية : الإسماعيلية: وهم الذين قالوا إنّ الإمام بعد جعفر<sup>(٣)</sup> إسماعيل بن جعفر، ثم قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنكروا إمامة سائر ولد جعفر، الذي ولد سنة ٨٠هـ، وتعتقد الإسماعيلية أن إسماعيل مات بعد والده جعفر ، وأن الأحق بالإمامة ولولده من

---

<sup>(١)</sup> الحسن بن عليّ العسكري الإمام الحادي عشر للشيعة الاثني عشرية، ولقب العسكري نسبة إلى مدينة العسكر بالقرب من بغداد حيث أقام بها أغلب عمره، ومن أشهر ألقابه أيضا الزكي.

<sup>(٢)</sup> ( أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد- ناصر بن عبد الله بن عليّ القفاري- الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ- الجزء الأول ص ١٠٥، وانظر أعلام الوري بأعلام الهدى لأبي عليّ البرسي- تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث- الجزء الثاني ٢١٤.

<sup>(٣)</sup> الإمام السادس عند الشيعة الإمامية (٨٠-١٤٨)هـ.

بعده باعتباره الابن الأكبر لجعفر. أمّا الاثنا عشرية فيقولون أن اسماعيل توفي سنة ١٤٣؛ أي قبل والده جعفر بخمس سنوات<sup>(١)</sup>، وأن الإمامة لولد جعفر بن محمد، موسى بن جعفر، وهذا ما أثبتته الزركلي في كتابه الأعلام<sup>(٢)</sup>، ومن الإسماعيلية انبثق القرامطة (النصيرية<sup>(٣)</sup>)، والحشاشون<sup>(٤)</sup>، والفاطميون<sup>(٥)</sup>، والدروز<sup>(٦)</sup> وغيرهم.

(١) بحوث في الملل والنحل - لجعفر السبحاني - مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - الجزء الثامن ص ٧٧.

(٢) الأعلام - خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ) - دار العلم للملايين - الطبعة: الخامسة عشر - ٢٠٠٢ م.

(٣) النصيرية: طائفة من الغلاة السبئية وملخص مقالاتهم في الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، أنهم روح اللاهوت، (انظر الملل والنحل للشهرستاني (٥٤٨هـ) - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٥٤٨هـ) - مؤسسة الحلبي - الجزء الأول ص ١٨٨)، وحتى الشيعة تنبئهم وتبشّرهم، قال النوبختي في كتابه "فرق الشيعة" ص ٧٨ "وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته فقالت بنو رجل يقال له محمد ابن نصير النميري، وكان يدعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري، وكان يقول بالتناسخ والعلو في أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية، (انظر فرق الشيعة للنوبختي - ص ٧٩). ويقول المجلسي فيهم: إنهم يتبعون لـ (رجل اسمه محمد بن نصير النميري البصري زعم أن الله تعالى لم يظهر إلا في هذا العصر، وأنه علي وحده، فالشريعة النصيرية ينتمون إليه، وهم قوم إباحية تركوا العبادات والشرعيات، واستحلّت المنهيات والحرمات، ومن مقالهم: أن اليهود على الحق ولسنا منهم، وأن النصاري على الحق ولسنا منهم). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - محمد باقر المجلسي - نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٩٨٣م - الجزء ٢٥ ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

يقول ابن تيمية: (هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود النصاري، بل وأكفر من كثير من المشركين) انظر النصيرية طغاة سورية أو العلويون كما سماهم الفرنسيون - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨ هـ) - دار الإفتاء - الرياض، المملكة العربية السعودية - ص ١٢، وانظر الفتاوى الكبرى - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني - تحقيق: حسنين محمد مخلوف - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٣٨٦ - الجزء الثالث ص ٤٩٥.

٤ طائفة الحشاشين أو الحشاشون أو الحشيشية أو الدعوة الجديدة كما أسموا أنفسهم هي طائفة إسماعيلية نزارية، انفصلت عن الفاطميين في أواخر القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، لتدعو إلى إمامة نزار المصطفى لدين الله ومن جاء من نسله، واشتهرت ما بين القرن ٥ و ٧ هجري الموافق ١١ و ١٣ ميلادي، وكانت معاقلهم الأساسية في بلاد فارس وفي الشام بعد أن هاجر إليها بعضهم من إيران. أسّس الطائفة الحسن بن الصباح الذي اتخذ من قلعة الموت في فارس مركزاً لنشر دعوته؛ وترسيخ أركان دولته (انظر الحشاشون - تأليف برنارد لويس وتعريب محمد العزب موسى - دار المشرق العربي الكبير - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٨٠).

(٥) الدولة الفاطمية هي سلالة حاكمة تنتمي للمذهب الشيعي، ضمن فرعه الإسماعيلي، نشأت في شمال إفريقيا عن طريق دعوة أبي عبد الله الشيعي في أوساط قبيلة كتامة في المغرب الأوسط لإمامة عبيد الله المهدي، أنشأت مدينة المهديّة في تونس واتخذها

٣- الطائفة الثالثة: الزيدية: وهم أتباع زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>، وسُموا بالزيدية نسبة إليه "يحيى بن حمزة"<sup>(٣)</sup>، وقد افترقوا عن الاثني عشرية حينما سئل زيد عن أبي بكر وعمر فترضى عنهما فرفضه قوم فسموا رافضة.. وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدية لاتباعهم له، وذلك في آخر خلافة هشام بن عبد الملك سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين.<sup>(٤)</sup>

من الألقاب التي يطلقها بعضُ كتّاب الفرق والمقالات وغيرهم على الشيعة: الإمامية، والإمامية: الإمامة في اللغة التقدم نقول "أمّ القوم وأمّ بهم"، فالإمام كل من ائتم به قوم كانوا على هدى أو ضلال، ويطلق على الخليفة، والعلم المقتدى به، ومن يؤتم به بالصلاة.<sup>(٥)</sup>

أمّا الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية<sup>(١)</sup> فمن أصول الدين لديهم، وهو الأصل الرابع عندهم من أصولهم الخمسة، وهي التوحيد والعدل الإلهي والنبوة والإمامة والمعاد.

---

عاصمة لها ما بين ٩٠٩-٩٢٠ م ثم انتقلت إلى مدينة المنصورية في تونس ما بين ٩٢٠-٩٧٣ م ثم القاهرة منذ ٩٧٣ م (اتعاض الخنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء- أحمد بن عليّ بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (٨٤٥هـ) حققه جمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد أحمد- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي- الطبعة: الأولى- الجزء الأول ص ٣٥ وما بعدها.

<sup>(١)</sup> م فرقة من الباطنية لهم عقائد سرية وهم متفرقون بين جبال لبنان وحوارن والجبل الأعلى من أعمال حلب، ويطلق عليهم جماعة حمزة. وقد ظهر مذهب الدرّوز في القرن الحادى عشر الميلادى فى مصر على عهد الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى، حيث ظهر بها رجل اسمه محمد بن إسماعيل الدرّزى قدم مصر من بلاد فارس، فوافق القائلين بالوهمية الحاكم بأمر الله، ودعا الناس للإيمان بها وأضاف إلى هذا الدين طائفة من العقائد القديمة وعقائد غلاة الشيعة فلم تصادف هذه الدعوة قبولا فى مصر؛ ففر صاحبها إلى الشام فوجد هنالك آذانا مصغية. (انظر عقيدة الدرّوز عرض ونقض - محمد أحمد الخطيب.

<sup>(٢)</sup> مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار - أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (٥٢٩٢هـ) المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة- الطبعة الأولى ٢٠٠٩م- الجزء الأول - ص ٤٠.

<sup>(٣)</sup> الأنساب -عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (٥٦٢هـ) -المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره -مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد- لطبعة: الأولى ١٩٦٢ م -الجزء السادس ٣٦٥.

<sup>(٤)</sup> مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة - ناصر بن عبد الله بن عليّ القفاري - دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة، ١٤٢٨ هـ - الجزء الأول ص ١٥٩.

<sup>(٥)</sup> المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- أحمد بن محمد بن عليّ الفيومي ثم الحموي، أبو العباس - المكتبة العلمية - بيروت-الجزء الأول ص ٢٣ ، ولسان العرب الجزء ١٢ ص ٣٦.

ومفهومُ الإمامية عندهم قريبٌ من مفهوم النبوة، فالإمامة منصبٌ إلهيٌّ، يختاره الله سبحانه وتعالى، ويُعلم خلقه به ويؤيده بالمعجزات. وجاء في الكافي: "أنَّ الإمامة عهدٌ من الله عزَّ وجلَّ معهودٌ من واحد إلى واحد." (٢)

وفي الكافي رواياتٌ تجعل الإمامة أعظم أركان الإسلام، يقول الكليني: "الإسلام على خمسٍ؛ الصلاة والزكاة والصوم والحج والإمامة، ولم يُنادَ بشيء كما تُؤدي بالولاية، فأخذ الناس بأربعة وتركوا هذه -يعني الولاية-.." (٣)

كما أنَّ لهم ألقاباً أخرى: كأصحاب الأنظار؛ لانتظارهم المهدي، والرافضة (٤)؛ لأنهم رفضوا خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وغيرها.

### ١-١-٣ المطلب الثالث: في أصل العقيدة عند الشيعة، وفروعها.

وللشيعة اثني عشرية خمسة أصول، وهي: (التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، المعاد). وعشرة فروع وهي: (الصلاة، الصوم، الخمس، الزكاة، الحج، الجهاد، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتولي لأولياء الله، والتبري من أعداء الله).

أمَّا التوحيد، فهم يعتقدون بوحداية الله. ويُقسَّم الشيعةُ صفاتِ الله تعالى إلى قسمين: الصفات السلبية وهي صفات الجلال، والصفات الثبوتية وهي صفات الجمال والكمال.

---

(١) مع اثني عشرية في الأصول والفروع - لأحمد السالوس - مكتبة دار الفرقان - بمصر - الطبعة السابعة - ٣٠٠٣ ص ٢٣، الصافي في شرح أصول الكافي - الجزء الخامس ص ٢٨.

(٢) أصول الكافي للكليني - الجزء الأول ص ٢٢٧.

(٣) الشافي في شرح أصول الكافي - عبد الحسين بن عبد الله المظفر - مطبعة الغي - الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - الجزء الخامس ص ٢٨.

(٤) قال ابن تيمية في أصل تسمية الرافضة: (من زمن خروج زيد - يقصد زيد بن علي - افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما، رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني. فسُموا رافضة لرفضهم إياه، وسُمي من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه). انظر منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القادرية - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحارثي الحنبلي الدمشقي: ٥٧٢٨ هـ - المحقق: محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة: الأولى، ١٩٨٦ م - الجزء الأول ص ٣٥.



والصفات السلبية في تعريفهم: هي التي يجب سلبها عن الذات، باعتبار أن اتصاف الذات بها يلزم منه محال من المحالات؛ لأنها تتنافى مع وجوب الوجود. وهي صفات عدمية، أو هي: الصفات التي يجلّ الله تعالى عن الوصف بها.

ويعبرُ الشيعة عن الصفات السلبية بقولهم: "فليس هو بجسم، ولا صورة، وليس جوهرًا ولا عرضًا، وليس له ثقل أو خفة، ولا حركة أو سكون، ولا مكان ولا زمان، ولا يشار إليه. كما لا ندّ له، ولا شبه، ولا ضدّ، ولا صاحبة له ولا ولد، ولا شريك، ولم يكن له كفواً أحد، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار"<sup>(١)</sup>

ويقول المظفر<sup>(٢)</sup>: "وأما الصفات السلبية التي تسمى بصفات (الجلال)، فهي ترجع جميعها إلى سلب واحد هو سلب الإمكان عنه، فإنَّ سلب الإمكان لازمة، بل معناه سلب الجسمية والصورة والحركة والسكون والثقل والخفة وما إلى ذلك، بل سلب كل نقص، ثم إنَّ مرجع سلب الإمكان في الحقيقة إلى وجوب الوجود، ووجوب الوجود من الصفات الثبوتية الكمالية، فترجع الصفات الجلالية (السلبية) آخر الأمر إلى صفات الكمالية (الثبوتية)."<sup>(٣)</sup>

أمّا الصفات الثبوتية، فالمراد بها عند الشيعة نفي أضدادها<sup>(٤)</sup>، والصفات الكمالية عند الشيعة هي عين الذات، ويرون أنَّ كمال التوحيد هو إثباتها لله تعالى؛ لأنَّ الذات الفاقدة لهذه الصفات تكون محدودة لخروجها عن تلك الذات، ولا شيء من المحدود بواجب ولا خالق، فمن وَصَفَ الله تعالى بالصفات الكمالية التي هي عين ذاته فقد وَحَدَه.

والصفات الثبوتية تنقسم بدورها إلى قسمين اثنين: صفات الذات، وصفات الأفعال.

(١) - تصحيح اعتقادات الإمامية: للمفيد - تحقيق حسين دركاهي - مطبعة دار المفيد ١٤١٤ هـ - ص ٣٩ - ٤١.

(٢) شيعي عراقى ولد عام ١٣٢٢ هجرى وترعرع في أحضان أسرة برزت على الساحة الدينية منذ أواسط القرن الثاني عشر الهجرى، عرفت باسم جدها الأعلى مظفر بن أحمد.

(٣) عقائد الإمامية - محمد رضا المظفر ص ٢٥.

(٤) حقّ اليقين في معرفة أصول الدين - عبد الله شير - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٩٧ م، ص ٤١.

وصفات الذات: هي كونها مستحقة للذات الإلهية استحقاقاً لازماً، لا لشيء سواها. وهي وصفه بأنه حيٌّ، عالمٌ، قادرٌ، وأنه لم يزل مستحقاً لهذه الصفات<sup>(١)</sup>، يقول المظفر: "ونعتقد أن من صفاته تعالى الثبوتية الحقيقية الكمالية التي تسمى بصفات (الجمال والكمال)، كالعلم والقدرة والغنى والإرادة والحياة - هي كلها عينُ ذاته ليست هي صفات زائدة عليها، وليس وجودها إلّا وجود الذات، فقدرته من حيث الوجود حياته."<sup>(٢)</sup>

أمّا صفات الأفعال: فهي ما تجب بوجود الفعل، ولا تجب قبل وجوده، ووصفه بصفات الأفعال معناه أنه قبل صدور الفعل لا يصح وصفه سبحانه بتلك الصفة، فالصفات الفعلية ترجع إلى الله تعالى، بمعنى أنه خلقها ونسبها إلى نفسه؛ فلا يقال له خالقٌ، إلا بعد أن يخلق، ولا يقال له رازقٌ، إلا بعد أن يرزق، أي: قبل خلقه الخلق لا يوصف بأنه خالق، وقبل إماتته الخلق لا يقال عنه مميت. إلى غير ذلك من الصفات التي لا يصح حملها على الذات إلا بعد وقوع الفعل من الله تعالى. وصفات الأفعال فيوصف الله تعالى بضدها، كما يصح خلوه عنها، ويصح أن يُقال فيه إنه غير خالق اليوم ولا رازق لزيد، ولا محيي للميت الفلاني، ولا مبدئ لشيء في هذه الحالة.<sup>(٣)</sup>

ويقول الصدوق<sup>(٤)</sup>: "ونقول: لم يزل الله تعالى سميعاً بصيراً عليمًا حكيمًا قادرًا عزيزًا حيًا قيومًا واحدًا قديمًا، وهذه صفات ذاته، ولا نقول: إنه تعالى لم يزل خلاقًا فاعلاً شائئًا مريدًا راضيًا ساخطًا رازقًا وهابًا متكلمًا؛ لأن هذه صفات أفعاله، وهي محدثة لا يجوز أن يقال: لم يزل الله تعالى موصوفًا بها."<sup>(٥)</sup>

(١) - البيان في تفسير القرآن - أبو القاسم الخوئي - زعيم الحوزة العلمية في النجف - دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، الطبعة السادسة، ص ٤٠٦.

(٢) - عقائد الإمامية - محمد رضا المظفر ص ٢٥.

(٣) - تصحيح اعتقادات الإمامية - ص 41.

(٤) والصدوق هو أبو الحسن، علي بن الحسين بن موسى بن بابويه الصدوق القمي وعرف بالصدوق الأول - توفي ٣٢٩ هـ - وعاصر الأمام العسكري وبلغ من ثقة الشيعة الإمامية به أنهم ينقلون فتاويه بدل النصوص، ويتمسكون بما يجدونه من شرائع لديه عندما لا يجدون النصوص.

(٥) الاعتقادات في دين الإمامية - للصدوق - تحقيق عصام عبد السيد - دار المفيد - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٤ - ص ٢٧.

ويقول المظفر: "وأما الصفات الثبوتية الإضافية؛ كالخالقية والرازقية والتقدم والعلية، فهي ترجع في حقيقتها إلى صفة واحدة حقيقية، وهي القيومية لمخلوقاته، وهي صفة واحدة تنتزع منها عدة صفات باعتبار اختلاف الآثار والملاحظات.<sup>(١)</sup>

بينما يُثبتُ أهلُ السُّنة الصفاتِ لله تعالى، وفي شرح العقيدة الطحاوية: "ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسُّنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى".<sup>(٢)</sup>

وذكر بعضُ الناس عنهم أنهم من المجسِّمة إلّا من اختلط منهم بالمعتزلة<sup>(٣)</sup>، ويقول ابن المرتضى اليماني وهو من الزيدية: "بأنَّ جُلَّ الإمامية على التجسيم إلّا من اختلط منهم بالمعتزلة"<sup>(٤)</sup>.

أما الأصل الثاني فهو العدل الإلهي، وهو الأصل<sup>(٥)</sup> الثاني عند المعتزلة أيضًا، وهو يعني عند الشيعة الاثني عشرية أنَّ الله لا يظلم أحدًا، وأنَّ القبيح ما استقبحه العقل، يقول كاشف

---

(١) عقائد الإمامية - محمد رضا المظفر - ص ٢٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - لعلّي بن أبي العزّ الدمشقي - دار الرسالة ١٩٩٧ - الجزء الثاني ص ٦٨٥.

(٣) هو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منها عقليًا متطرفًا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال، الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري. (انظر الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار - أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليميني الشافعي (٥٥٨هـ) - المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف - أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى، ١٩٩٩م ص ٥ وما بعدها).

(٤) الأشاعرة: فرقة تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية. للاطلاع على عقيدة الأشاعرة انظر: كتاب أبي الحسن الأشعري "الإبانة عن أصول الديانة"، وفي بدايته تحدث الكتاب عن أبي الحسن الأشعري ونشأة المذهب - (انظر الإبانة عن أصول الديانة - تحقيق بشير عون - مكتبة دار البيان - الطبعة الثالثة (١٩٩٠م - ص ٦ وما بعدها).

(٥) المنية والأمل - للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤١٥هـ) - تحقيق: الدكتور سامي النشار - الدكتور عصام الدين محمد - دار المطبوعات الجامعية - الإسكندرية - ١٩٧٢م - ص ١٩.

(٥) الأصول الخمسة عند المعتزلة التوحيد، العدل الإلهي المتزلة بين مترلّتين، الوعد الوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (شرح الأصول الخمسة - عبد الجبار بن أحمد المعتزلي - تعليق - أحمد بن الحسين بن أبي هاشم - تحقيق عبد الكريم عثمان - مكتبة وهبة - من ص ١٢٨ إلى ص ١٤٠).

الغطاء<sup>(١)</sup>: "العدل الاعتقاد بأن الله سبحانه لا يظلم أحداً، ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم، ولكنَّ الأشاعرة لما خالفوا العدلية، وهم المعتزلة والإمامية، فأنكروا الحسن والقبح العقليين، وقالوا: ليس الحسنُ إلَّا ما حسَّنه الشرعُ، وليس القبحُ إلَّا ما قبحه الشرع، وأنَّه تعالى لو خلَّد المطيع في جهنم، والعاصي في الجنة لم يكن قبيحاً، لأنه يتصرف في ملكه.... ويعني أنَّ الحاكم هو العقل مستقلاً، ولا سبيل لحكم الشرع فيها إلا تأكيداً وإرشاداً، والعقل يستقلُّ بحسن بعض الأفعال وقبح البعض الآخر، ويحكم بأنَّ القبيح مُحالٌ على الله تعالى لأنه حكيمٌ، وفعل القبيح منافٍ للحكمة، وتعذيبُ المطيع ظلمٌ، والظلمُ قبيحٌ، وهو لا يقع منه تعالى. وبهذا أثبتوا لله صفة العدل." (٢)

وفي بدايات التشيع كان الاثنا عشرية على مُعتقد أهل السُّنة في الجبر والتفويض، وأنَّ أفعال العباد بخلق الله تعالى وكسب العباد<sup>(٣)</sup>، ففي كتاب التوحيد للقمي: "حدثنا عليّ بن عبد الله الوراق - رحمه الله - قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن إسماعيل بن سهل، عن عثمان بن عيسى، عن محمد بن عجلان، قال: قلتُ لأبي - عبد الله - عليه السلام: فوَضَ الله الأمرَ إلى العباد؟ فقال: الله أكرمُ من أن يُفَوِّضَ إليهم، قلت: فأَجَبَ الله العبادَ على أفعالهم؟ فقال: الله أعدلُ من أن يُجبر عبداً على فعل ثم يعذبه عليه." (٤)

ولكنهم توجهوا إلى نفي القدر عند اتصاهاهم بالمعتزلة؛ فالمعتزلة يعتقدون أنَّ أفعال العباد مخلوقة للعبد وليس لله<sup>(٥)</sup>، وهو ما أثبتته ابن تيمية في كتاب منهاج السُّنة يقول: "قدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر، وإنما شاع فيهم نفي القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة." (٦)، وهذا كان في أواخر المائة الثالثة، وكثر بينهم في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه<sup>(٧)</sup>، يقول المفيد<sup>(٨)</sup>:

(١) محمد حسين آل كاشف الغطاء من علماء الشيعة، ولد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٨٧٦م.

(٢) أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين كاشف الغطاء-تحقيق: علاء آل جعفر المترجم- مؤسسة الإمام عليّ عليه السلام -ص ٢٩٩.

(٣) انظر العقيدة الطحاوية - للإمام الطحاوي - الطبعة الأولى ١٩٩٥ - مكتبة دار ابن حزم - بيروت - البند ١١١ ص ٢٧.

(٤) التوحيد - الصدوق - هاشم الحسيني الطراني - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ص ٣٦١

(٥) انظر فتاوى ابن تيمية - لابن تيمية - الجزء الثامن - ص ٣٨٦ وما بعدها.

(٦) منهاج السُّنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية - لابن تيمية الحراني - الجزء الثالث ١٣٩.

(٧) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - القفاري - الجزء الثاني ص ٦٣٨.

"الصحيح عن آل محمد -صلى الله عليه وآله - أن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى." (٢)، ورؤي عن أبي الحسن (٣) أنه سُئل عن أفعال العباد فقليل له: هل هي مخلوقة لله تعالى؟ فقال: "لو كان خالقاً لها لما تبرا منها وقد قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ ولم ترد البراءة من خلق ذواتهم وإنما تبرا من شركهم وقبائحهم." (٤)، وقال الحر العاملي (٥): "أقول: مذهب الإمامية والمعتزلة أن أفعال العباد صادرة عنهم وهم خالقون لها." (٦)

ويؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير، فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يعجز عن إنفاذ مراده، ومذهبنا هو مذهب وسط بين القدرية والمجبرة، يقول القرطبي: "ومذهبنا هو الاقتصاد في الاعتقاد، وهو مذهب بين مذهبي المجبرة والقدرية، وخير الأمور أوسطها. وذلك أن أهل الحق قالوا: نحن نفرق بين ما اضطررنا إليه وبين ما اخترناه، وهو أننا نذكر تفرقة بين حركة الارتعاش الواقعة في يد الإنسان بغير محاولته وإرادته ولا مقرونة بقدرته، وبين حركة الاختيار إذا حرك يده حركة مماثلة لحركة الارتعاش، ومن لا يفرق بين الحركتين: حركة الارتعاش وحركة الاختيار، وهما موجودتان في ذاته ومحسوستان في يده بمشاهدته وإدراك حاسته-

(١) محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام الحارثي المذحجي العكبري، المعروف بابن المعلم، والمفيد، كنيته أبو عبد الله (- 1022 م) ولد في قرية عكبرا على بُعد عشرة فراسخ من بغداد، يعتبر أحد أبرز علماء الإمامية وبالأخص الإثنا عشرية ومحدثيها، صاحب كتاب الإرشاد في الجرح والتعديل الذي يعتبر أحد كتب التاريخية لدى الشيعة.

(٢) تصحيح اعتقادات الإمامية - المفيد - ص ٤١.

(٣) وهو الإمام العسكري علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(٤) تصحيح اعتقادات الإمامية للمفيد - ص ٤٣.

(٥) أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن علي الحر العاملي (1033 هـ - 1104 هـ) رجل دين وفقه ومرجع ومحدث شيعي يُسمّى الحر العاملي، والعاملي نسبةً إلى جبل عامل، وكذلك يشتهر بلقب صاحب الوسائل لتأليفه كتاب (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة).

(٦) الفصول المهمة في أصول الأئمة - للحر العاملي - تحقيق محمد بن محمد الحسين القائني - مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - الجزء الأول ص ٢٥٧.

فَهُوَ مَعْتَوَةٌ فِي عَقْلِهِ وَمُخْتَلٌّ فِي حِسِّهِ، وَخَارِجٌ مِنْ حِزْبِ الْعُقَلَاءِ. وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَهُوَ طَرِيقٌ بَيْنَ طَرِيقِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ." (١)

يقول ابن تيمية عن أهل السنة: "وهم في باب خلقه وأمره وَسْطٌ بين المكذِبين لقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيتته الشاملة وخلقهم لكل شيء، وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل، فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب، فيصيرون بمرتلة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾. [الأنعام: ١٤٨]" (٢).

وثالث أصولهم النبوة، ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أنَّ النبوة مهمة إلهية، وأنَّ الأنبياء معصومون (٣) عن كبير الذنوب وصغيرها (٤) يقول المفيد: "اعتقادنا في الأنبياء والرسل والملائكة والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. ومن نفى العصمة عنهم في شيء من أحوالهم فقد جهلهم. واعتقادنا فيهم أنهم موصوفون بالكمال والعلم، من أوائل أمورهم إلى أواخرها لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا جهل." (٥)، ويقول أحمد الإحسائي في كتابه العصمة: "مذهب الإمامية تزيه الله تعالى للأنبياء قبل البعثة وبعدها اختياراً واضطراراً، عمداً وسهواً، وهو مما لا خلاف فيه." (٦)

(١) الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ) - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية - ١٩٦٤م - الجزء ١٤ - ص ٩٧ وانظر ردود القرطبي على الشيعة لأبي عبيدة آل سلمان - المطبعة الأثرية - الأردن - ص ٦٤.

(٢) الوصية الكبرى لابن تيمية - مكتبة الصديق - الطائف - السعودية - ١٩٨٧ - ص ٥٢

(٣) عصمة الأنبياء عليهم السلام - زين العابدين عبد علي طاهر الكعبي - مطبعة ستارة - ص ٦٧.

(٤) عقائد الإمامية للمظفر ص ٣٥ وما بعدها.

(٥) الاعتقادات - الصدوق - المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - الطبعة: الأولى - ص ٩٦

(٦) كتاب العصمة (بحث مفصل في عصمة الأنبياء والأئمة) - لأحمد الإحسائي - تحقيق صالح أحمد دياب - مؤسسة البلاغ - الطبعة الثانية ١٤٢٩ - ص ٦٧.

أمّا ما هو عليه أهل السنة، فهو تزيه الأنبياء عن الكبائر دون الصغائر، يقول ابن تيمية: "إنّ القول بأنّ الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف... وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلّا ما يوافق هذا القول." (١)

ورابع أصول الشيعة: الإمامة، وهي في عقيدتهم منصبٌ إلهيٌّ يختاره الله بسابق علمه بعباده، كما يختار النبي، والقول بذلك ابتدعه ابن سبأ اليهودي. يقول الشهرستاني عن ابن سبأ: "وهو أوّل من أظهر القول بالنصّ على إمامة عليّ رضي الله عنه، لأنه كان يهوديًّا الأصل، يرى أنّ يوشع بن نون هو وصيُّ موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في عليّ بن أبي طالب." (٢)

ومما استشهدوا به على وجوب إمامة عليّ تأويلهم لقوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣)، بل إنّ الأنبياء جميعهم شهدوا لعليّ رضي الله عنه بالولاية، ومما ذكره الصفار: "عن أبي سعيد الخدري قال: رأيتُ رسولَ الله، وسمعتَه يقول: يا عليّ، ما بعثَ الله نبيًّا إلّا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً." (٤)

ويقول المفيد في كتابه فصول مختارة: "إنّ المأمون سأل الرضا (٥) قال: «يا أبا الحسن... إني فكرت في أمرنا وأمركم ونسبنا ونسبكم فوجدتُ الفضلية فيه واحدة، ورأيتُ اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبية... فقال الرضا: لو أنّ الله بعث محمداً فخرج علينا من

---

(١) مجموع الفتاوى - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) - تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٩٩٥م الجزء الرابع ص ٣١٩.

(٢) الملل والنحل - للشهرستاني - الجزء الأول ص ١٧٤.

(٣) المائدة، آية: ٦٧

(٤) بصائر الدرجات الكبرى - أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار - مطبعة الأحدي ١٤٠٤ - طهران - الجزء الأول ص ٩٢.

(٥) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو الإمام الثامن عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية.

وراء أكمة من هذه الأكماء فخطب إليك ابنتك أكنت تزوجه إياها فقال: يا سبحان الله! صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الرضا: أفتراه يحل له أن يخطب إليّ قال: فسكت المأمون، ثم قال: أنتم والله أُمسُّ برسول الله رحماً"، وهكذا استطاع الرضا أن يؤكد حقه بالإمامة لاتصاله برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووراثته إياه.<sup>(١)</sup>

كما أن الإمام مأمور بالتبليغ عن النبي من بعده ، يقول السبحاني<sup>(٢)</sup>: "وشأن الخليفة والإمام التبليغ والبيان وتفصيل المحمل وتفسير المعضل وإظهار ما لم يتسنّ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الإشارة إليه، إمّا لتأخّر ظرفه، أو لعدم تقيُّ النفوس له، أو لغير ذلك من العلل، وإذا مات الرسول فهناك أحكام لم تبلغ وإن كانت مشرّعة وأخرى لم تأتِ ظروفها؛ فالإمام مبلّغها ومبينها."<sup>(٣)</sup>

ومن الكرامات التي منحها الشيعة لأئمتهم الشفاعة<sup>(٤)</sup>، والشفاعة عند الشيعة الاثني عشرية ركن من أركان الإيمان، قال جعفر بن محمد الصادق<sup>(٥)</sup> (عليه السلام): "من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمساءلة في القبر، والشفاعة".<sup>(٦)</sup>

(١) الفصول المختارة - الشيخ المفيد - تحقيق عليّ مير شريف - الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. لبنان. ص ٣٧.

(٢) جعفر بن محمد حسين السبحاني الخياباني التبريزي. ولد السبحاني بمدينة تبريز في أسرة متدينة ١٣٤٧ هـ. وفيها نشأ وابتدأ دراساته الدينية وبعده التبريزي مرجع شيعي إيراني معاصر له بروز واضح في مجالات الكلام والتفسير والفلسفة، وهو مؤسس مؤسسة الإمام الصادق والمشرف عليها، وهي من المؤسسات الثقافية الإسلامية الكبيرة في قم، وتتبعها مؤسسات ومراكز فرعية أخرى .

(٣) مفاهيم القرآن - لجعفر السبحاني - مؤسسة الإمام الصادق - المطبعة: اعتماد - الجزء الخامس ٣٤٥.

(٤) بل وقد يفوق الإمام منزلة النبي يقول الخميني في كتابه على لسان جعفر بن محمد: "إنّ لنا مع الله حالات لا يسعها ملكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ" (الحكومة الإسلامية - لروح الله الخميني - الطبعة الثالثة ص ٥٢ - وانظر وجاء دور الجوس - لعبدالله الغريب - الطبعة العاشرة ٢٠٠٨ ص ١٥٠) كما يوحى إليهم وحي الأنبياء ؛ فقد ورد في كتاب بحار الأنوار<sup>(٤)</sup>: "كان المفضل عند أبي عبد الله فقال له: جُعِلْتُ فِدَاكَ! أيفرضُ الله طاعةَ عبدٍ على العباد، ويحجبُ عنه خيرَ السماء؟ فقال له أبو عبد الله -الإمام: لا، الله أكرمُ وأرحمُ وأرأفُ بعباده من أن يفرضَ طاعةَ عبدٍ على العباد ثم يحجبَ عنه خيرَ السماء صباحاً ومساءً." (بحار الأنوار - للمجلسي - الجزء ٢٦ ص ١٠٩).

(٥) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. الإمام السادس لدى الشيعة الإمامية.

(٦) الأمالي للصدوق - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - الطبعة الأولى ١٤١٧ - ص ١٧٧.



وأنَّ هذه الشفاعة خاصة بالشيعة منحصرة بهم؛ ففي مناقب آل أبي طالب يقول: "قال الصادق عليه السلام: والله لنشفعنَّ لشيعتنا، والله لنشفعنَّ لشيعتنا، والله لنشفعنَّ لشيعتنا حتى يقول الناس: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم."<sup>(١)</sup>

ويقول الصدوق: "وقال الصادق عليه السلام: شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا، وأمَّا التائبون فإنَّ الله عز وجل يقول: مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ."<sup>(٢)</sup>، وهم بهذا خالفوا المعتزلة الذين يعتقدون أنَّ الشفاعة زيادةً للطائعين من المؤمنين من غير العصاة، أمَّا العصاة فلا شفاعة لهم واتخذوا من هذه الآية دليلًا على قولهم. يقول الزمخشري في تفسيره: "فإنَّ قلت: هل فيه دليلٌ على أنَّ الشفاعة لا تُقبل للعصاة؟ قلتُ: نعم، لأنه نفى أنَّ تقضي نفسٌ عن نفسٍ حقًّا أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أنَّ يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنَّها لا تقبل للعصاة."<sup>(٣)</sup>

وآخر أصولهم المعاد، وفي المعاد يعتقد الاثنا عشرية كما يعتقد سائر المسلمين، أمَّا الرجعة عند الشيعة الاثني عشرية فتعني العودة بعد الموت، وهي من أصول المذهب الشيعي الاثني عشري، يقول ابن بابويه في الاعتقادات: "واعتقادنا في الرجعة أنَّها حق."<sup>(٤)</sup>، وقال المفيد: "واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات."<sup>(٥)</sup>، وقد ورد في بحار الأنوار للمجلسي حوالي ٢٠٠ حديث عن الرجعة، كما أُفردت للحديث عنها مصنفاتٌ كاملة مثل: الإيقاظ من المهجعة بالبرهان على الرجعة، وكتاب الرجعة للعاشي، وكتاب الرجعة للصدوق، وعشرات من الكتب غيرها.

ولجأ الشيعة الاثنا عشرية لتأصيل هذه العقيدة؛ لبعث الأمل لدى الشيعة الاثني عشرية بأنَّ هناك يومًا ما سينتقم فيه الشيعة الاثنا عشرية من أعدائهم، وفي بادئ الأمر كان المعتقد في

<sup>(١)</sup> مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب - الطبعة: ١٩٥٦ م - الجزء الثاني - ص ١٤.

<sup>(٢)</sup> من لا يحضره الفقيه - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم - الطبعة الثانية ١٤٠٤ - ص ٥٧٤.

<sup>(٣)</sup> الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨ هـ) دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ - الجزء الأول ص ٣٧.

<sup>(٤)</sup> الاعتقادات للصدوق - ص ٦٠.

<sup>(٥)</sup> أوائل المقالات - محمد العكري الملقب بالمفيد - تحقيق إبراهيم الأنصاري - مطبعة مهر - الطبعة الأولى ١٤١٣ - ص ٧٧.

الرجعة هو عودة الإمام، ولكن الاثني عشرية لم تقصره على الأئمة؛ بل جعلته عامة للإمام والناس.<sup>(١)</sup>

وأن هذه الرجعة تتوافق مع ظهور المهدي الإمام المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية في أغلب الروايات، ومنهم من جعل الرجعة غير الظهور للإمام المهدي، وأن الرجعة تكون للإمام الحسين، وأن هذه الرجعة تكون للمؤمنين والكافرين لمجازاة المحسن ومعاقبة المسيء، والروايات كثيرة، منها ما ذكره المجلسي<sup>(٢)</sup>: "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعناه يقول: إن أول من يكر في الرجعة الحسين بن عليّ عليهما السلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة حتى يسقط حاجباه على عينيه، وعن ابن أبي الخطاب، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن المنخل بن جميل، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ليس من مؤمن إلا وله قتلة وموتة، إنه من قُتل نُشِر حتى يموت، ومن مات نُشِر حتى يُقْتَل. ثم تلوتُ على أبي جعفر عليه السلام هذه الآية ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ فقال: ومنشوره، قلت قولك "ومنشوره" ما هو؟ فقال: هكذا أنزل بها جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله، "كل نفس ذائقة الموت ومنشوره" ثم قال: ما في هذه الأمة أحدٌ برٌّ ولا فاجرٌ إلا ويُنشر، أمّا المؤمنون فيُنشرون إلى قرّة أعينهم، وأمّا الفجار فيُنشرون إلى خزي الله إياهم، ألم تسمع أن الله تعالى يقول: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ وقوله ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ يعني بذلك محمدًا - صلى الله عليه وآله - قيامه في الرجعة ينذر فيها، وقوله: ﴿إنها لإحدى الكبر \* نذيرا للبشر﴾ يعني محمدًا - صلى الله عليه وآله - نذير للبشر في الرجعة. وقوله ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ قال: يظهره الله عزّ وجلّ في الرجعة، وقوله ﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد﴾ هو عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه إذا رجع في الرجعة. قال جابر: قال أبو جعفر عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام

<sup>(١)</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (١٢٧٠هـ) -

الناشر: عليّ عبد الباري عطية - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - الجزء العاشر ٢٣٧.

<sup>(٢)</sup> محمد باقر المجلسي من علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية. ولد في عام ١٠٣٧ هـ. في مدينة أصفهان التي كانت آنذاك

من المراكز العلمية المعروفة في العالم الإسلامي، وكان والده المولى محمد تقي المجلسي من مفاخر علماء الشيعة، له مؤلفات

كثيرة في شتى المجالات.

في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبِّمَا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ قال: هو أنا إذا خرجت أنا وشيعتي.<sup>(١)</sup>

أما الفروع فهي عشرة، وهي كما ذكرت: الصلاة<sup>(٢)</sup>، الصوم، الخمس، الزكاة، الحج، الجهاد، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتولي لأولياء الله، والتبري من أعداء الله.

وهذه الفروع أيضاً تحوي العديد من الاختلافات، منها: جمع الصلاة<sup>(٣)</sup>، والصيام حتى ذهاب الحمرة<sup>(٤)</sup>، والخمس في جميع الكسب<sup>(٥)</sup>، ووجوب التمتع بالحج<sup>(٦)</sup>، وتوقف الجهاد إلى حين ظهور المهدي<sup>(٧)</sup>، وتحديد معنى الولاء بالولاية لعلِّي رضي الله عنه، والبراء ممن عاداه على حد زعمهم<sup>(٨)</sup>.

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار - محمد باقر المجلسي - دار إحياء التراث العربي بيروت ٥٣ ص ٦٤.

(٢) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة - تأليف محمد بن الحسن الحر العاملي - تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم ١٤١٤ الجزء الرابع ص ١٠٧

(٤) المصدر السابق الجزء العاشر ص ٢٦

(٥) مصباح المنهاج - كتاب الخمس - محمد سعيد الطباطبائي الحكيم - دار الهلال - الطبعة الثانية ٢٠٠٧ - ص ٨

(٦) مستدرک الوسائل - لميرزا حسين النوري الطبرسي - تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم الجزء الثامن الطبعة الثانية ١٩٨٨ - ص ٨٣

(٧) وفي مستدرک الوسائل: (مثل من خرج منا أهل البيت قبل قيام القائم مثل فرخ طار ووقع منكره فتلاعت به الصبيان) الجزء ١١ ص ٣٧

(٨) عن أبي حمزة، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنما يعبد الله من يعرف الله فاما من لا يعرف الله فانما يعبد هكذا ضلالاً، قلت جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله صلى الله عليه واله وسلم ومولاة عليٍّ والائتمام به وبائمة الهدى عليهم السلام والبراءة الى الله عز وجل من عدوهم. هكذا يُعرف الله عز وجل، وفي رواية عمر بن مدرك الطائي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله لاصحابه: اي عرى الايمان اوثق؟ فقالوا الله ورسوله اعلم. وقال بعضهم الصلاة وقال بعضهم الصيام وقال بعضهم الحج والعمرة وقال بعضهم الجهاد فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: لكل ما قلتم فضل وليس به ولكن اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وتولي اولياء الله والتبري من اعداء الله (الكافي الجزء الثاني ص ١٢٥)

## ١-١-٤ المطلب الرابع: الشيعة في ميزان أهل السنة

اتفق معظم علماء أهل السنة على أن الشيعة فرقة ضالة، ومن أقوالهم فيهم:

- قال الشافعي: "لم أرَ أحدًا من أهل الأهواء أشهد بالزور من الرافضة"<sup>(١)</sup>
- وقال البخاري: "ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلفاليهود والنصارى، ولا يُسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم."<sup>(٢)</sup>
- وقال ابن حزم: "ولا خلاف بين أحد من الفرق المنتمية إلى المسلمين من أهل السنة، والمعتزلة والخوارج والمرجئة"<sup>(٣)</sup> والزيدية في وجوب الأخذ بما في القرآن الملتلو عندنا.... وإنما خالف في ذلك قومٌ من غلاة الروافض، وهم كفار بذلك، مشركون عند جميع أهل الإسلام. وليس كلامنا مع هؤلاء وإنما كلامنا مع ملتنا."<sup>(٤)</sup>
- ويقول ابن كثير: "ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحدٌ من الصحابة؛ فإنهم كانوا أطوع لله ولرسوله في حياته وبعد وفاته، من أن يفتتنوا عليه فيقدموا غيرَ من قدّمه، ويؤخروا من قدّمه بنصّه، حاشا وكلّا، ومن ظنّ بالصحابة - رضوان الله عليهم - ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) الكفاية في علم الرواية - أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي - تحقيق أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي

المدني - المكتبة العلمية - المدينة المنورة - الجزء الأول ص ٢٧

(٢) خلق أفعال العباد - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (٢٥٦هـ) - تحقيق عبد الرحمن عميرة - دار

المعارف السعودية - الرياض - الجزء الأول ص ٣٧

(٣) يقولون: الإيمان قول بلا عمل "أي إخراج الأعمال من مسمى الإيمان"، وعليه فإن: من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان من قال بهذه الأمور أو بعضها فهو مرجئ. انظر كتاب: الإيمان - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ) - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي، عمان، الأردن - الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ - ص ٩٧ و ص ٢٧٧ وما بعدها.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٥٤٦هـ) - تحقيق

أحمد محمد شاكر وقدم له الأستاذ الدكتور إحسان عباس - دار الآفاق الجديدة - بيروت - الجزء الأول ص ٦٩

ومضادته في حُكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحلَّ من إراقة المدام." (١)  
- ويقول ابن تيمية: "إنهم شرُّ من عامة أهلالأهواء، وأحقُّ بالقتال من الخوارج." (٢)

## ١-٢ المبحث الثاني: في التوجيه اللغوي

ورد في هذا المبحث ثلاثة مطالب؛ تحدّث أولها عن معنى التوجيه لغةً واصطلاحاً، وتحدّث الثاني عن معنى اللغة لغةً واصطلاحاً، أمّا الأخير فتحدّث عن المستويات اللغوية الأربعة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية.

### ١-٢-١ المطلب الأول: في التوجيه.

التوجيه لغةً: الواو والجيم والهاء: أصلٌ واحد يدلُّ على مقابلةٍ لشيءٍ، والوجه مستقبلٌ لكلِّ شيءٍ. والتَّوجيه أنْ تحفر تحت القِثَاءة أو البِطِّيخة ثم تُضجِعها. (٣)

والوجهُ والوجهةُ: القبلةُ وشبَّهها في كل وجهة، أي في كل وجه استقبلته وأخذت فيه، وتَجَهَّتْ إليك أُنْجَهْ أي توجَّهْتُ، لأنَّ أصل التاء فيهما واو. (٤)

والتوجيه اصطلاحاً أدرجه السكاكي ضمن المحسنات المعنوية، وعرّفه بقوله: "هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين." (٥)

وجاء في الكليات: "هو أن يؤلف المتكلم مفردات بعض الكلام أوجملياته، ويوجهها إلى أسماء متلائمات صفاتها اصطلاحاً من أسماء أعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك، مما يتشعب له من

(١) البداية والنهاية-أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٥٧٧٤هـ) -تحقيق: عبد الله بن عبد

المحسن التركي - دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى-١٩٩٧ - الجزء الثامن ص ٩٨

(٢) مجموع الفتاوى الجزء ٢٨ ص ٤٨٢

(٣) معجم مقاييس اللغة-أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٩٥هـ)-الحقق: عبد السلام محمد هارون

الناشر: دار الفكر-١٩٧٩م. -الجزء السادس ص ٩٠

(٤) لسان العرب الجزء ١٣ ص ٥٥٨

(٥) مفتاح العلوم -يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)-ضبطه

وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، ١٩٨٧ م الجزء ٤٢٧

الفنون توجيهًا مطابقًا لمعنى اللفظ الثاني، من غير اشتراك حقيقي، بخلاف التورية، والفرق بينهما من وجهين: أحدهما أن التورية تكون باللفظة المشتركة، والتوجيه باللفظ المصطلح، والثاني: أن التورية تكون باللفظة الواحدة، والتوجيه لا يصح إلا بعدة ألفاظ متلائمة.<sup>(١)</sup>

فالتوجيه: هو قبول أحد الأوجه المحتملة للكلام دون الأخرى موافقة لعقيدة أو لمذهب فكر. والتوجيه المقصود هنا هو الاتجاه بالكلام الذي يحتمل أكثر من رأي ناحية معينة دون غيرها لحلفية عقدية أو فكرية، ولا يقصد به تعدد الأوجه نفسها.

### ١-٢-٢ المطلب الثاني: في اللغة

اللغة لغة: اللام والغين والحرف المعتل أصلاً صحيحان، أحدهما يدل على الشيء لا يُعتدُّ به، والآخر على اللّهج بالشيء، ويُقال إن اشتقاق اللغة منه، أي يلهج صاحبها بها.<sup>(٢)</sup>

واللغة: اللسن، وهي فُعلةٌ من لَعَوْتُ أي تكَلَّمْتُ، أصلها لُعُوَةٌ ككُرَّةٍ وَقُلَّةٍ وَثُبَّةٍ، كلها لاماتها واوات، وقيل: أصلها لُعَيٌّ أو لُعُوٌّ، والهاء عوض، وجمعها لُعَى مثل بُرةٍ وَبُرَى. وفي المحكم: الجمع لغات ولُعُون. والنسبة إليها لُعَوِيٌّ، واللُعُو التُّنْق. ويقال: هذه لُعَتُهُم التي يَلْعُون بها أي يَنْطِقُون.<sup>(٣)</sup>

أمّا في الاصطلاح: فعُرِّفَتْ بتعريفاتٍ عديدة، أشهرها ما ذكره أبو الفتح ابن جني في كتابه (الخصائص) حيث قال: "حدُّ اللغة: أصوات يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم".<sup>(٤)</sup> وعرفها ابن الحاجب بأنها: "كل لفظ وضع لمعنى"<sup>(٥)</sup>.

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى:

١٠٩٤هـ)-المحقق: عدنان درويش - محمد المصري-مؤسسة الرسالة - بيروت - الجزء الأول ص ٣٠١

(٢) مقاييس اللغة -الجزء الخامس ٢٥٥

(٣) لسان العرب الجزء ١٥ ص ٢٥٠

(٤) الخصائص - أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٥٣٩٢هـ)- الهيئة المصرية العامة للكتاب -الطبعة: الرابعة- الجزء الأول ص

٣٤

(٥) المزهري في علوم اللغة وأنواعها- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)-المحقق: فؤاد عليّ

منصور- دار الكتب العلمية - بيروت-الطبعة: الأولى ١٩٩٨م -الجزء الأول ص ١١

أمّا دي سوسير فيقول: "اللغةُ نظامٌ من العلامات أو الإشارات للتعبير عن الأفكار" A language is a system of signs expressing ideas" ويضيف: "اللغة مؤسسة اجتماعية؛ فهينتااج اجتماعيٌّ للملكة اللسان، ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبنّاها مجتمعٌ ما ليساعد أفرادَه على ممارسة هذه الملكة." (١)

وتعريف ابن جني من أفضل التعاريف كما هو عليه أهل اللغة؛ فهو يشمل الأركان التي يدور عليها تعريف اللغة عند جميع من عرفّها، من أنّها صوتية تعبيرية اجتماعية عُرفية، وإنّ كانت بعض التعريفات الحديثة للغة تتوسع، فتدخلفيها الإشارات، إلّا أنّحصر اللغة في الأصوات المنطوقة أفضل.

### ١-٢-٣ المطلب الثالث: المستويات اللغوية

ويندرج تحت اللغة مستويات أربعة هي: المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي.

ويُعنى المستوى الصوتي بالنظر في الأصوات اللغوية من حيث طبائعها العامة بوصفها خاصة لغوية للإنسان. (٢)

فيدرس الصوتَ وهو ما يعبر عنه بـ (الفونيم) باعتباره أصغر وحدة صوتية ذات أثر في الدلالة، أي إنّها إذا حلّت محلّ غيرها مع اتحاد السياق الصوتي تغيرت الدلالة واختلف المعنى؛ كالفرق بين (قاد، قاس، قام) كما إنّ التغير في الحركات يغيّر أيضاً في المعنى مثل: (كُتِبَ، كَتِبَ، كُتِبَ) (٣)، وهناك فونيمات ثانوية (٤) تتمثل في العناصر الأدائية للأصوات بشقيها الصامت والصائت مثل: النبر (٥)، والتنغيم. (١)

(١) علم اللغة العام لـ دي سوسير - ترجمة يوثيل عزيز - افاق عربية ١٩٩٥ - ص ٢

(٢) انظر علم الأصوات - لكمال بشر - دار غريب - ص ٧٠

(٣) علم الأصوات لكمال بشر ص ٩ - وانظر تعريفات العلماء للفونيم ص ١٨

(٤) أما ما يطلق عليه الفون: فهو بمثابة تنوع نطقي للفونيم أو الصوت الأصلي لا يؤثر في الدلالة، كالاختلاف في نطق الجيم المعطشة، عن الجيم الشامية، عن القاهرية.

(٥) ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حولها من (انظر اللغة العربية مبناها ومعناها - تمام حسان - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٣-١٨٩)

**أما المستوى الصرفي:** فُيعنى بالكلمة باعتبارها الوحدة الصرفية الأولى؛ فيدور البحث حول أصلها وصيغتها ووزنها ومعرفة الزائد والأصلي من أصواتها... الخ<sup>(٢)</sup>، وهي ما يُطلق عليه المورفيم. فالمورفيم أصغر وحدة صرفية تحمل معنى<sup>(٣)</sup>، وهذا يعني أنه لا يمكن تجزئتها دون الإخلال بالمعنى.

وتنقسم المورفيمات إلى نوعين باعتبار وجودها في الكلام أو عدمه:

١- مورفيم صوتي: حيث يتحقق وجوده بعنصر صوتي يتكون من صوت واحد أو مقطع، وفي تبادل الأصوات الصائتة أو تغير الحركات دون إضافة عنصر صوتي جديد، أو في عنصر من عناصر الأداء كاللتنعيم والنبر والوقف.

٢- ومورفيم الصفر: فهو لا تظهر له علامة صوتية دائماً، وإنما يُستدل على وجوده من المعنى الوظيفي أو الاستتار أو الحذف.<sup>(٤)</sup>

**والمستوى الثالث هو المستوى الدلالي:** ويُعنى المستوى الدلالي بمعنى الكلمة الحقيقي والمجازي، والترادف والاشتراك والتطور الدلالي للألفاظ؛ فقد تختفي الدلالة الأساسية للكلمة، وتنتقل الكلمة من الدلالة الحسية إلى الدلالة التجريدية، وقد يجري تعديل على بعض الكلمات لما لها من دلالات مكروهة وهو ما يعرف باللامساس، وقد تُخصَّص الدلالة بتحويلها من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي، أو يُضيق مجال استعمالها، أو يعمَّم بأن يصبح عدد استعمالات الكلمة كثيراً، كما إنَّ الدلالة قد يصيبها رقس أو انحطاط، إلى غير ذلك مما يُعنى به المستوى الدلالي للغة.

**وآخرها المستوى النحوي:** ويُعنى بتركيب الجملة وعلاقة أجزائها، وتأثير كل منها بالآخر، وتعددت النظريات الحديثة تجاه الجملة، ولقد حاول المحدثون وضع تصوُّر، وأشهر مذهبين هما:

(١) وهو مصطلح يدل على ارتفاع الصوت وانخفاضه في الكلام.

(٢) أسس علم اللغة - ماريو باي - ترجمة أحمد مختار عمر - عالم الكتب - الطبعة الثامنة ١٩٨٨ ص ٤٤

(٣) انظر علم اللغة ( مقدمة للقارئ العربي ) - السعران - دار النهضة - بيروت - ص ٢١٦ وما بعدها

(٤) اللغة - جوزيف فندريس Joseph Vendryes (٥١٣٨٠) - تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص - مكتبة

الأنجلو المصرية - ١٩٥٠ م ص ١١٣-١١٢



١-المذهب التركيبي: ومؤسسه (دي سوسير)، ولا تنظر هذه المدرسة إلى الجملة على أنها كلمات متتابعة أفقيًا، بل على أنها طبقات من المكونات الكبرى المتراكمة بعضها فوق بعض.(١)

٢-المذهب التحليلي: ورائد هذه المدرسة (نعوم تشومسكي)، وقد مرت هذه المدرسة بمرحلتين:

أ-مرحلة التوليد: يُقصد بها أن يكون للقواعد التوليدية القدرة الذاتية على تمييز الجمل الصحيحة.

ب-مرحلة التحويل: تعتبر أن معظم الجمل لها تركيبان (باطني وخارجي).(٢)

### ١-٣ المبحث الثالث: نبذة عن حياة الطبرسي، ومنهجه في التأليف.

#### ١-٣-١ نبذة عن حياة الطبرسي:

**الطبرسي:** هو أمين الدولة، أبو علي، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزاوري الرضي أو المشهدي من طبرستان.(٣) لُقّب الطبرسي بأمين الإسلام وشيخ المفسرين(٤)، وُلد — ٤٧٠ هـ، وتوفي — ٥٤٨ هـ. ذكره الزركلي في الأعلام(٥)، ولم يذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان(٦)، ولا السيوطي في طبقات المفسرين.(١)

---

(١) انظر مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي - رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي الطبعة الثانية ١٩٨٥ - ص ١٨٣

(٢) مدخل إلى علم اللغة الحديث د عبد الفتاح البركاوي الطبعة الرابعة

(٣) مناهج المفسرين - منيع بن عبد الحليم محمود (١٤٣٠هـ) - دار الكتاب المصري - القاهرة - دار الكتاب اللبناني - ٢٠٠٠ ص ١٥٣.

(٤) انظر الشيخ الطبرسي إمام المفسرين في القرن السادس حياته وآثاره - لجعفر السبحاني منشورات - مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - الطبعة: الأولى.

(٥) الأعلام - خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ) - دار العلم للملايين - الطبعة: الخامسة عشرة - الجزء الخامس - ص ١٤٨.

(٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان اليرمكي الإربلي (٥٦٨١هـ) - إحسان عباس - دار صادر - بيروت.

ومن ترجم له من المحدثين: محمود شلتوت<sup>(٢)</sup>، الذي قدّم طبعة "مجمع البيان"<sup>(٣)</sup> التي أصدرتها<sup>(٤)</sup> دار التقريب<sup>(٥)</sup>؛ حيث كان عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر آنذاك، ووكيل جماعة التقريب<sup>(٦)</sup>.

وروى الطبرسي عن الطوسي<sup>(٧)</sup> والقمي، وأبي جعفر الدورستي، وغيرهم<sup>(٨)</sup>، وروى عنه الشيخ منتخب الدين صاحب الفهرست، والسيد فضل الله الروندي وغيرهما.

ومن أبرز ما ترك من تصانيف ومؤلفات: تفسير جوامع الجامع، والوافي "أيضاً في تفسير وعلوم القرآن"، والوجيز "في تفسير وعلوم القرآن"، وتاج المواليد وهو كتاب في الأنساب، إعلام الوري بأعلام الهدى "وقد جمع فيه فضائل الأئمة الهداة وأحوالهم".

توفي في سبزوار، ونقل إلى المشهد الرضوي

---

(١) طبقات المفسرين - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) - المحقق: علي محمد عمر - مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٦.

(٢) صاحب الفتوى الشهيرة بجواز التعبد على المذهب الجعفري الاثني عشري.

(٣) مجمع البيان - للطبرسي - دار التقريب - الطبعة الأولى ١٩٥٨ م، وطبعة قدم لها محمود شلتوت ١٩٦٣ م.

(٤) سمي هذا التفسير تفسير التقريب؛ نظراً لأن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أنشئت (١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م) اختارته ليكون ضمن مطبوعاتها؛ وبرروا لذلك بأن التفسير يتميز بأنه يجمع ما روى عن طريق آل البيت رضي الله عنهم، وما روى من طريق مذاهب السنة.

(٥) أنشئت دار التقريب بين المذاهب الإسلامية (١٩٤٧ م)، ومن أبرز أهداف هذه الجماعة - كما حددها هم - العمل على جمع كلمة أرباب المذاهب الإسلامية "الطوائف الإسلامية"، الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التي يجب الإيمان بها، والسعي إلى إزالة التزايدات بين الشعوب والطوائف والتوفيق بينها.

(٦) قال عنه عبد المجيد سليم - "... هو كتاب جليل الشأن غزير العلم كثير الفوائد وحسن الترتيب. لا أحسبني مبالغاً إذا قلت إنه في مقدمة كتب التفسير التي تعد مراجع لعلومه وبحوثه، وجدت صاحبه عميق التفكير عظيم التدبر، متمكناً من علمه، قوياً في أسلوبه وتعبيره، شديد الحرص على أن يجلي للناس كثيراً من المسائل التي يفيدهم علمه. مقدمة مجمع البيان طبعة دار التقريب - ١٩٥٨ - الجزء الأول - ص ١.

(٧) أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (٣٨٥ هـ - ٤٦٠ هـ) شيخ الإمامية ورئيس الطائفة. يعتبر لدى الشيعة ذا منزلة عظيمة وهو عندهم ثقة عين صدوق عارف بالأخبار والرجال والفقهاء، سمي بالطوسي نسبة إلى طوس من مدن خراسان. وله مؤلفات كثيرة منها رجال الطوسي، والاستبصار، والأمال - والبيان في تفسير القرآن وغيرها.

(٨) أعيان الشيعة ل- محسن الأمين العالمي - مطبعة ابن زيدون - دمشق - ١٣٩٩ الجزء ٣٧ ص ٨٩.

### ١-٣-٢ المطلب الثاني: منهج الطبرسي في التفسير .

اقتصد الطبرسي في حديثه عن أخبار الأئمة في تأويل الآيات، واعتمد على اللغة في تفسيرها، وقد أعربَ عن أهمية علوم العربية في مقدمة كتابه، يقول: "إنَّ الإعرابَ أجلُّ علوم القرآن، إليه يفتقر كلُّ بيان، وهو الذي يفتح من الألفاظ الأغلاق، ويستخرج من فحواها الأعلاق؛ إذ الأغراض كامنة فيها، فيكون هو المثير لها، والباحث عنها، والمشير إليها، وهو معيار الكلام الذي لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه، ومقياسه الذي لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع إليه."<sup>(١)</sup>

والطبرسي في كلِّ شرح لآية يعقد عنواناً للغة يبيِّن فيه معاني الكلمات التي تحتاج إلى بيان، ويأتي بالشواهد من الشعر والنثر، ويعقد آخرَ للإعراب يبين فيه المسائل النحوية التي يرى أنها بحاجة إلى بيان قبل تفسيره لمعنى الآيات، ويُفرد باباً للنظم في بعض الآيات يبين وجه اتصال الآيات ببعضها، إضافةً لذكره القراءات، والحُجَّة فيها، وأسباب التزول في بداية الشرح.<sup>(٢)</sup>

وقد اعتمد الطبرسي على كتاب "التبيان في علوم القرآن" لشيخ الطائفة" للطوسي، وزاد عليه في المسائل اللغوية والتفريعات العلمية.

وللطبرسي تفسيرٌ آخرُ، وهو "جوامع الجامع"<sup>(٣)</sup>، وكتابه الكافي الشافي وهو مختصر لكتابي الكشف للزمخشري ومجمع البيان للطبرسي، ألفه بعد اطلاعه على الكشف للزمخشري وإعجابه به، ولم يتعرض لمباحث لغوية فيه ولا للقراءات كثيراً.

---

(١) مقدمة مجمع البيان للطبرسي، ص ١٢.

(٢) انظر منهج الشيعة الاثني عشرية في تفسير القرآن (الطبرسي نموذجاً) - مجدي الجارحي - الطبعة الأولى ٢٠٠٩ ، تحدث تفصيلاً عن منهج تفسير مجمع البيان للطبرسي.

(٣) جوامع الجامع - الطبرسي - مؤسسة النشر الإسلامي - الطبعة الأولى - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم.

وفي ختام هذا الفصل أنه إلى أن هذا الفصل اشتمل على مبحثين؛ يدور أولهما حول معنى التشيع، وكيفية تطوُّر هذا المعنى ليخصَّ من يزعمون أنهم أتباعُ عليٍّ رضي الله عنه خاصة، وأهم المراحل التي مرَّ بها الفكرُ الشيعي، وأشهر الفرق التي تنتمي إلى هذه الطائفة، كما عرضتُ في هذا المبحث أهم الأصول العقائدية التي استند عليها الشيعةُ في توجيه النصوص القرآنية، وفروعهم الفقهية بإيجاز، وأقوال بعض علماء أهل السنة في هذه الطائفة.

ثم بينتُ في المبحث الثاني معنى التوجيه لغةً واصطلاحاً، ومعنى اللغة، مع ذكر عام للمستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، والتي قُسم البحثُ على أساس الثلاثة

## الفصل الثاني:

التّوجيه النّحوي للنّص القرآني عند الشيعة  
الاثني عشرية مع نبذة عن حياة الطّبرسي  
ومنهجه في التّفسير

يعالج هذا الفصلُ النصوصَ المتعلقة بالمستوى النحوي للغة، وهو المستوى الثالث من مستويات اللغة، ويدرس هذا المستوى بناءً الجملة، ودور كل جزء في هذا البناء، وعلاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض، وأثر كل جزء منها في الآخر مع العناية بالعلامة الإعرابية.

وتأتي دراسة النحو على هذا الشكل ضمن تسلسل العناصر اللغوية الذي انتهجته اللسانيات الحديثة، وهو يبدأ من الأصوات إلى البنية، فالتركيب النحوي، ثم الدلالة التي تمثل قمة هذه العناصر وثمرتها.

والوحدات النحوية (تاجيمات): هي أصغرُ وحدات التركيب النحوي التي تؤدي معاني نحوية على سبيل الاستقلال، وذلك مثل الوحدات الدالة على الفاعلية أو المفعولية.

أما الملامح النحوية (تاكسيمات): فهي أصغر وحدات التركيب النحوي، التي لا تدل على معنى في ذاتها، ولكن يؤدي تغييرها إلى تغير المعنى النحوي للوحدات النحوية، وهذه الملامح حددها بلومفيد بالترتيب والاختيار والتعديل الصوتي والأداء.<sup>(١)</sup>

### وتنقسم الوحدات النحوية إلى قسمين:

١- الوحدات النحوية الإفرادية: وهي الوحدات الصغرى التي تدخل الجملة، وتؤدي معنى مستقلاً في الجملة، وتنقسم إلى: المرفوعات كالفاعل والمبتدأ، والمنصوبات كالمفاعيل، والمجرورات، وحروف المعاني وهي التي أطلق عليها ابن هشام المفردات، ويعني بها الحروف وما تضمن معنى الحرف من أسماء.<sup>(٢)</sup>

٢- الوحدات النحوية التركيبية: وهي كل ما دل على معنى يوصف به التركيب أو الجملة بأسرها، وذلك مثل معاني الاستفهام أو الأمر أو غير ذلك، وهو ما أطلق عليه ابن فارس معاني

(١) دلالة السياق لعبد الفتاح البركاوي

(٢) انظر مغني اللبيب عن كتب الأعراب - عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن

هشام (٧٦١هـ) - تحقيق مازن المبارك / محمد عليّ حمد الله - دار الفكر - دمشق - الطبعة: السادسة - الجزء الأول ص ١٢

الكلام<sup>(١)</sup>، وتنقسم هذه الوحدات التركيبية إلى وحدات إنشائية ووحدات خبرية، يقول التهانوني: "اعلم أن الخذاق من النحاة أهل البيان وغيرهم قاطبة، متفقون على انحصار الكلام في الخبر والإنشاء، وأنه ليس له ثالث."<sup>(٢)</sup>

والوحدات النحوية الخبرية: هي التي تتعلق بموقف المخاطب من موضوع الحديث، أما الإنشائية؛ فتتعلق بموقف المتحدث نفسه، وتنقسم المعاني الإنشائية إلى: طلبية وغير طلبية. والطلبية ما استدعى مطلوباً غير حاصل في وقت الطلب، كالاستفهام والتمني والأمر والنهي والنداء<sup>(٣)</sup>، أما غير الطلبية وهي التي عبر عنها تمام حسان بالمعاني الإفصاحية<sup>(٤)</sup>، فتشمل: القسم، والشرط، والتعجب، والمدح، والذم وغيرها.

ويندرج تحت هذا الفصل مبحثان: يتعلق أولها بالوحدات النحوية الإفرادية، ويندرج تحته عددٌ من المطالب، يتعلق أولها بالمرفوعات والمنصوبات والمجرورات، وثانيها بعود الضمير، أما ثالثها فيتعلق بمعاني الحروف.

أما المبحث الثاني فيتعلق بالوحدات النحوية التركيبية، ويتضمن مطلبين: أولهما للوحدات النحوية الإنشائية، والثاني للوحدات النحوية الخبرية.

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامه - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين

(٣٩٥هـ-) الناشر: محمد عليّ بيضون - الطبعة: الطبعة الأولى - ١٩٩٧م - ص ٢٨٩

(٢) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون للتهانوني - موسوعة العلوم الإسلامية - تحقيق لطفي عبد البديع الجزء الثاني ص ١٨٦

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة - محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب

دمشق (٧٣٩هـ-) (الحقق: محمد عبد المنعم خفاجي) - الناشر: دار الجيل - بيروت - الطبعة: الثالثة - الجزء الأول ص ١٢٥

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها - تمام حسان - الجزء الأول - ص ٣٦٤

## ٢-١ المبحث الأول: الوحدات النحوية الإفرادية.

وهي الوحدات التي تؤدّي معنى مستقلاً في الجملة وتنقسم إلى: المرفوعات كالفاعل والمبتدأ، والمنصوبات كالمنفَعيل، والمجرورات، وحروف المعاني وهي التي أطلق عليها ابن هشام المرفوعات، ويعني بها الحروف وما تضمن معنى الحرف من أسماء.<sup>(١)</sup>

ويتكون هذا المبحث من ثلاثة مطالب، أولها يتضمن النماذج التي وجهها الطبرسي، وتتعلق بالمرفوعات والمنصوبات والمجرورات، وثانيها للنماذج الخاصة بعود الضمير، وثالثها للنماذج الخاصة بمعاني الحروف.

### ٢-١-١ المطلب الأول: المرفوعات والمنصوبات والمجرورات.

المرفوعات والمنصوبات والمجرورات هي الوحدات النحوية التي تدخل الجملة، وتؤدي عملاً مستقلاً كالفاعلية والمفعولية وغيرها.

### ٢-١-١-١ الأمر الأول: الفاعل

والفاعل: هو الاسم المرفوع المذكور قبله فعله<sup>(٢)</sup>، وعرفه ابن هشام الفاعل بأنه: "اسم أو ما في تأويله، أُسند إليه فعل أو ما في تأويله، مقدّم أصليّ الحل والصيغ."<sup>(٣)</sup>

وانقسم النحويون ثلاثة أقسام في مسألة حذف الفاعل؛ القسم الأول: يمثل البصريون<sup>(٤)</sup> وهم يمنعون حذف الفاعل فلا يجيزونه إلا في مواضع محددة وهيفاعل المصدر، و"إذا لاقى الفاعل

<sup>(١)</sup> انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (٥٧٦١هـ) - تحقيق: د. مازن المبارك / محمد عليّ حمد الله - دار الفكر - دمشق - الطبعة: السادسة - الجزء الأول ص ١٢

<sup>(٢)</sup> شرح الأجرومية - لحسن حفظي

٢٧٦ ضياء السالك إلى أوضح المسالك - محمد عبد العزيز النجار - مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م - الجزء الثاني ص ٢

٤ ينظر: المقتضب - محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (٢٨٥هـ) - تحقيق: محمد عبد الخالق عظمية - عالم الكتب. - بيروت - الجزء الأول ص ١٩، وانظر الأصول في النحو - أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ) - تحقيق: عبد الحسين الفتلي - مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت - الجزء الأول ص ٧٥



ساكنًا من كلمة أخرى كفاعل فعل الجماعة المؤكد بنون التوكيد، وفعل المؤنثة المخاطبة"، وإذا بُني الفعل للمفعول<sup>(١)</sup>. والقسم الثاني: يمثله الكسائي<sup>(٢)</sup>، الذي أجازَه قياسًا على حذف كل من المبتدأ والخبر<sup>(٣)</sup>. والقسم الثالث: الوسطيون: وهؤلاء لم يمنعوه ألبتة، ولم يجيزوه إلا مع قرينة حالية أو مقالية<sup>(٤)</sup>.

ومن النصوص التي وجهها الطبرسي في هذا الأمر:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

وجه الطبرسي هذه الآية عدة توجيهات، وسأذكر في هذا الموضع التوجيه الخاص بحذف الفاعل<sup>(٦)</sup>.

وسبب توجيه الطبرسي لهذه الآية هو نفي التجسيد<sup>(٧)</sup> عن الله سبحانه وتعالى<sup>(٨)</sup>، قال محمد بن علي الباقر: "يا جابر، ما أعظم فرية أهل الشام على الله عز وجل! يزعمون أن الله تبارك

(١) ينظر: الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م - الجزء الثاني - ص ٨٣

(٢) ينظر: المسائل البصريات، أبو علي الفارسي، تحقيق: محمد الشاطر أحمد، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ١/ ٥٢٧.

(٣) ينظر: خصائص التركيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٠م، ص ١٧٩.

(٤) ينظر: الطراز، العلوي، راجعه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ٢٥١.

(٥) الأعراف، آية ٥٤

(٦) انظر ص ١٤١ من البحث نفسه

(٧) توجد روايات كثيرة عند الشيعة تدل على أنهم أوبعضهم مجسدون منها ما روى زيد النرسي في كتابه عن عبد الله بن سنان قال « سمعت أبا عبد الله يقول إن الله يتزل في يوم عرفة في أول الزوال إلى الأرض على جمل أفرق يصالفخذه أهل عرفات يمينًا وشمالًا، فلا يزال كذلك حتى إذا كان عند المغرب ونفر الناس وكل الله ملكين بحيال المازمين يناديان عند المضيق الذي رأيت: يارب سلّم سلّم، والرّب يصعد إلى السماء ويقول جل جلاله: آمين آمين رب العالمين، فلذلك لا تكاد ترى صريعًا ولا كبيرًا) كتاب الأصول الستة عشر - دار الشبيستري - قم - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ - ص ٥٤.

(٨) نفي التجسيد هو ما تصطلح عليه الشيعة باسم نفي الصفات السلبية والصفات السلبية في تعريفهم هي الصفات التي يجب سلبها عن الذات، باعتبار أن اتصاف الذات بها يلزم منه محال من المحالات، لأنها تتناقى مع وجوب الوجود. وهي صفات عدمية، أو هي: الصفات التي يجلّ الله تعالى عن الوصف بها، وقد ذكرت هذا في بداية البحث

وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجره فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذَه مصلى، يا جابر، إنَّ الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيهه، تعالى عن صفة الواصفين، وجلَّ عن أوهام المتوهمين، واحتجب عن أعين الناظرين، لا يزول مع الزائلين ولا يافل مع الآفلين، ليس كمثله شئ وهو السميع العليم.<sup>(١)</sup>

يقول الطبرسي<sup>(٢)</sup>: "أي استوى<sup>(٣)</sup> أمره على الملك. عن الحسن يعني استقرَّ ملكه واستقام بعد خلق السماوات والأرض، فظهر ذلك للملائكة، وإنما أخرج هذا على المتعارف من كلام العرب كقولهم استوى الملك على عرشه إذا انتظمت أمور مملكته وإذا اختلَّ أمر ملكه قالوا ثلَّ عرشه، ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير أبداً...".<sup>(٤)</sup>

وفي لسان العرب يقول ابن منظور: "قال أحمد بن يحيى في قوله عزَّ وجل: الرحمنُ على العرش استوى؛ قال الاستواءُ الإقبال على الشيء، وقال الأخفش: استوى أي علا، تقول: استويْتُ فوق الدابة وعلى ظهر البيت أي علوُّه، واستوى على ظهر دابته أي استقرَّ"<sup>(٥)</sup>.

وقال الزجاج في قوله تعالى: "ثم استوى إلى السماء: عمدَ وقصد إلى السماء، كما تقول: فرغ الأميرُ من بلد كذا وكذا ثم استوى إلى بلد كذا وكذا، معناه قصد بالاستواء إليه. قال داود بن عليّ الأصبهاني: كنتُ عند ابن الأعرابي فأتاه رجلٌ فقال: ما معنى قول الله عز وجل: {الرحمنُ على العرش استوى}؟ فقال ابن الأعرابي: هو على عرشه كما أخبر، فقال: يا أبا عبد الله إنما معناه استوى، فقال ابن الأعرابي: ما يُدريك؟ قال: العربُ لا تقول استوى على الشيء حتى يكون له مُضادٌّ فأيهما غلب فقد استوى؛ أما سمعت قول النابغة: إلَّا لمثلِكَ، أو مَنْ أنت

(١) التوحيد - للقمي الملقب بالصدوق - ص ١٧٩

(٢) هناك توجيهات أخرى لهذه الآية عند الطبرسي، سأذكرها في موضعها إن شاء الله

(٣) واعلم أنه تعالى ذكر قوله: (أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) في سور سبع. إحداها: ههنا. وثانيها: في يونس، الآية: ٣. وثالثها: في الرعد، الآية ٢. ورابعها: في طه، الآية: ٥. وخامسها: في الفرقان، الآية ٥٩. وسادسها: في السجدة، الآية ٤. وسابعها: في الحديد، الآية: ٤ انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٣٧٣

<sup>(٤)</sup> مجمع البيان للطبرسي الجزء الرابع ص ٢٠١

<sup>(٥)</sup> لسان العرب الجزء ١٤ ص ٤١٤

سابقه سبق الجواد، إذا استولى على الأمد. وسئل مالك بن أنس: استوى، كيف استوى؟ فقال: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.<sup>(١)</sup>

وذكر القرطبي في كتابه الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى<sup>(٢)</sup> أربعة عشر تأويلاً للاستواء، منها تأويل الاستواء بالاستيلاء، ومنها تأويل العرش بالملك وغيرها.

وقال مالك رحمه الله: "الاستواء معلوم - يعني في اللغة - والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة، وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها، وبه قال هو قول عدد من المفسرين."<sup>(٣)</sup>

وأقول إنَّ الفاعل في استوى هو (الله)<sup>(٤)</sup>، ولا مبرر لتأويل الفاعل بقوله أمره، كما فعل الطبرسي، حيث أنَّ تقدي الفاعل ليست مسألة عشوائية، فلا بدَّ من وجود قرينة دالة عليه.

وهو كما قال الإمام مالك رحمه الله: "الاستواء معلوم والكيفية مجهولة"، فلا داعي لتوجيه النص وتحميله مالا يحتمل.

## ٢-١-١-٢ الأمر الثاني: المفعول به:

والمفعول به: هو الذي يقع عليه فعلُ الفاعل في مثل قولك: ضرب زيد عمرًا، وبلغتُ البلد، وهو الفارق بين المتعدي من الأفعال وغير المتعدي، ويكون واحدًا فصاعدًا إلى الثلاثة.<sup>(٥)</sup>

<sup>(١)</sup> معاني القرآن وإعرابه - إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ) - المحقق: عبد الجليل عبده شلي - عالم الكتب - بيروت - الطبعة: الأولى ١٩٨٨ م - الجزء الأول - ص ١٠٧

<sup>(٢)</sup> انظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى - للقرطبي - تحقيق عرفان حسونة الدمشقي - المكتبة العصرية للطباعة والنشر ٢٠٠٥

<sup>(٣)</sup> انظر الجامع لأحكام القرآن - القرطبي (٦٧١هـ) - الجزء السابع ص ٢١٨، وانظر تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ) - المحقق: محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية، منشورات محمد عليّ بيضون - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ - الجزء الثالث ص ٣٨٣

<sup>(٤)</sup> إعراب القرآن وبيانه - محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (١٤٠٣هـ) - دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ - الجزء الثالث ص ٣٦٦

<sup>(٥)</sup> المفصل في صناعة الإعراب - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ) - المحقق: د. عليّ بو ملح - مكتبة الهلال - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٩٩٣ ص ٥٨

ويتعدد المفعول به، وإذا كان العامل في المفعول به من باب علم وظن<sup>(١)</sup> نصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر<sup>(٢)</sup>، وهناك أفعال تنصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر مثل: كسا وأعطى، وأفعال تنصب ثلاثة مفاعيل مثل: نبأ، وأنبأ، وخبر، وأخبر.

### ومن النصوص التي وجهها الطبرسي في هذا الأمر:

#### النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.<sup>(٣)</sup>

والذي دفع الطبرسي إلى توجيه هذه الآية هو أنَّ الشيعة وافقت مذهب المعتزلة، فقالوا بأنَّ صفات الله هي عين ذات الله، أي أنَّ الله سميعٌ بلا سمع، بصيرٌ بلا بصر، ونحو ذلك. فقد روى الكليني بسنده عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر أنه قال في صفة القديم: "إنه واحدٌ صمدٌ أحديُّ المعنى ليس بمعاني كثيرة مختلفة، قال: قلتُ: جعلتُ فذاك! يزعم قومٌ من أهل العراق أنَّه يسمع بغير الذي يبصر ويبصر بغير الذي يسمع، قال: فقال: كذبوا وألحدوا وشبهوا \_ تعالى الله عن ذلك \_ إنه سميعٌ بصيرٌ يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع، قال: قلتُ: إنَّه بصيرٌ على ما يعقلونه، فقال: تعالى الله إنما يُعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك." <sup>(٤)</sup>، بينما أثبت أهل السنة لله صفات زائدة عن صفاته.<sup>(٥)</sup>

(١) هـع الهوامع في شرح جمع الجوامع - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ - ) (المحقق: عبد الحميد هندائي - المكتبة التوفيقية - مصر - الجزء الثاني ص ١٥)

(٢) ظن. وحسب. وخال. وزعم. وجعل. وعد. وحجا. وهب. جميعها تفيد الشك مع ميل إلى الرجحان، ورأى. وعلم. ووجد. وألفى. ودرى. وتعلم. وتفيد اليقين، ورد. وترك. واتخذ. وجعل. ووهب. وهذه تفيد تحويل الشيء من حال إلى حال.

(٣) التوبة، آية: ١٠٥

(٤) الحاشية على أصول - لرفيع الدين محمد بن حيدر النائي (١٠٨٢) (تحقيق: محمد حسين الدرايتي - الطبعة: الأولى ١٤٢٤ - دار الحديث ص ٣٦٦)

(٥) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تبيان معنى قول أهل السنة والجماعة في أن صفات الله زائدة على الذات: "وإذا قال من قال من أهل الإثبات للصفات: أنا اثبت صفات الله زائدة على ذاته، فحقيقة ذلك أنا تثبتها زائدة على ما أثبتها النفاة من

بقول الطبرسي: "أراد بالرؤية ها هنا العلم الذي هو المعرفة؛ ولذلك عدّاه إلى مفعول واحد؛ أي يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه... وإنما قال سيرى الله مع أنه سبحانه عالم بالأشياء قبل وجودها؛ لأنّ المراد بذلك أنه سيعلمها موجودة بعد أن علمها معدومة، وكونه عالماً بأنّها ستوجد هو كونه عالماً بوجودها إذا وُجدت لا يتجدد حال له بذلك."<sup>(١)</sup>

وقوله: أراد بالرؤية العلم الذي هو المعرفة لذلك عدّاه إلى مفعول واحد غير صحيح، والعكس<sup>(٢)</sup> هو الصحيح فإنّ الأفعال القلبية هي التي تتعدى لأكثر من مفعول<sup>(٣)</sup>، أمّا الرؤيا بالعين أيّ الإبصار فيعدى بمفعول واحد، بل على العكس فتعديها لمفعول واحد يدل على أنّ معنى الرؤيا هو الإبصار، يقول الرازي: "إنّها تدل على كونه تعالى رائيًا للمرئيات، لأنّ الرؤية المعدة إلى مفعول واحد، هي الإبصار، والمعدة هي العلم، كما تقول رأيتُ زيدًا فقيهاً، وههنا الرؤية معداة إلى مفعول واحد فتكون بمعنى الإبصار، وذلك يدل على كونه مبصرًا للأشياء."<sup>(٤)</sup>

كما استدل بالسياق الدلالي للآية في قوله تعالى: ﴿وَسْتَرْدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ على أنّ الرؤيا هنا رؤيا بصرية يقول: "ومما يقوي أنّ الرؤية لا يمكن حملها ههنا على العلم أنه تعالى وصف نفسه بالعلم بعد هذه الآية فقال: ﴿وَسْتَرْدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ

---

الذات، فإن النفاة اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات، فقال أهل الإثبات: نحن نقول بإثبات صفات زائدة على ما أثبتته هؤلاء." انظر: مجموع الفتاوى، الجزء الخامس - ص ٣٢٦.

(١) مجمع البيان للطبرسي الجزء الخامس ص ٩١ ص

(٢) ولا عجب فحتى قواعد اللغة مأذون لهم التصرف بها، ومما ينقله الجبهان عن كتاب الشيعة والتشيع للكوسري: "أنه احتج أتباع (أحمد الإحسائي)<sup>(٢)</sup> يومًا عليه بركاكة الألفاظ، فقال: إنّ اللغة العربية قد أذنبت؛ فقيدها الله بقيود النحو، وإنّي سألتُ الله العفو عنها ففعا عنها، وحلّقيدها) تبديد الظلام وتنبيه الأنام على خطر التشيع على المسلمين والإسلام - لإبراهيم الجبهان - دار السقيفة - القاهرة - ص ٣٥٧.

(٣) انظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - عليّ الأشموني - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م - الجزء الأول ص ٣٦٠

وانظر حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك - أبو العرفان محمد بن عليّ الصبان - لناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٩٩٧ م - الجزء الثاني ص ٢٧

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦ هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ - الجزء ١٦ ص ١٤٢

وَالشَّهَادَةُ ﴿١﴾ ولو كانت هذه الرؤية هي العلم للزم حصول التكرير الخالي عن الفائدة وهو باطل. <sup>(١)</sup>

كما لا أوافق الرازي في اعتبار هذه الآية من أدلة كونه سبحانه وتعالى رائيًا، وهو مما لا شك فيه ﴿وهو السميع البصير﴾ <sup>(٢)</sup>، ولكن حمل هذه الآية على معنى الوعيد أولى، وهو ما اختاره الطبري والزمخشري وغيرهم من المفسرين <sup>(٣)</sup>؛ وذلك لما دلت عليه الفاء من ترتيب، فالعمل سيتبعه رؤيا من الله، فهو عز وجل يسمع ويرى.

### النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ <sup>(٤)</sup>

وهذه الآية المعروفة باسم آية المباهلة، وهي من أهم الآيات التي استخدمها الشيعة في إثبات فضل علي رضي الله عنه، وأنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم نفس واحدة، وقد وجه الطبرسي هذه الآية عدة توجيهات، كتوجيهه لمعنى الأبناء والنساء، والتي استند بها إلى السياق الخارجي للآية، ومن أهم هذه التوجيهات توجيهه لكلمة ﴿أنفسنا﴾، فقد وافق شيعته في تفسيرها من أن المقصود بـ ﴿أنفسنا﴾ علي خاصة، وأن نفس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ونفس علي رضي الله عنه واحدة <sup>(٥)</sup>.

<sup>(١)</sup> مفاتيح الغيب = التفسير الكبير - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

<sup>(٢)</sup> الشورى، آية: ١١

<sup>(٣)</sup> يقول القرطبي: ( حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: ثَنَا ابْنُ يَمَانَ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، { "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" } [التوبة: ١٠٥] قَالَ: هَذَا وَعِيدٌ ) تفسير الطبري الجزء ١١ ص ٦٦٨، ويقول الزمخشري: (وقوله فَسَيَرَى اللَّهُ وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة) لاجزاء الثاني ص ٣٠٨ .

<sup>(٤)</sup> آل عمران، آية: ٦١ .

<sup>(٥)</sup> كان في الري رجل يقال له: محمود بن الحسن الحمصي، وكان معلم الاثني عشرية، وكان يزعم أن عليًا رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد عليه السلام، قال: والذي يدل عليه قوله تعالى: ( وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ) وليس المراد بقوله ( وَأَنْفُسَنَا ) نفس محمد صلى الله عليه وسلم لأن الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد به غيره، وأجمعوا على أن ذلك الغير كان عليًا

يقول الطبرسي: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا الحسن والحسين، ويقول أبو بكر الرازي: هذا يدل على أن الحسن والحسين ابنا رسول الله، وأن ولد الابنة ابن في الحقيقة.

وقال ابن أبي علان وهو أحد أئمة المعتزلة: هذا يدل على أن الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال؛ لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين. وقال أصحابنا: إن صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل، وإنما جعل بلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية، وقد كان سنهما في تلك الحال سنّاً لا يمتنع معها أن يكونا كاملَي العقل، على أنه عندنا يجوز أن يخرق الله العادات للأئمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم، فلو صح أن كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم؛ إبانة لهم عمّن سواهم، ودلالة على مكانهم من الله تعالى واختصاصهم. ومما يؤيده من الأخبار قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ابناني هذان إمامان قاما أو قعدا".

﴿وَنِسَاءَنَا﴾ اتفقوا على أن المراد به فاطمة (ع) لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء؛ وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء. ويعضده ما جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها؟" وقال: "إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضائها". وقد صحّ عن حذيفة أنه قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أتاني ملكٌ فبشّرني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة أو نساء أمتي". وعن الشعبي عن مسروق "عن عائشة

---

بن أبي طالب رضي الله عنه، فدلّت الآية على أن نفس عليّ هي نفس محمد، ولا يمكن أن يكون المراد منه، أن هذه النفس هي عين تلك النفس، فالمراد أن هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه، ترك العمل بهذا العموم في حق النبوة، وفي حق الفضل لقيام الدلائل على أن محمداً عليه السلام كان نبياً وما كان عليّ كذلك، ولانعقاد الإجماع على أن محمداً عليه السلام كان أفضل من عليّ رضي الله عنه، فيبقى فيما وراءه معمولاً به، ثم الإجماع دل على أن محمداً عليه السلام كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء، فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية، ثم قال: ويؤيد الاستدلال بهذه الآية، الحديث المقبول عند الموافق والمخالف، وهو قوله عليه السلام: من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلته، وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه "فالحديث دل على أنه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم، وذلك يدل على أن علياً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم. ( من مفاتيح الغيب للرازي في موضع الآية)

قالت: سرَّ النبيُّ إلى فاطمة شيئاً فضحكت فسألتها، فقالت: قال لي: "ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين" فضحكت لذلك

﴿وَنِسَاءُكُمْ﴾ أي: من شئتم من نسائكم. ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ يعني علياً خاصة، ولا يجوز أن يكون المعنى به النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه هو الداعي، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وإنما يصح أن يدعو غيره، وإذا كان قوله وأنفسنا لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول وجب أن يكون إشارة إلى علي؛ لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين علي وزوجته وولديه في المباهلة، وهذا يدل على غاية الفضل، وعلو الدرجة، والبلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد؛ إذ جعله الله نفس الرسول، وهذا ما لا يدانيه فيه أحد ولا يقاربه. ومما يعضده من الروايات "ما صحَّ عن النبي أنه سأل عن بعض أصحابه فقال له قائل: فعلي، فقال: "ما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي". وقوله لبريدة الأسلمي: "يا بريدة لا تبغض علياً فإنه مني وأنا منه؛ إنَّ الناس خلَقوا من شجر شتى وخلقتُ أنا وعليٌّ من شجرة واحدة"، وقوله (ع) بأحد وقد ظهرت نكايته في المشركين ووقايته إياه بنفسه حتى قال جبرائيل: إنَّ هذا لـهي المواساة، فقال: يا جبرائيل: إنه مني وأنا منه، فقال جبرائيل: وأنا منكما". ﴿وَأَنْفُسَكُمْ﴾ يعني من شئتم من رجالكم.<sup>(١)</sup>

فأمَّا بالنسبة لتوجيه الأبناء؛ فلم يقل أحدٌ بأنَّ الحسن والحسين ليسا ابني رسول الله، ولكنَّ النبوة لا تورث، فإنَّ كانا ابنيه - رضي الله عنهما - فهذا لا ينقل لهم النبوة بالوراثة، والابن لغة: الباء والنون والواو كلمة واحدة، وهو الشيء يتولَّد عن الشيء، كابن الإنسان وغيره<sup>(٢)</sup>. ومعظم تفاسير أهل السُّنة على إثبات النبوة للحسن والحسين وليس النبوة، يقول الرازي: "هذه الآية دالة على أنَّ الحسن والحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله صلى الله عليه وسلم".<sup>(٣)</sup> ويقول القرطبي: "﴿أَبْنَاءَنَا﴾ دليل على أنَّ أبناء البنات يسمَّون أبناء".<sup>(٤)</sup> ويقول

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثاني ص ٢٥١-٢٥٢

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس - الجزء الأول ص ٣٠٣

(٣) مفاتيح الغيب للرازي - الجزء الثامن ص ٢٤٨

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الجزء الرابع - ص ١٠٤



ابن كثير: "قال جابر: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾: رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب، ﴿وَأَبْنَاءَنَا﴾: الحسن والحسين، ﴿وَنِسَاءَنَا﴾: فاطمة." (١)

أمّا توجيه الطبرسي لكلمة ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ يعني علياً رضي الله عنه خاصة، مستنداً إلى أنه لا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وأن علياً رضي الله عنه هو من حضر المباهلة فقط، فقد وجهها المفسرون عدة توجيهات؛ منها أنه دعا نفسه، يقول الزمخشري: "أي: يدعُ كلُّ مني ومنكم أبناءه ونسائه ونفسه". (٢) فجعل الزمخشري دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه.

ومنهم من جعل الدعاء لنفس الرسول صلى الله عليه وسلم ونفس علي، ويقول ابن كثير: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾: رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. (٣)

وهذا التفسير يعود للرواية التاريخية، فدعا نفسه ونفس علي معه.

ومنهم من جعل الدعاء لنفسه ومن هو بمثالة النفس، يقول البيضاوي: "أي: يدعُ كلُّ منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه." (٤) وكأنَّ العزيز على النفس بمثالة النفس، إلا أنه دعاء لنفس رسول الله ونفس من معه لم يُستثمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والنفس: الروح، قال ابن سيده: "وبينهما فرق ليس من غرض هذا الكتاب، قال أبو إسحق: النَّفْسُ في كلام العرب يجري على ضربين: أحدهما قولك: خَرَجَتْ نَفْسُ فلان أي روحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أي في رُوعه" (٥). وعرفها الإمام الغزالي بأنها: "اللطيفة التي هي

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الجزء الثاني ص ٤٧

(٢) الكشاف للزمخشري-الجزء الأول ص ٣٦٨

(٣) تفسير القرآن العظيم-الجزء الثاني ص ٤٧

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ)-

المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي -دار إحياء التراث العربي - بيروت-الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ -الجزء الثاني ص ٢٠

(٥) لسان العرب -الجزء السادس ص ٢٣٣

الإنسان بالحقيقة." <sup>(١)</sup>، وهى نفس الإنسان وذاته، وقال أبو عبد الله القرطبي: "هي جسم لطيفٌ مشابكٌ للأجسام المحسوسة يجذب ويخرج، وفي أكفانه يلف ويدرج، وبه إلى السماء يعرج، لا يموت ولا يفنى، وهو مما له أول وليس له آخر، وهو بعينين ويدين وأنه ذو ريح طيبة وخبيثة." <sup>(٢)</sup>

ونا: ضمير متصل يتصل بآخر الكلمة سواء كانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً، وهو في هذا المثال متصل بالاسم، ويفيد معنى الاختصاص <sup>(٣)</sup>.

**والأرجح-** والله أعلم- أن كلمة ﴿أنفسنا﴾ دالة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعزة أهله وألصقهم به، ومما يستدل به لغوياً على ذلك:

١- استخدام ضمير المتكلم الخاص بالجماعة في كلمة أنفسنا؛ فالمدعو مجموعة وليس واحداً، وهو الأصل في استخدام الجمع.

٢- أن الدعاء للنفس وغير النفس؛ مما سوَّغ جواز استخدام ضمير المتكلم (نا) الخاص بالجماعة، ودعائها.

٣- أن الدعاء متبادل بين الطرفين لقوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، فدعاهم إلى أن يدعوا أنفسهم، وهذا أيضاً راجع إلى الجمع، فإذا كان الأمر كما ذكر الطبرسي من أن أنفسنا هنا هو سيدنا علي رضي الله عنه، فمن المقصود بأنفسكم؟ هل هم أيضاً لديهم من هو مثل أنفسهم كما ادعى الطبرسي وأصحابه في أنفسنا؟

كما وأن دعوة الشخص لغيره لحضور موقف ما لا يعني بالضرورة حضوره هو شخصياً ولذا جاءت أنفسنا من قبيل التأكيد على حضور الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه.

<sup>(١)</sup> إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ( ٥٥٠ هـ ) - دار المعرفة - بيروت الجزء الثالث ص ٥

<sup>(٢)</sup> الجامع لأحكام القرآن - الجزء ١٥ ص ٢٦٢.

<sup>(٣)</sup> شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٥٧٦٩ هـ)

الناشر: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار التراث - القاهرة - دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه - الطبعة:

العشرون ١٩٨٠ م - الجزء الأول ص ٩٤

## ٢-١-١-٣ الأمر الثالث: الظرف.

والظرف في اللغة: الوعاء، يقال: الماء في الكوز، فالكوز وعاء للماء. واصطلاحاً: ما سُلِّط عليه عاملٌ على معنى في، من اسم زمان أو اسم مكان مبهم.<sup>(١)</sup>

وحيثُ: ظرف مكان وبمترلة حين في الزمان، وهو اسمٌ مبنيٌّ وإنما حُرِّك آخره لالتقاء الساكنين، فمن العرب من يبنيه على الضم تشبيهاً بالغايات لأنه لم يُستعمل إلا مضافاً إلى جملة، تقول: "أقوم حيث يقوم زيد"، وتقول: "حيث تكون أكون". ومنهم من يبنيه على الفتح استثقلاً للضم مع الياء.<sup>(٢)</sup>

### ومن النماذج التي وجهها الطبرسي في هذا الأمر:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

وسبب توجيه هذه الآية عند الطبرسي وغيره من مفسري الشيعة والسنة، هو استبعاد تفاوت علم الله، يقول الطبرسي: "الله أعلم حيث يجعل رسالاته لا يخلو حيث هنا من أن يكون ظرفاً متضمناً لحرفه أو غير ظرف فإن كان ظرفاً فلا يجوز أن يعمل فيه أعلم لأنه يصير المعنى أعلم في هذا الموضع أو في هذا الوقت. ولا يوصف تعالى بأنه أعلم في مواضع أو في أوقات كما يقال: زيد أعلم في مكان كذا أو أعلم في زمان كذا، وإذا كان الأمر كذلك لم يجز أن يكون حيث هنا ظرفاً وإذا لم يكن ظرفاً كان اسماً، وكان انتصابه انتصاب المفعول به على

<sup>(١)</sup> فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أب القلاوي الشنقيطي) المؤلف (مؤلف الشرح) - أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي - مكتبة الأسد - مكة المكرمة - الطبعة الأولى، - ٢٠١٠ م - ص ٥١٣

<sup>(٢)</sup> مختار الصحاح - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (٦٦٦هـ) - المحقق: يوسف الشيخ محمد - المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيد - الطبعة: الخامسة: ١٩٩٩ م - ص ٨٥

<sup>(٣)</sup> الأنعام، آية ١٢٤

الاتساع، ويقوي ذلك دخول الجار عليها فكان الأصل: الله أعلم بمواضع رسالاته، ثم حذف الجار كما قال سبحانه ﴿أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [النجم: ٣٠].<sup>(١)</sup>

وهو الرأي الذي اختاره القرطبي يقول: "﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ أي: بمن هو مأمونٌ عليها وموضع لها. و(حيث) ليس ظرفاً هنا، بل هو اسمٌ نُصِبَ نُصْبَ المفعول به على الاتساع؛ أي: الله أعلم أهل الرسالة. وكان الأصل: الله أعلم بمواضع رسالته، ثم حذف الحرف، ولا يجوز أن يعمل (أعلم) في (حيث) ويكون ظرفاً؛ لأنَّ المعنى يكون على ذلك: الله أعلم في هذا الموضع، وذلك لا يجوز أن يوصف به البارئ تعالى، وإنما موضعها نصب بفعل مضمر دلَّ عليه (أعلم). وهي اسم كما ذكرنا.<sup>(٢)</sup>

ويقول التبريزي: "حَيْثُ هُنَا اسْمٌ لَا ظَرْفٌ انْتَصَبَ انْتِصَابَ الْمَفْعُولِ".<sup>(٣)</sup>

أمَّا السفاقي يقول: "الظاهر أنه باقٍ على معناه من الظرفية، والإشكال إنما يرد من حيث مفهوم الظرف، وكم من موضع ترك فيه المفهوم لقيام الدليل عليه، لا سيما وقد قام في هذا الموضع".<sup>(٤)</sup>

ومنع أبو حيان كونها مفعولاً به يقول: "وَمَا قَالَهُ مِنْ أَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ عَلَى السَّعَةِ أَوْ مَفْعُولٌ بِهِ عَلَى غَيْرِ السَّعَةِ تَأْبَاهُ قَوَاعِدُ النَّحْوِ، لِأَنَّ النُّحَاةَ نَصُّوا عَلَى أَنَّ حَيْثُ مِنَ الظُّرُوفِ الَّتِي لَا تَتَصَرَّفُ وَشَدَّ إِضَافَةً لَدَى إِلَيْهَا وَجَرُّهَا بِأَلْيَاءٍ وَنَصُّوا عَلَى أَنَّ الظَّرْفَ الَّذِي يُتَوَسَّعُ فِيهِ لَا يَكُونُ إِلَّا مُتَصَرِّفًا، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ امْتَنَعَ نَصْبُ حَيْثُ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ لَا عَلَى السَّعَةِ وَلَا عَلَى غَيْرِهَا".<sup>(٥)</sup>

(١) مجمع البيان للطبرسي الجزء الرابع ص ١١٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

(٣) اعراب القرآن لابن سيدة - المكتبة الشاملة - الجزء الرابع ص ٧١ .

(٤) اعراب القرآن وبيانه - الجزء الثالث ٣١٩

(٥) البحر المحيط في التفسير - أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ) - المحقق:

صدقي محمد جميل دار الفكر - بيروت - الطبعة: ١٤٢٠ هـ الجزء الرابع ص ٦٣٨

والأرجح - والله أعلم - أن (حيث) ظرف مبني على الضم في محل نصب متعلق بفعل محذوف دلّ عليه أعلم<sup>(١)</sup>؛ وذلك لعدم جواز التوسع بـ (حيث).

## ٢-١-١-٤ الأمر الرابع: العطف على مجرور<sup>(٢)</sup>

العطف لغة: الميل، وعطف فلان على فلان أي: أشفق عليه ومال نحوه<sup>(٣)</sup>. والعطف اصطلاحاً: هو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه واحد من حروف العطف<sup>(٤)</sup>، والعطف من التوابع، وعلى ذلك فإن المعطوف يتبع في إعرابه المعطوف عليه رفعاً ونصباً وجرّاً، وحُرُوفُ الْعَظْفِ عَشْرَةٌ وَهِيَ: الْوَأُو، وَالْفَاءُ، وَثُمَّ، وَأَوْ، وَأَمْ، وَإِمَّا، وَبَلْ، وَلَ، وَلَكِنْ، وَحَتَّى فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ.

### ومن النماذج التي وجهها الطبرسي استناداً إلى العطف على مجرور

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

وتعتقد الشيعة الاثنا عشرية بوجوب المسح على الرجلين دون غسلهما، وفي كتاب وسائل الشيعة<sup>(٦)</sup> للعاملي: "وعن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن الحكم بن مسكين، عن

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم - محمود بن عبد الرحيم صافي (١٣٧٦هـ) - دار الرشيد، دمشق - بيروت - الطبعة:

الرابعة، ١٤١٨ هـ - الجزء الثامن ص ٢٧٥

(٢) هذا تبعاً لتوجيه الطبرسي، وقرئت بالنصب على أكثر القراءات.

(٣) مقاييس اللغة - الجزء الرابع ص ٣٥١

(٤) شرح الأجرومية - حسن حفطي - ص ٢١٣

(٥) المائدة، آية ٦ :

(٦) وسائل الشيعة لتحصيل مسائل الشريعة هو أحد كتب الحديث عند الشيعة، وهو من تأليف محمد بن الحسن الحر العاملي. وهو أكثر كتب الحديث اعتماداً عند الشيعة في مجال استنباط الأحكام. وقد عُرف مؤلفه بصاحب الوسائل نسبة إلى هذا

محمد بن مروان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنه يأتي على الرجل ستون وسبعون سنة ما قبل الله منه صلاة، قلت: كيف ذاك؟ قال: لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه.<sup>(١)</sup>

ويذكر الطبرسي أنَّ جمهور الفقهاء جميعهم اختلفوا مع الاثني عشرية في المسح، يقول الطبرسي: ﴿وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ اختلف في ذلك؛ فقال جمهور الفقهاء إنَّ فرضهما الغسل. وقالت الإمامية: فرضهما المسح دون غيره.<sup>(٢)</sup> ثم ذكر روايات كثيرة عن وجوب الغسل دون المسح.

ويتجاهل الطبرسي القراءة بنصب أرجلكم<sup>(٣)</sup>، ويبدأ بمحاولة إثبات معتقده بأنَّ المسح واجب دون الغسل، فيبدأ بذكر حجج من قال بوجوب الغسل يقول: "وقال بعضهم: هو خفض على الجوار كما قالوا: جُحِرَ ضَبٌّ خَرِبَ. وَخَرِبَ من صفات الجُحْرِ لا الضَّبِّ، وكما قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ  
كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَحَادٍ مُزْمَلٍ  
وَبَلِّهِ

وقال الزجاج: "إذا قرأ بالجر يكون عطفاً على الرؤوس؛ فيقتضي كونه ممسوحاً. وذكره عن بعض السلف أنه قال: نزل جبرائيل بالمسح، والسُّنة الغسل. قال: والخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله تعالى، ولكن المسح على هذا التحديد في القرآن كالغسل". وقال الأخفش: "هو

---

الكتاب، طبع في ٣٠ مجلداً محققاً، وقد اشتمل على جميع أحاديث الأحكام الشرعية الموجودة في الكتب الأربعة وسائر الكتب المعتمدة (الكتب الأربعة المعتمدة عند الشيعة، الكافي للكليني، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق، والتهذيب، والاستبصار للطوسي).

(١) وسائل الشيعة- محمد بن الحسن الحرّ العاملي [العلامة الشيخ حرّ العاملي]- المحقق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم الجزء الأول - ص ٤١٨

(٢) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثالث ص ٢٣٦

(٣) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب والكسائي وحفص والأعشى عن أبي بكر عن عاصم

البيت من معلقة امرئ القيس الشهيرة، وهو من بحر الطويل، والثبير اسم جبل بمكة، والعرايين الأوائل، الويل المطر الشديد، والبعاد كساء غليظ، والمزل المعطى. (ديوان امرئ القيس - عبد الرحمن المصطاوي - دار المعرفة - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ص ٦٧.

معطوف على الرؤوس في اللفظ مقطوع عنه في المعنى، كقول الشاعر: علفتها تبنًا وماءً باردًا.<sup>(١)</sup>

ثم يذكر الطبرسي حججه في دحض هذه الأقوال، يقول: "أنَّ الأرجل إذا كانت معطوفة على الرؤوس وكان الفرض في الرؤوس المسح الذي ليس بغسل بلا خلاف فيجب أن يكون حكم الأرجل كذلك لأنَّ حقيقة العطف تقتضي ذلك." ويتبع فيقول: "وأما من قال إنه عطف على الجواز فقد ذكرنا عن الزجاج أنه لم يجوز ذلك في القرآن، ومن أجاز ذلك في الكلام فإنما يجوز مع فقد حرف العطف، وكل ما استشهد به على الإعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حائل بين هذا وذاك، وأيضًا فإنَّ المجاورة إنما وردت في كلامهم عند ارتفاع اللبس والأمن من الاشتباه؛ فإنَّ أحدًا لا يشتبه عليه أنَّ خربًا لا يكون من صفة الضب، ولفظة مزمل لا يكون من صفة البجاد، وليس كذلك الأرجل فإنها تجوز أن تكون ممسوحة كالرؤوس. وأيضًا فإنَّ المحققين من النحويين نفوا أن يكون الإعراب بالمجاورة جائزًا في كلام العرب، وقالوا: في جحر ضب خرب أنهم أرادوا خرب جحره فحذف المضاف الذي هو جحر وأقيم المضاف إليه وهو الضمير المحرور مقامه، وإذا ارتفع الضمير استكن في خرب، وكذلك القول في كبير أناس في إيجاد مزمل فتقديره مزمل كبيره؛ فبطل الإعراب بالمجاورة جملة وهذا واضح لمن تدبره."<sup>(٢)</sup>

ومما لا شكَّ فيه أنَّ نصب ﴿أرجلكم﴾ يكون بعطفها على وجوهكم وأيديكم<sup>(٣)</sup>، أمَّا القراءة التي وردت بخفض ﴿أرجلكم﴾ وهي قراءة ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم<sup>(٤)</sup>، فقد اعتبرها أهل اللغة من العطف على الجوار كما في جحر ضب خرب، وقال أبو إسحق النحوي: "الخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله عز وجل، وإنما يجوز ذلك في ضرورة الشعر."<sup>(٥)</sup>

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثالث ص ٢٦٤

(٢) المصدر السابق

(٣) إعراب القرآن الكريم- أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم- دار المنير ودار الفارابي - دمشق- الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ- الجزء الأول -ص ٢٤٤

(٤) التيسير في القراءات السبع- لأبي عمرو الداني تحقيق حاتم صالح الضامن ص ٢٣٧ الطبعة الأولى ٢٠١١ مكتبة الرشد - الرياض

(٥) لسان العرب- الجزء الثاني ٥٩٣

أمّا احتجاج الطبرسي بعطف الأرجل على الرؤوس، حيث قال: "أنّ الأرجل إذا كانت معطوفة على الرؤوس وكان الفرض في الرؤوس المسح الذي ليس بغسل بلا خلاف فيجب أن يكون حكم الأرجل كذلك؛ لأنّ حقيقة العطف تقتضي ذلك." فالجواب عن ذلك أنّ العطف هنا لترتيب أعمال الوضوء وتتابعها، يقول الرازي: "إنه تعالى ذكر هذه الأعضاء، لا على وفق الترتيب المعتبر في الحس، ولا على وفق الترتيب المعتبر في الشرع، وذلك يدل على أن الترتيب واجب." <sup>(١)</sup> ولذلك أتى غسل الأرجل بعد مسح الرأس.

## ٢-١-١-٥ الأمر الخامس: تعلّق الجار والمجرور

والمقصود بالتعلّق هو الارتباط، بمعنى أنّ يتعلّق لفظ بلفظ في المعنى. فمثلاً: لو قلت: (في الاختبار) وسكت، فلن تفهم شيئاً محدداً، فإذا قلت: نجحت في الاختبار، اتضح لك المراد، ولم يتضح لك المراد بالجار والمجرور (في الاختبار)، وإنما اتضح لك بعد أن ذكرت الفعل الذي تعلّق به هذا الجار والمجرور. ولذلك فإنّ النحويين يقولون إنّ الجار والمجرور والظرف لا بد لهما من التعلّق بالفعل وهذا هو الأصل، أو ما فيهم معنى الفعل كاسم الفاعل والمفعول ونحوها <sup>(٢)</sup>.

## ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي في هذا الباب:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>

ويتعلّق هذا التوجيه بالعصمة عند الأنبياء، وعصمة الأنبياء عند الشيعة عصمة مطلقة عن جميع الذنوب صغيرها وكبيرها، يقول الطوسي في الاقتصاد: "ويجب أن يكون النبي معصوماً من

<sup>(١)</sup> مفاتيح الغيب - الجزء ١١ ص ٣٠٥

<sup>(٢)</sup> مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعراب - محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ) - مكتبة الرشد الطبعة: الأولى

١٣٥٧هـ - الجزء الأول ١٣٥

<sup>(٣)</sup> يوسف، آية: ٢٤



القبائح صغیرها وكبیرها قبل النبوة وبعدها على طریق العمد والنسیان وعلى كل حال.<sup>(١)</sup> أما عند أهل السنة فالعصمة عن كبار الذنوب لا صغیرها. يقول ابن تیمیة: "الذي علیه جمهور أهل العلم: عصمة الأنبياء عن الكبائر دون الصغائر، وأنهم معصومون من الإقرار على الذنوب مطلقاً، وأنهم إن وقع منهم زلات من جنس ذلك، فإنهم يتداركونها بالتوبة والإنابة، ثم يرتقون إلى منزلة أعلى من المنزلة التي كانوا عليها قبل الذنب."<sup>(٢)</sup>

ويقول الطبرسي: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ <sup>(١)</sup> يختلف العلماء فيه على قولين: أحدهما أنه لم يوجد من يوسف ذنب كبير ولا صغير، والآخر: أنه وجد منه العزم على القبيح ثم انصرف عنه؛ فأما الأولون فإنهم اختلفوا في تأويل الآية على وجوه: أحدها: أن الهم في ظاهر الآية قد تعلق بما لا يصح تعلق العزم به على الحقيقة لأنه قال ولقد همت به وهم بها؛ فعلق الهم بهما وذاتهما لا يجوز أن يراد ويعزم عليهما، لأن الموجود الباقي لا يصح أن يراد ويعزم عليه. فإذا حملنا الهم في الآية على العزم فلا بد من تقدير أمر محذوف يتعلق العزم به، وقد أمكن أن نعلق عزمه (ع) بغير القبيح ونجعله متناولاً لضربها أو دفعها عن نفسه؛ فكأنه قال: ولقد همت بالفاحشة منه وأرادت ذلك وهم يوسف (ع) بضربها ودفعها عن نفسه، كما يقال: همت بفلان أي بضربه وإيقاع مكروه به وعلى هذا.... وثانيها: أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير، ويكون التقدير ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ولما رأى برهان ربه لم يهم بها، ويجري ذلك مجرى قولهم: قد كنت هلكت لولا أني تداركك، وقد كنت قلت لولا أني خلصتك، والمعنى لولا تداركي هلكت ولولا تخليصي إياك لقتلت، وإن كان لم يقع هلاك وقتل ومثله قول الشاعر:

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمٍ كَرِيهِهِ لَئِنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعَجِّلْ.....<sup>٣</sup>

(١) الإقتصاد - للطوسي - مطبع الخيام - قم - ١٤٠٠ هـ - ص ٦١

(٢) النبوات - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تیمیة الحراني الحنبلي الدمشقي (٥٧٢هـ) المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان - ناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠ م - الجزء الثاني ص ٨٧٤

٣ مسور بن زياد الحارثي من بحر الطويل (شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ( ٢٣١ هـ) - يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، أبو زكريا (٥٥٠ هـ) دار القلم - بيروت - ص ٨٣

وفي القرآن: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ [القصص: ١٠] وهذا الوجه اختاره أبو مسلم وهو قريب من الأول. وثالثها: أن معنى قوله ﴿هَمَّ بِهَا﴾ اشتهاها ومال طبعه إلى ما دعت إليه، وقد يجوز أن تُسمى الشهوة هَمًّا على سبيل التوسع والمجاز، ولا قبح في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى وإنما يتعلق القبح بالمشتهى. وقد روي هذا التأويل عن الحسن قال: "أما هَمُّها فكان أحبَّ الهمِّ وأما هَمُّه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء". وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: "هَمُّها القصد وهَمُّه أنه تمنّاها أن تكون زوجة له، وعلى هذا الوجه فيجب أن يكون قوله ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ متعلقًا بمحذوف أيضًا كأنه قال: لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل." (١)

ويبدو أن الطبرسي بعد عرضه للآراء الثلاثة أيّد الرأي الأول حيث يقول: (سؤال) قالوا: إنَّ قوله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ خرجا مخرجًا واحدًا فلم جعلت هَمُّها به متعلقًا بالقبيح وهَمُّه بها متعلقًا بغير القبيح؟ وجوابه.... دَلَّتْ الأدلة العقلية التي لا يتطرق إليها الاحتمال والمجاز على أنه لا يجوز أن يفعل القبيح ولا يعزم عليه؛ فأما الشاهد من القرآن على أنه ما هَمَّ بالفاحشة فقولُه سبحانه ﴿كَذَلِكَ لَنَصْرَفْ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ وقوله ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنِهِ بِالْغَيْبِ﴾ وغير ذلك من قوله: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ والعزم على الفاحشة من أكبر السوء. وأمّا الفرقة الأخرى فإنهم قالوا فيه ما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء؛ فقال بعضهم: "إنه قعد بين رجلَيْها وحلَّ تكة سراويله". وقال بعضهم: "حلَّ السراويل حتى بلغ الشنن وجلس منها مجلس الرجل من امرأته". وقد نَزَّهه الله سبحانه عن ذلك كله بقوله: ﴿كَذَلِكَ لَنَصْرَفْ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ وأمثال ذلك مما عددناه." (٢)

والهَمُّ: مَا هَمَّ بِهِ فِي نَفْسِهِ، تَقُولُ: أَهَمَّنِي هَذَا الْأَمْرُ. وَالْهَمَّةُ وَالْهِمَّةُ: مَا هَمَّ بِهِ مِنْ أَمْرٍ لِيَفْعَلَهُ (٣). وجاء في المصباح: الهمة بالكسر أول العزم، وقد تطلق على العزم القوي (٤)، إذا عرفنا

(١) مجمع البيان للطبرسي الجزء الخامس - ص ٢٩٩ وما بعدها

(٢) المصدر السابق ٣٠١

(٣) لسان العرب - الجزء ١٢ ص ٦٢١

(٤) المصباح المنير - الجزء الثاني ٦٤١

مراتب القصد التي أولها الهاجس، ثم الخاطر، ثم حديث النفس، ثم الهم، ثم العزم، وبعد العزم يأتي الفعل، الذي هو التنفيذ.

مراتب القصد خمس<sup>٢٨</sup> هاجس<sup>٢٩</sup> ذكر و افخاطر<sup>٣٠</sup> فحديث النفس فاستمع

يُليسه هم فعزمٌ كلها رفعاً—تألاً الأخير ففيه الإثم قد وقع

فألهم دون العزم<sup>(١)</sup>

ومعظم المفسرين على أنَّ هَمْ بِهَا: هَمٌّْ بِمَخَالَطَتِهَا.

وما ذكره الطبرسي من أنه يجب تقدير أمر محذوف، إمّا تعليقه بضرهما أو صفعها ما لا يؤيده السياق اللغوي للآية؛ فيجب أن يكون المتعلق في كلا الهمّين واحداً، وإن كان متحققاً أنّ الهم الأول في قوله تعالى ﴿هَمَّتْ بِهِ﴾ أي: همت بمخالطته، فلا بد أن يكون الهم الثاني مثله.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ولولا حرف امتناع لوجود<sup>(٢)</sup> ؛ بمعنى لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، لولا معناها: أنه لم يهّم بها، والامتناع حدث لأنه رأى برهان ربه، فكأن العبارة: لقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها<sup>(٣)</sup> ولكنه رأى برهان ربه فلم يهّم بها.<sup>(٤)</sup>

(<sup>١</sup>) شرح عمدة الأحكام- مؤلف الأصل: عبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ) الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير -المكتبة الشاملة -الدرس الثاني ص ٧

(٢) البحر المحیط بدر الدین بن محمد بهادر الزرکشی- دار الکتبیسنة - ١٩٩٤م الطبعة الأولى- الجزء الثالث ص ١٨٣

(٣) ولا يجوز أن يكون قوله (وهمّ بها) جواباً للولا لأن جواب لولا لا يتقدم عليه. مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ فِي حُكْمِ الشَّرْطِ، وَلِلشَّرْطِ صَدْرُ الْكَلَامِ وَهُوَ [مع] مَا فِي حَيْزِهِ مِنَ الْجُمْلَتَيْنِ مِثْلُ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا يَجُوزُ تَقْدِيمُ بَعْضِ الْكَلِمَةِ عَلَى بَعْضٍ، وَأَمَّا حَذْفُ بَعْضِهَا إِذَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ فَهُوَ جَائِزٌ. وَأَجَازَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَجَازَ تَقْدِيمَ جَوَابِ لَوْلَا عَنْهَا وَهَذَا عِنْدَ مَنْ يُحْزِزُ تَقْدِيمَ جَوَابِ أَدَوَاتِ الشَّرْطِ عَلَيْهَا انْظُرِ الدَّرَ الْمَصُونِ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ الْمَكُونِ- أَبُو الْعَبَّاسِ، شَهَابُ الدِّينِ، أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ الْمَعْرُوفِ بِالْأَسْمَنِ الْخَلِّي (المتوفى: ٧٥٦هـ)- أَحْمَدُ مُحَمَّدُ الْخَرَّاطُ - دار القلم، دمشق الجزء السادس ٤٧٦ وما بعدها

(٤) تفسير الشعراوي - الخواطر - محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ) - الناشر: مطابع أخبار اليوم (١٩٩٧) - الجزء الخامس ٢٩٨ ص

أما الرأي الثاني الذي ذكره الطبرسي فهو موافق لما اخترت في توجيه هذه الآية، أمّا قوله الثالث أن معنى قوله ﴿هَمْ بِهَا﴾ اشتهاها ومال طبعه إلى ما دعت إليه، وقد يجوز أن تُسمى الشهوة هَمًّا على سبيل التوسع والمجاز. "فهو لا يخرج عن معنى هَمْ؛ فالهم بمعناه الإرادة دون العمل، كما ذكرتُ من معنى ﴿هَمْ﴾".

## ٢-١-١-٦ الأمر السادس: حذف المضاف

حذف المضاف باب واسع في اللغة العربية، وقد أورد سيبويه بابًا في الكتاب ترجم له بقوله "هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام، والإيجاز والاختصار" وذكر أمثلة كثيرة في هذا الباب، ومنها ما هو شاهد على حذف المضاف.<sup>(١)</sup>

ويقول ابن جني في حديثه عن حذف المضاف: "وأما أنا فعندي أن في القرآن مثل هذا الموضع نيفًا على ألف موضع؛ وذلك أنه على حذف المضاف لا غير."<sup>(٢)</sup>

ويقول في موضع آخر: "وحذف المضاف في القرآن والشعر وفصيح الكلام في عدد الرمل سعة."<sup>(٣)</sup>

ويقول أبو حيان ذهب جمهور النحاة إلى جواز حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في الإعراب إذا أمن اللبس.<sup>(٤)</sup>

ووجه الطبرسي كثيرًا من الآيات اعتمادًا على حذف المضاف؛ وذلك لسهولة هذا التوجيه وقلة شروطه عند النحاة، كما هو واضح فيما ذكرتُ من أقوالهم.

(١) الكتاب - عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (١٨٠هـ) - المحقق: عبد السلام محمد هارون

- مكتبة الخانجي، القاهرة- الطبعة: الثالثة ١٩٨٨ م- الجزء الأول ص ٢١١

(٢) الخصائص - لابن جني - الجزء الأول - ص ٩٣

(٣) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ) - وزارة الأوقاف -

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- الطبعة ١٩٩٩ م - الجزء

الأول ص ١٨٨

(٤) البحر المحيط في التفسير - أبو حيان التوحيدي - الجزء السادس ص ٣١٣

## ومن النماذج التي وجهها الطبرسي في هذا الباب:

### النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>(١)</sup>

وقد وجه الطبرسي هذه الآية عدة توجيهات؛ تناولتُ أحدَ التوجيهات التي وجهها الطبرسي لهذه الآية في المستوى المعجمي فيالمبحث الخاص بالدلالة المجازية<sup>(٢)</sup>، كما ناقشتُ توجيهًا آخر له في المستوى الصرفي، يتعلق بتوجيهه بالنظر بأنه بمعنى الانتظار<sup>(٣)</sup>، وفي هذا الموضع سأناقش توجيه الطبرسي لهذه الآية على اعتبار حذف المضاف.

وسبب توجيه هذه الآية هو اعتقاد الشيعة بعدم جواز الرؤيا<sup>(٤)</sup> يقول محمد رضا المظفر: "إنَّ الله تعالى لا يُرى يوم القيامة، وأنه لا يُوصَف بالمكان ولا بالزمان، ولا يُشار إليه، ومن قال بأنه يتزل إلى السماء الدنيا، أو أنه يظهر إلى أهل الجنة كالقمر أو نحو ذلك فإنه بمنزلة الكافر به."<sup>(٥)</sup>

يقول الطبرسي: "أنَّ المراد إلى ثواب ربها ناظرة أي: هي ناظرة إلى نعيم الجنة حالًا بعد حال؛ فيزداد بذلك سرورها، وذكر الوجوه والمراد أصحاب الوجوه. روى ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين لهم وغيرهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه...."<sup>(٦)</sup>

---

(١) القيامة، آية ٢٣

(٢) انظر ص ١٣٩ من البحث نفسه

(٣) انظر ص ٢٤١ من البحث نفسه

(٤) ومن تناقضات الشيعة في هذا الباب عن أبي عبد الله (ع) قال: قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم، وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، أَلَسْتُ تراه في وقتك هذا؟ قال أبو بصير: فقلت: له جعلتفداك فأحدث بهذا عنك؟ فقال لا، فإنك إذا حدثت به أنكروه منكر جاهل بمعنى ما تقولهم قدر أن ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفها المشبهون والمحددون. انظر كتاب التوحيد للصدوق ص ١١٨

(٥) عقائد الإمامية للمظفر ص ٥٨

(٦) مجمع البيان للطبرسي الجزء العاشر ص ١٥٢

والجواب عن ذلك أن ترك ظاهر الآية لا داعي له، قال مكّي<sup>(١)</sup>: "لو جاء هذا لجاز: نظرتُ إلى زيد، بمعنى: نظرت إلى عطاء زيد، وفي هذا نقض لكلام العرب وتخليط في المعاني".<sup>(٢)</sup>

### النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

وهذا النموذج يتعلق بالرؤيا أيضاً، كما في المثال السابق، وقد ناقشتُ توجيهات أخرى ذكرها الطبرسي في مواضعها<sup>(٤)</sup>.

يقول الطبرسي: "﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أي: ظهر أمر ربه لأهل الجبل فحذف، والمعنى أنه سبحانه أظهر من الآيات ما استدلَّ به من كان عند الجبل على أن رؤيته غير جائزة. وقيل: معناه ظهر ربه بآياته التي أحدثها في الجبل لأهل الجبل، كما يقال: الحمد لله الذي تجلَّى لنا بقدرته؛ فكل آية يجددها الله سبحانه فكأنه يتجلَّى للعباد بها فلما أظهر الآية العجيبة في الجبل صار كأنه ظهر لأهله. وقيل: إنَّ تجلَّى بمعنى جلَّى؛ كقولهم حدَّث وتحدَّث وتقديره جلَّى ربه أمره للجبل أي أبرز في ملكوته للجبل ما تدكك به. ويؤيده ما جاء في الخبر: "أنَّ الله تعالى أبرز من العرش مقدار الخنصر فتدكك به الجبل"، وقال ابن عباس: "معناه ظهر نور ربه للجبل". وقال الحسن: لما ظهر وحي ربه للجبل.<sup>(٥)</sup>

---

١ جعفر بن محمد مكّي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي الأندلسي النحوي اللغوي القيرواني المقرئ.  
٢ (الباب في علوم الكتاب - أبو حفص سراج الدين عمر بن عليّ بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (٥٧٧٥هـ) -) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ عليّ محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٩ - الجزء ١٩ ص ٥٦٥

٣ (الأعراف، آية: ١٤٣)

٤ (انظر ص ٧٠ و ص ١٠٦ و ص ١٢٧ و ص ٢١٩ من البحث)

٥ (مجمع البيان للطبرسي - الجزء الرابع ١٥٩ وما بعدها)

ومع جواز حذف المضاف في مواطن كثيرة، إلا أنه يجب أن يدل على هذا الحذف قرينة ما، أمّا في هذا الموضع فالسياق الدلالي للآية لا يؤيد حذف المضاف. يقول الرازي في رد هذا التوجيه: "أنّ على هذا التقدير يكون معنى الآية أرني أمراً أنظر إلى أمرك، ثم حذف المفعول والمضاف، إلا أنّ سياق الآية يدل على بطلان هذا، وهو قوله: ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فسوف تراني ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ ولا يجوز أن يُحمل جميع هذا على حذف المضاف." (١)

إضافة إلى الأدلة الأخرى في الآية التي تؤيد أن موسى عليه السلام طلب الرؤيا من الله، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ من أنها تدل على جواز الرؤيا؛ فلم يقل سبحانه: لأُرى، والشرط المذكور في الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ إِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ (٢)، وغيرها فليس هناك ما يسوغ حذف المضاف وتقديره بأمر ربه أو نور ربه أو وحي ربه.

### النموذج الثالث:

قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ (٣)

(١) مفاتيح الغيب للرازي الجزء ١٤ ص ٣٥٥

(٢) تحدثت عن لن والشرط في مواضع أخرى من البحث

(٣) الملك ١٧

يعتقد الشيعة أن الله لا يحويه زمان ولا مكان، عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يوصف بزمان، ولا مكان، ولا حركة، ولا انتقال، ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا." (١)

يقول الطبرسي: "﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: أأمنتُم عذاب مَنْ فِي السماء سلطانه وأمره ونهيه وتدييره؟ لا بدَّ أَنْ يكون هذا معناه لاستحالة أَنْ يكون الله جل جلاله في مكان أو في جهة. وقيل: يعني بقوله ﴿مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾ الملك الموكل بعذاب العصاة." (٢)

والتأويلان اللذان ذكرهما الطبرسي (٣) من التأويلات التي ذكرها الرازي (٤) في تفسيره، وذكر الرازي تأويلين آخرين أيضًا بأن يكون المعنى: أأمنتُم من في السماء عذابه؟ أو أَنْ الكلام جارٍ على ما كان العرب يعتقدونه من وجود الله في السماء، وهذا التأويل الأخير ذكره الزمخشري وذكر معه تأويلًا آخر بأن يكون المعنى أأمنتُم من في السماء ملكوته (٥).

أمَّا القرطبي فقد ذكر التأويلين اللذان ذكرهما الطبرسي، ورجَّح أن يكون المعنى: أأمنتُم خالق من في السماء؟ يقول: "قلتُ: ويحتمل أَنْ يكون المعنى: أأمنتُم خالق مَنْ في السماء أَنْ يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون؟" (٦).

ولابن تيمية في هذه الآية قولٌ وجدته الأفضل؛ لبعده عن التأويلات، فما ذكره المفسرون نابع من اعتقادهم بمكان الله على اختلاف مذاهبهم، وما عليه أهل السنة والجماعة هو إثبات علو الله، يقول ابن تيمية: "السلف والأئمة وسائر علماء السنة إذا قالوا "إنه فوق العرش، وإنه في السماء فوق كل شيء" لا يقولون إنَّ هناك شيئًا يحويه أو يحصره أو يكون محلًّا له أو ظرفًا ووعاء سبحانه وتعالى عن ذلك، بل هو فوق كل شيء، وهو مستغنٍ عن كل شيء، وكل

(١) بحار الأنوار للمجلسي الجزء الثالث ص ٣٠٩ من طبعة الوفاء

(٢) مجمع البيان للطبرسي - الجزء العاشر - ص ٥٨

(٣) وضعت هذا التوجيه في حذف المضاف دون دلالة الاسم الموصول (من) لترجيح الطبرسي لهذا التأويل

(٤) مفاتيح الغيب للرازي الجزء ٣٠ ص ٥٩٢

(٥) الكشاف للزمخشري - الجزء الرابع ص ٥٨٠

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الجزء ١٨ ص ٢١٧



شيء مفتقر إليه، وهو عالٍ على كل شيء، وهو الحامل للعرش ولحملة العرش بقوته وقدرته، وكل مخلوق مفتقر إليه، وهو غني عن العرش وعن كل مخلوق.

وما في الكتاب والسنة من قوله: ﴿أَمَنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ﴾ ونحو ذلك قد يفهم منه بعضهم أن "السما" هي نفس المخلوق العالِي، العرش فما دونه، فيقولون: قوله ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بمعنى "على السما"، كما قال: ﴿وَأَصْلِبْنَكُمْ فِي جَذْوَعِ النَّخْلِ﴾ أي: على جذوع النخل، وكما قال: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: على الأرض، ولا حاجة إلى هذا، بل "السما" اسم جنس للعالِي، لا يخص شيئاً، فقوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في العلو دون السفلى، وهو العلي الأعلى فله أعلى العلو، وهو ما فوق العرش، وليس هناك غيره العلي الأعلى سبحانه وتعالى". انتهى<sup>(١)</sup>.

وهو تأويل جيد، وقد ذكر النحويون<sup>(٢)</sup> (في) بمعنى (على)<sup>(٣)</sup> مستشهدين بقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِبْنَكُمْ فِي جَذْوَعِ النَّخْلِ﴾<sup>(٤)</sup>، وهو ما يسمى بالتضمنين، يقول ابن هشام: "قديشربون لفظاً معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك تضميناً، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين".<sup>(٥)</sup> وهو موافق لما ذكر ابن تيمية من معنى العلو في السما.

وتعرب (مَنْ) هنا مفعولاً به وهو الله تعالى<sup>(٦)</sup>، ولا داعي لتأويلها بعذاب الله، أو بالملك الذي في السما، أو غير ذلك.

## النموذج الرابع:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾<sup>(١)</sup>

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية - الجزء ١٦ ص ١٠١

(٢) نيابة الحرف عن غيره من الحروف مذهب الكوفيين، ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضوعه الأول، إما بتأويل يقبله اللفظ أو بتضمنين الفعل معنى فعل آخر (انظر الجني الداني للمراي - تحقيق فخر الدين قباوة - الطبعة الأولى - ١٤١٣ دار الكتب العلمية - بيروت - ص ٤٦)

(٣) الجني الداني في حروف المعاني الجزء الأول ص ٢٥١

(٤) طه ٧١

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعراب الجزء الأول ص ٨٩٧

(٦) إعراب القرآن وبيانه - محيي الدين رويش الجزء العاشر ص ٥٤

وسبب توجيه هذه الآية هو نفي المجيء عن الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ المجيء من صفات الأجسام والله ليس بجسم، ونفي المجيء عن الله هو من نفي الصفات السلبية عند الشيعة؛ حيث تُقسَّم الصفات عندهم - كما ذكرتُ في أول البحث - إلى صفات ثبوتية يجب إثباتها لله، وصفات سلبية يجب نفيها عن الله<sup>(٢)</sup>، وأثبت أهل السنة المجيء لله سبحانه وتعالى مجيئاً يليق به. ويقول ابن تيمية: "قال العلماء رحمهم الله تعالى: إنَّ الأفعال الاختيارية للرب سبحانه وتعالى هي من لوازم الحياة، فالإرادة والمشئنة من لوازم الفعل، ولل فعل لوازم لا يجوز نفيها إطلاقاً، بل الواجب إثباتها لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلال الله وعظمته. ولهذا إذا سألك رجل فقال لك: كيف يتزل ربنا؟ فتقول له: الله يتزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته، لا نكيّفه، ولا نشبهه بأحد، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وما نرى السائل إلا رجلاً مبتدعاً جاء بقول باطل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم".<sup>(٣)</sup>

ويقول الأشعري: "وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها؛ فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء كما قال، وليس مجيئه حركة ولا زوالاً، وإنما يكون المجيء حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً أو جوهرًا، فإذا ثبت أنه عز وجل ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة، ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم: جاءت زيداً الحمى أنها تنقلت إليه، أو تحركت من مكان كانت فيه إذ لم تكن جسماً ولا جوهرًا، وإنما مجيئها إليه وجودها به. وأنه عز وجل يتزل إلى السماء الدنيا

(١) الفجر ٢٢

(٢) فرائد الخرائد في أصول العقائد - معز الدين السيد محمد مهدي الحسيني ١٣٠٠هـ - تحقيق جودت كاظم القزويني - مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٧٢ - ص ٥٠، وانظر مجالس الموحدين في أصول الدين، محمد صادق الطبطبائي، طبعة ١٣١٨ هـ، ص ٢١.

(٣) شرح لامية ابن تيمية - عمر بن سعود بن فهد العيد - شرح الدرس الثالث عشر ص ٧ المكتبة الشاملة.

كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وليس نزوله نقله، لأنه ليس بجسم ولا جوهر، وقد نزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم عند من خالفنا.<sup>(١)</sup>

يقول الطبرسي: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمر ربك وقضاؤه ومحاسبته عن الحسن والجبائي. وقيل: جاء أمره الذي لا أمر معه بخلاف حال الدنيا عن أبي مسلم. وقيل: جاء جلائل آياته فجعل مجيئها مجيئه تفخيماً لأمرها. وقال بعض المحققين: المعنى وجاء ظهور ربك لضرورة المعرفة به لأن ظهور المعرفة بالشيء يقوم مقام ظهوره ورؤيته، ولما صارت المعارف بالله في ذلك اليوم ضرورية صار ذلك كظهوره وتجليه للخلق، فقيل: جاء ربك أي زالت الشبهة وارتفع الشك كما يرتفع عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه جلّ وتقدس عن المجيء والذهاب لقيام البراهين القاهرة والدلائل الباهرة على أنه سبحانه ليس بجسم.<sup>(٢)</sup>

وتوجيه الطبرسي قريب من توجيه الزمخشري والرازي والقرطبي.<sup>(٣)</sup>

ويقول ابن تيمية: "قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] بمعنى أنه سيجيء، فلم يستحدث الاسم بالمجيء، وتخلّف الفعل لوقت المجيء، فهو جاء سيجيء، ويكون المجيء منه موجوداً بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه، لأن ذلك فعل."<sup>(٤)</sup>

ولا أجد مسوغاً للتأويل لحذف الفاعل وإقامة المضاف إليه مكانه، فجاء ربك فعل وفاعل و﴿صَفًّا﴾ حال<sup>(٥)</sup>، كما إن عطف الملائكة على ﴿رب﴾ يدل على أن مجيء الله حقيقي، مثل

<sup>(١)</sup> إلى أهل الثغر بباب الأبواب - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (٣٢٤هـ)، المحقق: عبد الله شاکر محمد الجنيد الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية - الطبعة: ١٤١٣هـ - الجزء الأول ص ١٢٨

<sup>(٢)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء العاشر ٢٧٣

<sup>(٣)</sup> انظر في تفاسيرهم موضع الآية

<sup>(٤)</sup> الفتوى الحموية الكبرى - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ) - المحقق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري - دار الصميعي - الرياض - الطبعة: الطبعة الثانية - ٢٠٠٤م - الجزء الأول ٣٨٣

<sup>(٥)</sup> المسوغ لمجيء الحال جامدا هو الترتيب وضابطه أن يأتي التفصيل بعد ذكر المجموع بجزأيه مكررا، قال الرضي: وفي نصب الجزء الثاني خلاف ذهب الزجاج إلى أنه توكيد وذهب ابن جني إلى أنه صفة وذهب الفارسي إلى أنه منصوب بالأول لأنه لما

محيي الملائكة، يقول ابن القيم: "عطف محيي الملك في الآية على محيي الله سبحانه وتعالى يدل على تغاير المحييين، وأن محيئه سبحانه حقيقة كما إن محيي الملك حقيقة، وهكذا الأمر في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ حيث فرّق سبحانه بين إتيان الملائكة، وإتيانه، وإتيان بعض الآيات، فقسم ونوع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحداً"<sup>(١)</sup>.

كما يؤيد هذا قوله سبحانه تعالى: ﴿صَفَا صَفَا﴾، حيث إن ﴿صَفَا﴾ مصدر في موضع الحال<sup>(٢)</sup>، يؤكد حقيقة محيي الملائكة، وبالتالي محيي الله محيئاً يليق بجلالته وعصمته.

### النموذج الخامس:

قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>

لجأ مفسرو الشيعة إلى توجيه هذه الآية، على اعتبار أن ظاهر المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذنب، وهذا ما يتنافى مع عصمة الأنبياء في مفهومهم، والعصمة عند الشيعة الاثني عشرية جزء من عقيدتهم بالنبوة<sup>(٤)</sup>، والنبوة أحد الأصول الخمسة للعقيدة عندهم<sup>(٥)</sup>، وتعني تزيه

---

وقع موقع الحال جاز أن يعمل قال المرادي والمختار أنه وما قبله منصوبان بالعامل الأول لأن مجموعهما هو الحال ونظيره في الخبر هذا حلوا حامض ولو ذهب ذاهب إلى أن نصبه بالعطف على تقدير حذف الفاء والمعنى بابا فبابا وصفاً فصفاً لكان مذهبا حسنا، ونص أبو الحسن على أنه لا يجوز أن يدخل حرف العطف في شيء من المكررات إلا الفاء وخاصة، انظر إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش - الجزء العاشر ٤٧٥

<sup>(١)</sup> مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ( ابن قيم الجوزية - دار الحديث - سنة النشر: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ص ٣٥٨

<sup>(٢)</sup> إعراب القرآن - أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - الجزء الخامس ١٣٩

<sup>(٣)</sup> الفتح، آية : ٢

<sup>(٤)</sup> تتعارض العصمة مع عقيدتهم بخلق أفعال العباد وأنها مخلوقة لهم وهي عقيدة المعتزلة، فكيف تكون العصمة من الله وأفعال العباد مخلوقة لهم؟

<sup>(٥)</sup> الأصول الخمسة: التوحيد، النبوة، العدل الإلهي، الإمامة، المعاد.

الأنبياء والأئمة عن الذنوب صغيرها وكبيرها، يقول أحمد الإحسائي في كتابه العصمة: "مذهب الإمامية تزيه الله تعالى للأنبياء قبل البعثة وبعدها اختياراً واضطراً، عمداً وسهواً، وهو مما لا خلاف فيه."<sup>(١)</sup> وبذلك فهم يؤولون جميع الآيات التي بها مايمس عصمة الأنبياء ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية بعصمة النبي عليه السلام، بل وعصمة الأئمة الاثني عشر من بعده<sup>(٢)</sup>.

يقول الطبرسي: "قد قيل فيه أقوال كلها غير موافق لما يذهب إليه أصحابنا أن الأنبياء معصومون من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها قبل النبوة.... ولأصحابنا فيه وجهان؛ أحدهما: أن المراد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب أمتك وما تأخر بشفاعتك، وأراد بذكر التقدم والتأخر ما تقدم زمانه وما تأخر، كما يقول القائل لغيره: صفحتُ عن السالف والآنف من ذنوبك، وحسنتُ إضافة ذنوب أمتي إليه للاتصال والسبب بينه وبين أمتي، ويؤيد هذا الجواب ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال: سأله رجل عن هذه الآية فقال: والله ما كان له ذنبٌ ولكن الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة عليّ (ع) ما تقدم من ذنبهم وما تأخر. وروى عمر بن يزيد قال: قلتُ لأبي عبد الله (ع) عن قول الله سبحانه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: ما كان له ذنبٌ ولا همٌّ بذنبٍ ولكن الله حمّله ذنوب شيعة ثم غفرها له. والثاني: ما ذكره المرتضى قدس الله روحه أن الذنب مصدر، والمصدر يجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول معاً فيكون هنا مضافاً إلى المفعول والمراد ما تقدم من ذنبهم إليك..."<sup>(٣)</sup>

يرى معظم المفسرين أن الغفران هو لذنوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس لأمتي أو ذنب من منعه من مكة.

يقول الطبري: "فيغفر لك بفعالك ذلك ربك، ما تقدّم من ذنبك قبل فتحه لك ما فتح، وما تأخر بعد فتحه لك."<sup>(٤)</sup>

(١) كتاب العصمة (بحث مفصل في عصمة الأنبياء والأئمة) - لأحمد الإحسائي - ص ٨٣

(٢) انظر أزمة الخلافة والإمامة - أسعد وحيد قاسم - ص ٢٧٣، وانظر مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع عليّ أحمد السالوس ص ٢٨٤ وما بعدها، وانظر الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن لحمد العسال ص ٧٩.

(٣) مجمع البيان للطبرسي - الجزء التاسع ص ١٤١

(٤) جامع البيان - الطبري الجزء ٢١ ص ٢٣٦

ويقول البيضاوي: "﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ جميع ما فرط منك مما يصح أن تعاتب عليه." (١)

وذكر القرطبي عدة توجيهات دون ترجيح، منها التوجيه الأول الذي ذكره الطبرسي. (٢)

**وأقول:** إن القول بأن المراد بذنبك هو ذنب آدم وحواء، أو ذنب إبراهيم عليه السلام، أو ذنوب النبيين، أو ذنوب أمتك هو بعيد؛ إذ لا دليل على حذف المضاف.

فالكاف ضمير متصل (٣)، يفيد معنى الخطاب في كل من كلمتي ﴿لَكَ﴾ و﴿ذَنْبِكَ﴾ فهو يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز أن تقول كما أولها الطبرسي، من ذنب أمتك؛ لأنه ليس هناك دليل عليها، بل قوله عز وجل ﴿لَكَ﴾، بما في معنى اللام من معنى التخصيص، ومافي الكاف من معنى الخطاب يجعل هذا القول مستبعداً أكثر.

أما التأويل الثاني: أن المعنى من ذنبهم إليك مستدلاً بجواز إضافة المصدر إلى فاعله ثم ينصب المفعول، كـ (عجبت من ضرب محمد زيدا)، أو إضافته إلى مفعوله ثم يرفع الفاعل، كـ (عجبت من ضرب محمد زيدا) (٤)، ليس هذا مكانه؛ لأن الضمير ضمير خطاب، ولا يلتبس بضمير الغائب، فلو كان كذلك كما يقول الطبرسي نقلاً عن المرتضى لكان معنى الكاف ﴿هَمْ﴾ وهذا محال، والفعل أذنب لازم غير متعد فلا يطلب مفعولاً، ناهيك عن أن إضافة المصدر إلى الفاعل أقوى في النفس، وهو ما قرره ابن جني. (٥)

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي - الجزء الخامس ١٢٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن القرطبي - الجزء ١٦ ص ٢٦٢

(٣) وكاف الخطاب للمفرد وهي ضمير متصل مبني على الفتح - شرح الأجرومية - أبو محمد، صالح بن محمد بن حسن آل عُمَيْر، الأسمرى، القحطاني - الجزء الأول ص ٩٠ - ٩١) والضمير المتصل هو الضمير الذي يتصل بآخر الكلمة سواء كانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً، ويقع هذا الضمير في محل رفع أو نصب أو جر (التطبيق النحوي - عبده الراجحي - الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الطبعة: الأولى ١٩٩٩م) ص ٤٥

(٤) انظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - الجزء الثاني ص ٢٠٨

(٥) الخصائص لابن جني الجزء الثاني ٤٠٨

## ٢-١-٢ المطلب الثاني: عود الضمير واسم الإشارة<sup>(١)</sup>.

جاءَ في معجم مقاييس اللغة: (ضم) الضَّاد والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما: يدلُّ على دَقَّة الشيء، والآخر: يدلُّ على غَيِّبَةٍ وتَسْتُرٍ، ومن هذا الباب: أضمَرتُ في ضميري شيئاً؛ لأنَّه يَغِيْبُهُ في قلبه وصدره<sup>(٢)</sup>. وفي لسان العرب: الضمير السِّرُّ، وداخلُ الخاطرِ، والجمع: الضمائر. وهو الشيء الذي تُضمِره في قلبك<sup>(٣)</sup>.

وفي معاني النحو: "الضمير: فعيل بمعنى اسم المفعول، من أضمَرتُ الشيءَ في نفسي، إذا أخفيتُه، وسترته فهو مضمَرٌ كالحكيم بمعنى المحكم"<sup>(٤)</sup>.

وعرّفه السُّهيلي اصطلاحاً، فقال: "سُميتُ تلك اللفظة مضمراً؛ لأنها عبارة عن الاسم الذي أضمَرَ استغناءً عن لفظه الظاهر"<sup>(٥)</sup>، وقال ابنُ الحاجب: "والمضمَر ما وضع لمتكلم، أو مخاطب، أو غائب، تقدّم ذكره لفظاً أو معنًى أو حكماً"<sup>(٦)</sup>، وقال ابن مالك: "وهو الموضوع لتعيين مسمّاه مشعراً بتكلمه أو خطابه أو غيبيته"<sup>(٧)</sup>.

ويؤتى بالضمير طلباً للخفّة وزاوال الشكِّ بمكانها، يقول ابن جني: "وذلك أنّك لو قلت: (زيدٌ ضربَ زيداً) فجئتَ بعائده مظهرًا مثله، لكان في ذلك إلباسٌ، واستثقالٌ. أمّا الإلباس فأنّك إذا قلت: (زيدٌ ضربتُ زيداً) لم تأمن أن يُظنَّ أنّ (زيداً) الثاني غيرُ الأول، وأنَّ عائداً

(١) والضمير مصطلحٌ بصري، ويسميه الكوفيون: الكناية، والمكْنِيَّ - (شرح شذور الذهب- ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ- تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد- توزيع دار الفكر، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،-بيروت ص) ١٣٤.

(٢) - ينظر: معجم مقاييس اللغة -الجزء الثالث ٣٧١

(٣) - ينظر: لسان العرب-الجزء الرابع ص ٤٩١

(٤) - معاني النحو - فاضل صالح السامرائي - دار الفكر ، عمان - الأردن ، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م.ص ٣٩

(٥) - نتائج الفكر في النحو- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السُّهيلي (٥٨١ هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت-الطبعة الأولى: ١٩٩٢ م-ص: ١٧٠

(٦) - شرح الكافية في النحو- رضى الدين الإستربادي ت ٦٨٦هـ ، تحقّق أحمد السيد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة- الجزء الثالث ص ٨

(٧) - شرح التسهيل ( تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ): جمال الدين محمد بن مالك الأندلسي ت ٦٧٢ هـ، تحقيق - محمد عبد القادر عطا ، طارق فتحي السيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م الجزء الأول ص ١١٨.

الأول متوقعٌ ومتَرَقَّبٌ. فإذا قلتَ: (زيدٌ ضربته) عَلِمَ بالمضمر أنَّ الضربَ إنما وقعَ بزَيْدٍ المذكورِ لا محالةَ وزالَ تعلُّقُ القلبِ لأجلِهِ وسببه" (١). وقال: "وأما وجهُ الاستِخفافِ؛ فلأنَّكَ إذا قلتَ: (العَبِيثَانِ) (٢) شِمَمْتَهُ، فجعلتَ موضعَ التسعةِ واحدًا، كانَ أمثلُ من أنْ تعيدَ التسعةَ كُلَّها، فتقولُ: (العَبِيثَانِ شِمَمْتُ الْعَبِيثَانِ)". (٣)، وقال السيوطي: "وأصلُ وضعِ الضميرِ للاختصارِ ولهذا قامَ قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ مقامَ خمسٍ وعشرين كلمةً لو أتى بها مظهرةً". (٤)، وجاء في البلاغة العربية "أصلُ وضعِ الضمائرِ في اللغةِ إنما كانَ للاختصارِ والتَّقليلِ مِنْ طولِ الكلامِ الذي يَحْصُلُ بذكرِ الأسماءِ الظاهرةِ ابتداءً أو تكرارًا". (٥)

ولأبدٍ للضميرِ مِنْ مَرَجِعٍ يَعُودُ إِلَيْهِ وَيَكُونُ مَلْفُوظًا بِهِ سَابِقًا مُطَابِقًا بِهِ أَوْ مُتَضَمِّنًا لَهُ، أَوْ دَالًّا عَلَيْهِ، وقد يكونُ مُتَأَخِّرًا لَفْظًا لَا رُتْبَةً مُطَابِقًا أَوْ مُتَأَخِّرًا، وَقَدْ يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ فَيُضْمَرُ ثِقَةً بِفَهْمِ السَّامِعِ، وَقَدْ يَعُودُ عَلَى لَفْظِ الْمَذْكُورِ دُونَ مَعْنَاهُ، وَقَدْ يَعُودُ عَلَى بَعْضٍ، وَقَدْ يَعُودُ عَلَى لَفْظِ شَيْءٍ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجِنْسُ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ، وغير ذلك. (٦)

وأجمع النحويون والمفسِّرون -على اختلاف عباراتهم- على أنَّه إذا تقدَّم على ضميرِ الغائبِ اسمان، أو أكثر وكان كلُّ منهما صالحًا لتفسيرِ الضميرِ، يكونُ الضميرُ للأقربِ منها، إلاَّ أنْ يَرِدَ دليلٌ يجعله لغيره، أو يكونُ الأقربُ مضافًا إليه (٧). قال ابن مالك: "إذا ذكرَ ضميرٌ واحد بعد

(١) - الخصائص - ١٩٣/٢.

(٢) - العبيشان نبات طيب الأكل طيب الرائحة ( ينظر: لسان العرب الجزء الرابع ص ٥٣٣ )

(٣) - الخصائص لابن جني الجزء الثاني ص ١٩٣.

(٤) - الإتيقان في علوم القرآن - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) - المحقق: محمد أبو الفضل الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: ١٩٧٤ م - الجزء الثاني ٣٣٤

(٥) - البلاغة العربية ( أسسها وعلومها وفنونها.... ): عبد الرحمن حسن حنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق، الطبعة الأولى - ١٩٩٦ م . ٩٨/٢.

(٦) الإتيقان في علوم القرآن - السيوطي - الجزء الثاني ٣٣٤

(٧) - قال الصبان: (وقال الدماميني: ( وينبغي أن يكون المراد بالأقرب غير المضاف إليه أما إذا كان الأقرب مضافاً إليه فلا يكون الضمير له إلاً بدليل. )) حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: -محمد بن عليّ الصَّبَّان -الجزء الأول



اثنين فصاعداً جُعل للأقرب، ولا يجعل لغيره إلا بدليل من خارج.<sup>(١)</sup> وقال الزركشي: "الأصل في الضمير عوده إلى أقرب مذكور."<sup>(٢)</sup> وقال السيوطي: "الأصل عوده على أقرب مذكور."<sup>(٣)</sup>

وتقسم الضمائر باعتبار موقعها الإعرابي إلى مرفوعات ومنصوبات ومجرورات. وتقسّم باعتبار الظهور والاستتار إلى ضمائر ظاهرة (بارزة) ومستترة. وتنقسم باعتبار اتصالها وانفصالها عن الكلمة إلى ضمائر متصلة وضمائر منفصلة؛ والضمير المنفصل: هو الذي لا يختص بشيء ويصح الابتداء به<sup>(٤)</sup>، أمّا الضمير المتصل فهو الضمير الذي يتصل بآخر الكلمة سواء كانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً، ويقع هذا الضمير في محل رفع أو نصب أو جر.<sup>(٥)</sup>

بينما تنقسم من حيث دلالتها على الأشخاص والأشياء إلى ثلاثة أقسام:

أ. الضمائر التي تدل على الشخص المتكلم، وتسمى ضمائر المتكلم أو المتكلمين مثل: أنا ونَحْنُ.

ب. الضمائر التي تدل على الشخص الذي تُكلّمه، أو نتحدثُ إليه، أو نُخاطِبُه. وتُسمى ضمائر المخاطب. مثل: أنتَ ، أنتما ،أنتِ ،أنتما ،أنتم، أنْتُنَّ.

ج. الضمائر التي تدل على الشخص الذي نتحدث عنه، فهو غير موجود أمامنا؛ أيْ إنه غائب عنا في لحظة الحديث، لذا تسمى ضمائر الغائب. مثل: هو ،هما ،هم، هي ،هما، هنَّ.

---

(١) - شرح التسهيل - الجزء الأول ص ١٥٣.

(٢) - البرهان في علوم القرآن- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ت ٧٩٤هـ ، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي والشيخ/ جمال حمدي الذهبي والشيخ/ إبراهيم عبد الله الكردي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م. الجزء الرابع ص ٣٦

(٣) - الإتيان في علوم القرآن للسيوطي الجزء الثاني ص ٣٣٧ .

(٤) أسرار العربية -عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (٥٧٧هـ)- دار الأرقم  
بن أبي الأرقم -الطبعة: الأولى ١٩٩٩م الجزء الأول ٢٤١

(٥) ١ شرح الأجرومية-أبو مُحمَّد، صالحُ بنُ مُحمَّد بنِ حسنٍ آلِ عُمَيْرٍ، الأسمرِيُّ، القحطانيُّ-المكتبة الشاملة -الجزء الأول ص ٩٠ - ٩١ والتطبيق النحوي عبده الراجحي ص ٤٥

وهو تقسيم ابن الحاجب في تعريفه للضمير، وتقسيم ابن مالك، وقد قسمتُ هذا المبحثَ على هذا الاعتبار<sup>(١)</sup> إلى ثلاثة مباحث: ضمائر المتكلم، والغائب، والمخاطب<sup>(٢)</sup>.

والتوجيهات التي وجهها الطبرسي بناءً على عود الضمير كثيرة جداً، وربما يعود ذلك إلى كثرة اختلافات النحاة في ما يجوزون وما لا يجوزون في هذه المسألة؛ مما أدى إلى اختلافهم في عود الضمير في كثير من الآيات.

## ٢-١-٢-١ الأمر الأول: ضمائر المتكلم

وضمائر المتكلم هي الضمائر التي تعبر عن المتكلم ومنها ما هو منفصل، وهي: أنا ونحن، ومنها المنفصل وهي: أنا، نحن، نا، التاء، الياء، وإياي وفرعه إيانا<sup>(٣)</sup>.

### ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى هذا المطلب ياء المتكلم.

وياء المتكلم، وتسمى -أحياناً: "ياء النفس"<sup>(٤)</sup>: وهي مشتركة بين محليّ النصب والجر؛ مثل: زرتني في حديقتي. فإن كانت في محل نصب فنصبها إمّا فعل أو اسم فعل، أو حرف ناسخ؛ - مثل: "إن" أو إحدى أخواتها- وإن كانت في محل جر فقد تكون مجرورة بحرف جر، أو تكون مجرورة بالإضافة؛ لأنها مضاف إليه<sup>(٥)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> قسمته على هذا الاعتبار دون غيره لأن عود الضمير يتعلق بالمعنى وهذا التقسيم هو الأفضل بالتعبير عن الدلالة، أما تقسيمه باعتبار موقعه الإعرابي فلا يفيدنا هنا، وكذلك الأمر بالنسبة إلى تقسيمه باعتبار الظهور والاستتار فالنماذج الموجهة باعتبار الضمير المستتر نادرة وربما لا تتعدى النموذج، أما بالنسبة لاتصاله وانفصاله، فمع كثرة التوجيهات في هذا الباب إلا أنه لم أجد أي توجيه يتعلق بالضمائر المنفصلة وربما كان السبب وضوح الضمير المنفصل وقلة التباسه. بمن يعود عليه، مقارنة بالضمير المتصل.

<sup>(٢)</sup> النماذج الخاصة بضمائر المتكلم نادرة، وهذا يرجع إلى أن ضمائر المتكلم لا تعود إلا على المتكلم، بينما قد يفترض في ضمائر المخاطب والغائب أن يكون الضمير عائداً على أكثر من احتمال.، وخصوصاً ضمائر الغائب ولذلك كثرت التوجيهات الخاصة بهذا المبحث.

<sup>(٣)</sup> النحو الوافي -عباس حسن (١٣٩٨هـ) دار المعارف -الطبعة الخامسة عشرة الجزء الأول ص ٢٢٥

<sup>(٤)</sup> وتسمى ياء الإضافة ( أنظر: إبراز المعاني من حرز الأماني أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم

المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ) - دار الكتب العلمية) -ص ٢٨٢

<sup>(٥)</sup> المصدر السابق ص ٢٨٠

قالتعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وسبب توجيه هذه الآية<sup>(٢)</sup> إنكار الشيعة لمسألة الرؤيا؛ استناداً إلى أن الله ليس بجسم، وما ليس بجسم لا يُرى. يقول النجمي: "رؤية الله عز وجل بواسطة العين الباصرة لا تخلو من جهتين: إما أن تحيط الرؤية بجميع ذاته تعالى فإن هذه الإحاطة تستلزم تحديد وجود الله وحصره في مكان معين وخلو سائر النقاط منه، لأن عين الإنسان محدودة القدرة ولا تستطيع الإحاطة بجميع الجهات. وإما أن تكون رؤيتنا إياه تعالى تتعلق بجزء من ذاته، وإنها تدرك قسماً من ذاته تعالى، فهذه تستلزم القول بالتجزئة والتركيب في ذاته، وكل ذلك محالٌ بالنسبة إلى الله؛ لأنه تعالى شأنه ليس محدوداً بحد ولا متحيزاً في مكان، وليس له أجزاء ومركبات حتى يكون في مكان دون مكان. وأضف إلى ذلك أن المرئي - المفعول - لا بد أن يكون ذا لون حتى يكون قابلاً للرؤية، وتعليق اللونية على ذاته تعالى مستحيل كذلك."<sup>(٣)</sup>

يقول الطبرسي: "أي أَرِنِي نفسك أنظر إليك، اختلف العلماء في وجه مسألته (ع) الرؤية مع علمه بأنه سبحانه لا يدرك بالحواس على أقوال: أحدها: ما قاله الجمهور وهو الأقوى أنه لم يسأل الرؤية لنفسه وإنما سألها لقومه حين قالوا له ﴿لَنْ نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ [البقرة: ٥٥] ولذلك قال (ع) لا أخذتهم الرجفة: ﴿أَتَهْلِكُنَا بما فعل السفهاء منا﴾ [الأعراف: ١٥٥] فأضاف ذلك إلى السفهاء، ويسأل على هذا فيقال: لو جاز أن يسأل الرؤية لقومه مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى لجاز أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسماً وما أشبه ذلك متى شكوا فيه. والجواب إنما صح السؤال في الرؤية لأن الشك في جواز الرؤية التي تقتضي كونه جسماً يمكن معه معرفة السمع، وأنه سبحانه حكيم صادق في إخباره فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه. ومع

(١) الأعراف ١٤٣

(٢) ناقشت هذه الآية في عدة مواضع انظر ص ٦٠ وص ١٠٦ وص ١٢٧ وص ٢١٩

(٣) أضواء على الصحيحين - محمد صادق النجمي - ترجمة يحيى كمالي البحراني - پاسدار إسلام. الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - المطبعة ص ١٤٩

الشك في كونه جسمًا لا يصح معرفة السمع من حيث إنَّ الجسم لا يجوز أن يكون غنيًا ولا عالمًا بجميع المعلومات لا بدَّ في العلم بصحة السمع من ذلك؛ فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم.

وقال بعض العلماء: "إنه كان يجوز أن يسأل موسى لقومه ما يعلم استحالة أيضًا وإن كان دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم أن في ذلك صلاحًا للمكلفين في دينهم غير أنه شرط أن يبين النبي في مسألته ذلك علمه باستحالة ما سأل عنه، وأنَّ غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفًا....."<sup>(١)</sup>

وهو قول الزمخشري نفسه يقول: "قلت: ما كان طلب الرؤية إلاَّ لبيكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالًا، وتبرأ من فعلهم، وليلقمهم الحجر، وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق، فلجوا وتمادوا في لجاحهم وقالوا: لا بدَّ، ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأراد أن يسمعوا النصَّ من عند الله باستحالة ذلك."<sup>(٢)</sup>

**والظاهر - والله أعلم -** أن موسى عليه السلام طلب الرؤيا لنفسه، وهو ما يؤيده النص؛ فالضمير في ﴿أَرِنِي﴾ وهو ياء المتكلم عائد إلى سيدنا موسى عليه السلام، فالطلب من موسى لنفسه، وهو ظاهر النص<sup>(٣)</sup> وما لا يحتاج إلى تأويل<sup>(٤)</sup>، وهو التفسير الذي ارتضاه معظم المفسرين كالطبري، وابن كثير<sup>(٥)</sup>، والقرطبي، والرازي يقول القرطبي: "سأل النظر إليه؛ واشتاق إلى رؤيته لما أسمعته كلامه. فـ ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ أي: في الدنيا."<sup>(٦)</sup> ويقول الرازي: "وأما التأويل

(١) مجمع البيان ص ٢٦٠

(٢) الكشاف للزمخشري الجزء الثاني ص ١٥٣

(٣) الظاهر ما يعرف المراد منه بنفس السماع من غير تأمل وهو الذي يسبق إلى العقول والأوهام لظهوره موضوعا فيما هو المراد. (كشف الأسرار شرح المصنف على المنار في الأصول ومعه شرح نور الأنوار على المنار. - لأبي البركات عبد الله بن محمد النسفي - المطبعة الكبرى الأميرية - مصر ١٣١٦ هـ، ج ١، ص ٤٦)

(٤) وقال الزركشي في كتابه البرهان: ( وكل لفظا احتمل معنيين تصاعداً فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه) - البحر المحيط في أصول الفقه - الزركشي ج ٣، ص ٢٦) وانظر الحمل على الظاهر - دراسة تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير الطبري - إعداد - إيتسام بنت بدر عوض الجابري - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية ١٤٣٢

(٥) انظر موضع الآية في تفاسيرهم

(٦) جامع الأحكام للقرطبي الجزء السابع ٢٧٢

الثاني: وهو أنه عليه السلام إنما سأل الرؤية لقومه لا لنفسه، فهو أيضاً فاسد ويدل عليه وجوه:  
الأول: أنه لو كان الأمر كذلك لقال موسى: أرهم ينظروا إليك، ولقال الله تعالى: لن يروني،  
فلما لم يكن كذلك، بطل هذا التأويل.....<sup>(١)</sup>

## ٢-١-٢-٢ الأمر الثاني: ضمائر المخاطب.

وهي الضمائر التي تدل على شخص موجود أمامنا، ومنها ما هو منفصل ومتصل. والضمائر  
المنفصلة هي: أنت، أنت، أنتما، أنتم، أنتن، إياك، إياكما، إياكم، إياكن<sup>(٢)</sup>، أما الضمائر  
المتصلة فهي: الكاف، التاء، الألف، الواو، الياء، النون.

## ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى ياء المخاطب:

### ٢-١-٢-٢-١ الجزئية الأولى: التاء

والتاء ضمير متصل تأتي للمتكلم والمخاطب والمخاطبة، حسب حركتها؛ فالضمة للمتكلم  
والفتحة للمخاطب، والكسرة للمخاطبة<sup>(٣)</sup>.

## ومن النماذج التي وجهها الطبرسي استناداً لهذا الأمر

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ  
وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

<sup>(١)</sup> مفاتيح الغيب للرازي الجزء ١٤ ص ٣٥٥

<sup>(٢)</sup> إِيَّا: ضَمِيرٌ مُنْفَصِلٌ مَنْصُوبٌ تَتَّصِلُ بِهِ جَمِيعُ الضَّمَائِرِ. الْمُتَكَلِّمُ: إِيَّايَ، إِيَّانَا. الْمُخَاطَبُ: إِيَّاكَ، إِيَّاكُمَا، إِيَّاكُمْ، إِيَّاكُنَّ. الْغَائِبُ: إِيَّاهُ، إِيَّاهَا، إِيَّاهُمْ، إِيَّاهُنَّ. وَيَأْتِي لِلتَّحْدِيرِ: "إِيَّاكَ أَفْعَالَ الشَّرِّ"، "إِيَّاكَ أَنْ تُعَامَرَ": كُنْ حَذِرًا. "إِيَّاكَ أَغْنِي وَأَسْمَعِي يَا جَارَةَ" (مثل) الفاتحة آية ٥ إِيَّاكَ نَعْبُدُ (قرآن).

<sup>(٣)</sup> الجمل في النحو- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (١٧٠هـ-فخر الدين قباوة -

الطبعة: الخامسة — ١٩٩٥ م - ص ٢٩٥

<sup>(٤)</sup> الزمر، آية : ٦٥

وسبب توجيه هذه الآية عند الشيعة هو اعتقادهم بالعصمة المطلقة للأنبياء، وأن قوله تعالى مخاطباً نبيه ﴿لئن أشركت﴾ يتنافى مع هذه العصمة<sup>(١)</sup>.

يقول الطبرسي: "﴿وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الأنبياء والرسل ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ قال ابن عباس: "هذا أدب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتهديد لغيره؛ لأن الله تعالى قد عصمه من أهل الشرك ومداهنة الكفار."<sup>(٢)</sup>

وورد هذا التأويل عند بعض مفسري السنة كالقرطبي دون ترجيحه يقول: "﴿لئن أشركت﴾ يا محمد ﴿ليحبطن عملك﴾ وهو خطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة. وقيل: الخطاب له والمراد أمته؛ إذ قد علم الله أنه لا يشرك ولا يقع منه إشراك. والإحباط الإبطال والفساد."<sup>(٣)</sup>

ويقول الرازي رداً على هذا الكلام: "السؤال: كيف صحَّ هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم؟ والجواب أن قوله ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ قضية شرطية، والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزئها، ألا ترى أن قولك: لو كانت الخمسة زوجاً لكانت منقسمة بمتساويين قضية صادقة، مع أن كل واحد من جزئها غير صادق؟"<sup>(٤)</sup>.

ويقول الشنقيطي: "اعلم أن التحقيق أن الصدق والكذب في الشرطية المتصلة إنما يكون بحسب صحة الربط بين المقدم والتالي وعدم صحته، فإن كان الربط صحيحاً كانت صادقة وإن كان الربط غير صحيح كانت كاذبة، ومن أجل أن الصدق والكذب إنما يتواردان على الربط

(١) ومن غريب التفسير الذي ذكره مفسرو الشيعة لهذه الآية تفسيرها من قبيل "بإياك أعني واسمعي يا جارة"، وأساس هذا عندهم ما رواه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة وذلك في تأويله لقوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾<sup>(١)</sup>، حيث نقلوا عنه أنه فسرها، والآيات المشابهة لها كقوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر: ٦٥] أنها من هذا الباب (تفسير العياشي - لأبي النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (العياشي) - تحقيق هاشم الرسولي المحلاقي - المكتبة العلمية الإسلامية - طهران - ص ١٠)

(٢) جمع البيان للطبرسي الجزء الثامن ٣١٤

(٣) تفسير القرطبي الجزء ١٥ ٢٧٦

(٤) مفاتيح الغيب للرازي الجزء ٢٧ ص ٤٧٢

بين المقدم والتالي يصح أن تكون صادقة مع كذب طرفيها لو أزيلت أداة الربط.... أن أهل اللغة موافقون للمنطقيين في أن الصدق والكذب في الشرطية المذكورة إنما يتواردان على الربط بين طرفيها لصدقها مع كذب الطرفين؟<sup>(١)</sup>

ويتضح من الآية أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فالضمير في كل من أشركت (التاء) وعملك (كاف الخطاب)، يعود للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يخالف عصمة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهو كما ذكر الرازي أسلوب شرط، والشرط لا يلزم صدقه صدق شرطيه.

## ٢-١-٢-٢ الجزئية الثانية: كاف الخطاب

والكاف تأتي اسماً وحرفاً؛ أمّا الاسم فكاف المذكر والمؤنث المخاطبين. وكاف المذكر مفتوحة، أمّا المؤنث فالكاف مكسورة، نحو: ضربتك يا رجل، وضربتكِ يا امرأة، فهذه اسم بدلالة دخول حرف الجر عليها، نحو مررتُ بك وبكِ، وعجبتُ منك ومنكِ، أمّا الاسمية فهي مثل الكاف في ذلك وتلك... وما يعيننا هنا هو الكاف التي تأتي اسماً.

ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي في هذا الأمر:

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>

---

<sup>(٢)</sup> النساء، آية ٥٨

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أنَّ الإمامة منصبٌ إلهيٌّ؛ ولذلك فهم يؤولون النصوص القرآنية بما يتناسب مع هذا المعتقد يقول السبحاني في كتابه مفاهيم القرآن: "بأنَّ منصب الإمامة استمرار لشؤون ووظائف الرسالة، وأنَّ الإمام يقوم بكل ما كان يقوم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوى كونه متلقيًا للوحي، فالرسول، خُصَّ بالتشريع والوحي الإلهي، وتترتب عليها الشروط التي تسالم أصحابها عليها من كون الإمام: أعلم الأئمة، وأقضاها، وأعرفها بأصول الدين وفروعه، وأقواها على الذب عن حريم الدين والعقائد والمعارف إلى غير ذلك من المؤهلات التي يجب أن يكون النبي متّصفاً بها." (١)

يقول الطبرسي: "﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾" قيل في المعنى بهذه الآية أقوال؛ أحدها: أنها في كل مَنْ أُوْتِمِنَ أمانة من الأمانات وأمانات الله أوامره ونواهيه، وأمانات عباده فيما يَأْتَمَنُ بعضهم بعضًا من المال وغيره عن ابن عباس، وأبي بن كعب، وابن مسعود، والحسن، وقتادة وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع). وثانيها: أنَّ المراد به ولاية الأمر أمرهم الله أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشرعية عن زيد بن أسلم ومكحول وشهر بن حوشب وهو اختيار الجبائي، ورواه أصحابنا عن أبي جعفر الباقر، وأبي عبد الله الصادق قالوا: أمر الله تعالى كل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر إلى من بعده، ويعضده أنه سبحانه أمر الرعية بعد هذا بطاعة ولاية الأمر، وروي عنهم أنهم قالوا: آيتان إحداهما لنا، والأخرى لكم." (٢).

وذكر المفسرون في هذه الآية عدة تأويلات، أهمها أنها موجهة لجميع الناس أو أنها خاصة بولاية الأمر، والتأويل الثالث يعود للسياق الخارجي للآية ذكرتها معظم كتب التفسير من أنها نزلت في مفتاح الكعبة وإن كانت عامة في جميع أمور المسلمين، يقول الطبري: "عن ابن جريج، قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ قال: نزلت في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، قبض منه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيح الكعبة، ودخل بها البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح. قال: وقال عمر بن الخطاب

(١) مفاهيم القرآن - لجعفر السبحاني - مؤسسة الصادق عليه السلام - مطبعة الإعتماد - الجزء الخامس ص ٢٤٤ .

(٢) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثالث - ص ٩٤



لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية: فداؤه أبي وأمي! ما سمعته يتلوها قبل ذلك.<sup>(١)</sup>، ورجح بعض المفسرين أنه خطاب لولاة الأمور ومنهم الطبري يقول: "...وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال: هو خطاب من الله لولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولّوا في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم في القضية."<sup>(٢)</sup>

بينما رجّح معظم المفسرين أنها موجهة لجميع الناس وهو اختيار الزمخشري والرازي والقرطبي<sup>(٣)</sup>، يقول الرازي: "والأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس؛ فهي تناول الولاة فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال ورد الظلامات والعدل في الحكومات- وهذا اختيار الطبري- وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع والتحرّز في الشهادات وغير ذلك، كالرجل يحكم في نازلة ما ونحوه؛ والصلاة والزكاة وسائر العبادات أمانة الله تعالى."<sup>(٤)</sup>

وأغلب الظن أنها عامة في جميع الناس، ومما يؤيده من الناحية اللغوية، عود الضمائر في الآية التي بين يدينا والآية التي تليها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>، إلى مخاطب واحد، فقد وردت في الآية واو الجماعة في هذه الآية أربع مرات (تؤدوا، أطيعوا مرتين، فردوه)، ووردت كاف الخطاب أيضاً أربع مرات (يأمركم، حكمتكم، يعظكم، تنازعتم)، والتاء مرة واحدة في ﴿كنتم﴾، ومن المعلوم أن الخطاب القرآني موجه إلى الناس كافة، إلّا إذا خُصص كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، أو يا أيها النبي.

أمّا ما ادعاه الطبرسي من أن الخطاب موجه للأئمة أن يؤدوا الأمانة للأمة التي تليهموهي الخلافة فأولاً: كما قلتُ الخطاب موجه لجميع الناس وليس للأئمة حصراً، وثانياً: إن تأويل

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - الجزء السابع - ص ١٧٠

(٢) تفسير الطبري - الجزء السابع - ١٧١

(٣) انظر في تفاسيرهم، موضع الآية.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي الجزء العاشر ص ١٠٩

(٥) النساء، آية: ٥٩

الأمانة بالإمامة حصراً لا دليل عليه، وتأويل الإمامة بالأمانة شائع عند مفسري الشيعة. الأمانة لغة: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق والأمانة ضدّ الخيانة. يُقال أَمِنْتُ الرَّجُلَ أَمْنًا وَأَمَنَةً وَأَمَانًا، وآمِنِي يُؤْمِنِي إِيمَانًا.<sup>(١)</sup>

ففي تفسير القمي للآية الثانية والسبعون من سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ يقول القمي: "الأمانة هي الإمامة والأمر والنهي، والدليل على أن الأمانة هي الإمامة قوله عز وجل في الأئمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾"<sup>(٢)</sup>، فالقمي أوّل الأمانة بالإمامة، واستشهد بالآية التي بين يدينا من سورة النساء على ذلك.

ونلاحظ في هذا النموذج أن الطبرسي وجه الآية توجيهين لدعم عقيدته في الإمامة، من أنها من عند الله - عز وجل - كما ذكرت أولهما توجيه الخطاب للأئمة، وثانيها تأويله لمعنى الأمانة بالإمامة.

## النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> مقاييس اللغة - الجزء الأول ١٣٣

<sup>(٢)</sup> تفسير القمي - أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي - تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري - مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - الطبعة: الثالثة - الجزء الأول ص ١٤١

<sup>(٣)</sup> التغابن، آية: ٢

ويرجع هذا التوجيه إلى اعتقاد الطبرسي موافقاً لشيعة أن العدل الإلهي يتنافى مع خلق العباد على صنفين مؤمن وكافر.

يقول الطبرسي في تأويله لكلمة كافر ومؤمن: "﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ﴾" والمعنى أن المكلفين جنسان؛ منهم كافر فيدخل فيه أنواع الكفر، ومنهم مؤمن ولا يجوز حمله على أنه سبحانه خلقهم مؤمنين وكافرين لأنه لم يقل كذلك، بل أضاف الكفر والإيمان إليهم وإلى فعلهم ولدلالة العقول على أن ذلك يقع على حسب قصودهم وأفعالهم؛ ولذلك يصح الأمر والنهي والثواب والعقاب وبعثة الأنبياء على أنه سبحانه لو جاز أن يخلق الكفر والقبائح لجاز أن يبعث رسولاً يدعو إلى الكفر والضلال ويؤيده بالمعجزات تعالى عن ذلك وتقدس هذا، وقد قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة" تمام الخبر، وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله سبحانه: "خلقت عبادي كلهم حنفاء" ونحو ذلك من الأخبار كثير.<sup>(١)</sup>

والكفر لغة: نقيض الإيمان؛ آمناً بالله وكفرنا بالطاغوت؛ كَفَرَ يَكْفُرُ كُفْرًا وَكُفُورًا وَكُفْرَانًا<sup>(٢)</sup>، أما الإيمان فهو التصديق. التهذيب: وأما الإيمان فهو مصدر آمَنَ يُؤْمِنُ إيماناً، فهو مُؤْمِنٌ.<sup>(٣)</sup>

ويقول الزمخشري في توجيهه الآية: "فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإيمان وفاعل له"<sup>(٤)</sup>، ومن المعلوم أن الشيعة توافق المعتزلة في مسألة خلق أفعال العباد.

ويقول القرطبي: "قال ابن عباس: إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً، ويعيدهم في يوم القيامة مؤمناً وكافراً."<sup>(٥)</sup> وهو تأويل الطبري والرازي وابن كثير والبيضاوي على أن الله خلق الناس على نوعين مؤمن وكافر.<sup>(٦)</sup>

(١) مجمع البيان للطبرسي الجزء العاشر ص ٢١-٢٢

(٢) لسان العرب الجزء الخامس ص ١٤٤

(٣) لسان العرب الجزء ١٣ ص ٢٧

(٤) تفسير الزمخشري - الجزء الرابع ص ٥٤٥

(٥) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي الجزء ١٨ ص ١٣٨

وهو الصحيح؛ فالله سبحانه وتعالى خلق الناس على صنفين مؤمن وكافر، وهو مرتبط بعلمه جلّ وعلا، ومما يدل عليه لغوياً: أَنَّ (كافر) و(مؤمن) اسم فاعل، واسم الفاعل اسم مشتق للدلالة على وصف من قام بالفعل والوصف يدل على من اتصف به على جهة الثبوت<sup>(٢)</sup>.

أما قول الطبرسي إنه أضاف الكفر والإيمان إليهم وإلى فعلهم فليس بشيء، فإن قال أحدهم: الله خلقكم فمنكم طويل القامة، ومنكم قصير القامة، فهل الطول والقصر من فعلهم؟! فقله سبحانه وتعالى: منكم كافر ومنكم مؤمن هو تفصيل لما خلقهم عليه.

٢-١-٢-٣ الجزئية الثالثة: ألف الاثنين: وهي ضمير يدل على تنية الفعل.

ومن النماذج التي وجهها الطبرسي في هذا الأمر:

قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾<sup>(٣)</sup>

وهذه من المناصب التي منحها الشيعة لعلي رضي الله عنه، وهو إلقاء من كفر بولايته بالنار، وهذا المنصب يتناقض مع منصب الشفاعة والتي هي خاصة بآل البيت والأئمة الاثني عشرية، إلا إذا كان هذا الاستثناء لمن عادى علياً رضي الله عنه واغتصب منه الخلافة. وفي كتاب مناقب علي بن أبي طالب: "حدثني - والذي إليه مصيري - موسى بن طريف، ولم أر أسدياً كان خيراً منه قال: سمعتُ عباية بن ربعي إمام الحلي قال: سمعتُ علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: أنا قسيم النار، أقول هذا وليي دعيه، وهذا عدوي خذيه".<sup>(٤)</sup>

ويقول: "وحدثني أبو المتوكل الناجي في إمرة الحجاج وكان يشتم علياً عليه السلام شتماً مقدعاً - يعني الحجاج - عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا

(١) انظر في تفاسيرهم

(٢) النحو الوافي - عباس حسن - الجزء الثالث ص ٢٤٠

(٣) ق، آية : ٢٤

(٤) مناقب آل أبي طالب - الامام الحافظ ابن شهر اشوب رشيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر اشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيش السروي المازندراني (٥٨٨ هـ) قام بتصحيحه وشرحه لجنة من أساتذة النجف - المكتبة والمطبعة الحيدرية - النجف - الجزء الثاني ص ٩

كان يوم القيامة يأمر الله عز وجل فأقعد أنا وعليُّ على الصراط يقال لنا: أدخلوا الجنة من آمن بي وأحبكمما، وأدخلوا النار من كفر بي وأبغضكمما. قال أبو سعيد: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما آمن بالله من لم يؤمن بي، ولم يؤمن بي من لم يتولَّ - أو قال: لم يحب - عليًّا، وتلا: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. <sup>(١)</sup>

ويقول الطبرسي: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ هذا خطاب لخازن النار. وقيل: خطاب للملكين الموكلين به، وهما السائق والشهيد عن الزجاج وقد ذكرنا ما قيل فيه. وروى أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن الأعمش أنه قال: حدثنا أبو المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لي ولعليُّ أَلْقِيَا فِي النَّارِ مِنْ أَبْغَضَكُمَا وَأَدْخَلَا الْجَنَّةَ مِنْ أَحَبَّكُمَا" وذلك قوله: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ والعنيد الذهاب عن الحق وسبيل الرشد. <sup>(٢)</sup>

ووجه ابن منظور في لسان العرب على أنَّ المعنى أَلْقَيْنَ ثم أبدلت الألف من النون يقول: "وقال أبو عكرمة الضبي في قول امرئ القيس: (قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل) قال: أراد قَفَنَ فأبدل الألف من النون الخفيفة كقوله: قوما أراد قومين. قال أبو بكر: وكذلك قوله عز وجل: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ، وأكثر الرواية أنَّ الخطاب للملك خازن جهنم وحده، فبناه على ما وصفناه. <sup>(٣)</sup>

ويقول العكبري: "قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا﴾ أي يقال ذلك، وفي لفظ التنية هنا أوجه؛ أحدها: أنه خطاب للملكين. والثاني: هو لواحد، والألف عوض من تكرير الفعل؛ أي أَلْقِ أَلْقِ. والثالث: هو لواحد؛ ولكن خرج على لفظ التنية على عادتهم، كقولهم خليليَّ عوجًا، وخليليَّ مرًّا بي؛ وذلك أنَّ الغالب من حال الواحد منهم أنَّ يصحبه في السفر اثنان. والرابع: أنَّ من العرب من

<sup>(١)</sup> المصدر السابق

<sup>(٢)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء التاسع ١٨٤

<sup>(٣)</sup> لسان العرب الجزء ١٥ ص ٤٢٨

يخاطب الواحد بخطاب الاثنين، كقول الشاعر: فإن تـزجراني يا بن عفان أنـزجر وإن تدعاني أحـم عرضاً ممنعاً. والخامس: أن الألف بدل من النون الخفيفة، وأجري الوصل مجرى الوقف.<sup>(١)</sup>

ووجوه التأويل الأربعة التي ذكرها العكبري في البداية هي الوجوه نفسها التي ذكرها الزمخشري، وذكر الرازي والقرطبي بعض هذه الوجوه دون ترجيح، أمّا ابن كثير فرجح ابن كثير أن يكون الخطاب في ألقيا للسائق والشهيد.<sup>(٢)</sup>

واتخذ العامل من هذه التأويلات دليلاً على أن السائق والشهيد هما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيدنا علي رضي الله عنه، يقول العامل: "ويتعجب الإنسان: لماذا يصر هؤلاء المفسرون الكبار على جعل المخاطب شخصاً واحداً، ويتكلفون هذه التمحلات، ويهربون من جعله مثنى حقيقياً هو الرقيب والعـتيد، أو السائق والشهيد، مثلاً؟!

والجواب: أن جعل المخاطب مثنى فيه خطر عليهم! لأن الحديث الشريف لم يقبل أن يُفسّر المخاطبين في الآية بالملكين، بل فسّرهما بمحمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام! لذلك طبقوا قاعدتهم في سد الذرائع وأنكروا المثنى من أساسه، لكي يسدوا الطريق على الحديث النبوي الذي ما رواه السُّنة والشيعة ونص على أن المخاطبين هما: محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، فرسول الله صلى الله عليه وآله حاكم المحشر، ومعه علي عليه السلام قسيم الجنة والنار!

فهذا هو السبب في إصرارهم على إنكار المثنى وجعله مفرداً! وقولهم إنَّ المخاطب مفرد مفرد، حتى لو كانت صيغته التثنية!"<sup>(٣)</sup>

ولا أدري لماذا تكلف المفسرون كل هذه التأويلات، حتى أخذت ذريعة من قبل الشيعة، على حين أن السياق الدلالي للآية يرجح عود الضمير إلى السائق والشهيد فهما أقرب المذكورات، كما أنهما مثنى، أمّا التأويلات الأخرى فهي متكلفة وبعيدة.

(١) التبيان في إعراب القرآن - لأبي البقاء العكبري الجزء الثاني - دار الفكر ١٤٢٤ - ص ٤١٦

(٢) انظر في تفسير الزمخشري والرازي والقرطبي وابن كثير في موضع الآية

(٣) الف سؤال واشكال على المخالفين لاهل البيت الطاهرين - علي الكوراني العاملي - دار الهدى - الطبعة: الثانية ٢٠٠٨ -

## ٢-١-٢-٣ الأمر الثالث: ضمائر الغائب

وهي الضمائر التي تدل على شخص غائب غير موجود أمامنا، ومنها ما يكون منفصلاً وهي: هو، هي، هما، هم، هنّ، إياه، إياها، إياهما، إياهم، إياهنّ. أو متصلًا وهي: هاء الغائب، ألف الاثنين، واو الجماعة، نون النسوة.

وقد قسمت بعض النماذج التي وجهها الطبرسي استنادًا إلى عود الضمير للغائب إلى عدة أمور هي:

### ٢-١-٢-٣-١ الجزئية الأولى: هاء الغائب

وهاء الغائب<sup>(١)</sup>: وهي ضمير الغائب الفرد المذكر في حالة الاتصال<sup>(٢)</sup>، ويتم التفرقة بين الغائب المذكر والغائبة المؤنثة بإضافة ألف، تقول: كتابه، وكتابه، وتكون في محل إعراب حسب موقعها بالجملة، وتتصل بالأفعال والأسماء والحروف<sup>(٣)</sup>.

ومن النماذج التي وجهها الطبرسي استنادًا إلى هذا الأمر:

#### النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) وتسمى هاء الكناية

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها-لمكي بن طالب -تحقيق محيي الدين رمضان -مطبوعات مجمع اللغة

العربية -دمشق ١٣٩٤ الجزء الأول ص ٤٢

(٣) انظر هاء الكناية -محمد العمري -مجلة أم القرى -شوال ١٤٢٤ -الجزء ١٦ ص ٥٥٦

(٤) يوسف، آية : ١٠٠

ويرجع توجيه هذه الآية إلى اعتقاد الشيعة بجواز السجود باتجاه مقامات أئمتهم وأوليائهم؛ ففي كتاب خلفيات على مأساة الزهراء يقول العاملي: "إنَّ عددًا من الروايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام تصرّح بأنَّ سجود يعقوب (ع) إنما كان إعظامًا وشكرًا لله سبحانه، وفي نص آخر: عبادة لله. وفي نص رابع: "إنما كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله وتحية ليوסף، كما كان السجود من الملائكة لآدم، ولم يكن لآدم، وإنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية لآدم، فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكرًا لله لاجتماع شملهم"، وبعدها تقدم نقول: إنَّ هذا البعض<sup>(١)</sup> لم يلتفت إلى هذه الروايات، بل تجاهلها وحكم بأنهم إنما سجدوا ليوסף (ع) استجابة إلى تقاليد كانت شائعة عند الناس آنذ.. رغم أن الروايات تؤكد أن السجود إنما هو لله سبحانه عبادة أو شكرًا له، أو إعظامًا، أو طاعة لله، وتحية لآدم.. بل إنَّ الرواية الأخيرة قد صرّحت بأنَّ يوسف (عليه السلام) قد سجد معهم أيضًا، فهل السجود على أعتاب مقامات الأنبياء والأئمة والأولياء إعظامًا أو شكرًا، أو عبادة أو طاعة لله، أو حتى تحية للنبي أو الولي، بعد أن فعلته الملائكة والأنبياء قد يتخذ اتجاهًا خطيرًا في التصور والممارسات؟! "<sup>(٢)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿وخرّوا له سجّدًا﴾ أي انحطوا على وجوههم وكانت تحية الناس بعضهم لبعض يومئذٍ السجود والانحناء والتكفير. عن قتادة: ولم يكونوا نھوا عن السجود لغير الله في شريعتهم فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة عجلها لهم، قال أعشى بن ثعلبة:

فَلَمَّا أَتَانَا سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا  
بُعَيْدَ الْكَرَى الْعَمَارَا

وكان من سنة التعظيم يومئذ أن يسجد للمعظم عن الزجاج. وقيل: كان سجودهم كهية الركوع كما يفعل الأعاجم عن الكلي. وقيل: إنَّ السجود كان لله تعالى شكرًا له كما يفعله الصالحون عند تجدد النعم والهاء في قوله ﴿له﴾ عائدة إلى الله تعالى أي: سجدوا لله تعالى على

<sup>(١)</sup> يقصد صاحب كتاب من وحي القلم محمد حسين فضل الله انظر الجزء ١٢ ص ٢٦٨ من الطبعة الثانية ١٩٩٨ دار الملاك

-لبنان

<sup>(٢)</sup> خلفيات كتاب مأساة الزهراء- جعفر مرتضى العاملي- الطبعة الخامسة - ٢٠٠٢م. - الجزء الرابع ص ٨



هذه النعمة وتوجهوا في السجود إليه كما يقال صلى للقبلة ويراد به استقبالها عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) قال علي بن إبراهيم: وحديثي محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين أن يحيى بن أكثم سأل موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل؛ فعرضها على أبي الحسن علي بن محمد (ع) فكان إحداها أن قال: أخبرني أسجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ فأجاب أبو الحسن عليه السلام: أما سجود يعقوب وولده فإنه لم يكن ليوسف وإنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية ليوسف، كما إن السجود من الملائكة لآدم كان منهم طاعة لله وتحية لآدم؛ فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله تعالى لاجتماع شملهم.<sup>(١)</sup>

وذكر الرازي القول الذي ذكره الطبرسي من أن السجود له كالسجود للقبلة وحسن هذا القول، يقول: "إنهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكراً لنعمة وجدانه. وهذا التأويل حسن فإنه يقال: صليت للكعبة كما يقال: صليت إلى الكعبة."<sup>(٢)</sup>

إلا أنه رجح أن تكون اللام لام الأجل يقول الرازي: "أن ذلك السجود كان سجوداً للشكر؛ فالمسجود له هو الله، إلا أن ذلك السجود إنما كان لأجله."<sup>(٣)</sup>

وذكره الزمخشري، ولكن الظاهر أنه رجح أن يكون السجود سجود تعظيم<sup>(٤)</sup>، واستبعد الرازي أن يكون السجود سجود تعظيم يقول: "وهذا في غاية البعد؛ لأن المبالغة في التعظيم كانت أليق بيوسف منها بيعقوب، فلو كان الأمر كما قلتم، لكان من الواجب أن يسجد يوسف ليعقوب عليه السلام."<sup>(٥)</sup>

ومعظم المفسرين على أن السجود في الآية سجود تعظيم كالطبري والقرطبي وابن كثير<sup>(٦)</sup>، ويرجح ذلك من الناحية اللغوية:

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الخامس ص ٣٥٣

(٢) تفسير الرازي الجزء ١٨ ص ٥١٠

(٣) المصدر السابق

(٤) تفسير الزمخشري الجزء الثاني ٥٠٥

(٥) تفسير الرازي الجزء ١٨ ص ٥١٠

(٦) انظر تفسير الطبري الجزء ١٣ ص ٣٥٥، وتفسير القرطبي الجزء التاسع ٢٦٥، وتفسير ابن كثير الجزء الرابع ص ٣٥٣

١- عود الضمير على يوسف عليه السلام وهو أقرب مذكور إضافة<sup>(١)</sup> إلى أن اسم الجلالة لم يذكر حتى نعيد الضمير عليه.

٢- كما يؤيده السياق الدلالي للآيات؛ وذلك بمطابقة هذا القول لرؤيا يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

### النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿مَنْ أَلَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ\*تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>

وسبب توجيه هذه الآية اعتقاد الاثني عشرية بأن الله سبحانه وتعالى لا يحويه مكان ولا زمان ،يقول الصدوق: "اعلم أن الله عزير قدوس قادر غني، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض ولا خط ولا سطح ولا ثقل ولا خفة ولا سكون ولا حركة ولا مكان ولا زمان."<sup>(٤)</sup>

يقول الطبرسي: ﴿إِلَيْهِ﴾ أي إلى الموضع الذي لا يجري لأحد سواه فيه حكم جعل سبحانه عروجهم إلى ذلك الموضع عروجاً إليه كقول إبراهيم (ع): ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ [الصفافات: ٩٩] إلى الموضع الذي وعدني ربّي.<sup>(٥)</sup>

موافقاً للمعتزلة والأشاعرة ومخالفاً لأهل السنة والجماعة في إثبات علو الله.<sup>(٦)</sup>

ويقول الزمخشري: "﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ إلى عرشه وحيث تهبط منه أوامره."<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> ذكرت في بداية هذا المطلب إجماع العلماء على ضرورة عود الضمير إلى أقرب مذكور ، وذكرت من أقوالهم

<sup>(٢)</sup> يوسف، آية : ٤

<sup>(٣)</sup> المعارج ، آية : (٣-٤)

<sup>(٤)</sup> الاعتقادات للصدوق - ص ٢٢

<sup>(٥)</sup> مجمع البيان للطبرسي الجزء العاشر ص ٩٢

<sup>(٦)</sup> شرح العقيدة الواسطية-محمد بن خليل بن هراس-دار ابن عفان-٢٠٠٢م ص ١٧٥

ويقول الرازي: "فَبَيَّنَ أَنَّ عُرُوجَ الْمَلَائِكَةِ وَصُعُودَهُمْ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي كَوْنَهُ تَعَالَى فِي جِهَةٍ فَوْقَ وَالْجَوَابِ: لَمَّا دَلَّتِ الدَّلَائِلُ عَلَى امْتِنَاعِ كَوْنِهِ فِي الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ ثَبَتَ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ التَّأْوِيلِ، فَأَمَّا وَصْفُ اللَّهِ بِأَنَّهُ ذُو الْمَعَارِجِ فَقَدْ ذَكَرْنَا الْوَجْهَ فِيهِ، وَأَمَّا حَرْفُ ﴿إِلَى﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ فَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْمَكَانَ بَلِ الْمُرَادُ انْتِهَاءُ الْأُمُورِ إِلَى مُرَادِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْيَهُودُ يَرْجِعُونَ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ [هُود: ١٢٣] الْمُرَادُ الْانْتِهَاءُ إِلَى مَوْضِعِ الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصَّافَات: ٩٩] وَيَكُونُ هَذَا إِشَارَةً إِلَى أَنَّ دَارَ الثَّوَابِ أَعْلَى الْأَمَكَةِ وَأَرْفَعُهَا." (٢)

وَبِنَحْوِ قَوْلِهِ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ. (٣)، أَمَّا الطَّبْرِيُّ فَيَقُولُ: "يَعْنِي إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَيْهِ﴾ عَائِدَةٌ عَلَى اسْمِ اللَّهِ." (٤)

وهو الصواب - والله أعلم - فالضمير في قوله ﴿إِلَيْهِ﴾ عائد إلى الله سبحانه وتعالى وهو أقرب مذكور، وهو يوافق عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات علو الله.

### النموذج الثالث:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ \* كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٥)

ويعود هذا المثال إلى اعتقاد الشيعة بأن أفعال العباد مخلوقة لهم، وفي كتاب شرح نهج البلاغة يقول أبو حديد (٦): "بأن العباد مجبورون في أفعالهم يستلزم الظلم وهو على الله محال، والقول فيه

(١) الكشف للزمخشري الجزء الرابع ص ٦٠٩

(٢) مفاتيح الغيب للرازي الجزء ٣٠ ص ٣٣٩

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري الجزء ٢٣ ص ٢٥١

(٥) الحجر، آية: (١١ - ١٢)

٤ قال عنه الشيعة: هو عز الدين بن أبي الحسن بن أبي الحديد المدائني صاحب شرح نهج البلاغة المشهور وهو من أكابر الفضلاء المتتبعين وأعظم النبلاء المتبحرين مواليا لأهل العصمة والطهارة ..... وحسب الدلالة على علو منزلته في الدين وغلوه في أمير المؤمنين عليه السلام شرحه الشريف الجامع لكل نفيسة وغريب، والحاوي لكل نافحة ذات طيب ..... كان مولده في غرة ذي الحجة ٥٨٦هـ، فمن تصانيفه شرح نهج البلاغة عشرين مجلدًا صنّفه لخزانة كتب الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ولما فرغ من تصنيفه أنفذه على يد أخيه موفق أبي المعالي فبعث له مائة دينار وخلعة سنوية وفرسا - (روضات الجنات

كفر، والقول أن لا مدخل لله تعالى في أفعال العباد كفر بالله تعالى مدخل بالهدايات والتوفيقات وتركها، وهو المعبر عنه في عرف الشرع بالضلال ولكن بتلك الهدايات لا يكون العبد مجبوراً بالفعل ولا بتركها في الترك.<sup>(١)</sup>

يقول الطبرسي: "كذلك نسلكه في قلوب المجرمين ﴿ فيه قولان؛ أحدهما: أن معناه أن نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفار بأخطاره عليها وإلقائه فيها وبأن نفهمهم إياه وأنهم مع ذلك ﴾ لا يؤمنون به ﴿ ماضين على سنة من تقدمهم في تكذيب الرسل، كما سلكتنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم عن البلخي والجبائي، والمراد أن إعراضهم عن القرآن لا يمنعنا من أن ندخله في قلوبهم تأكيداً للحجة عليهم. والآخر: أن المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم والأول هو الصحيح وقد روي عن جماعة من المفسرين أن المراد نسلك الشرك في قلوب الكفار، وذلك لا يصح لأنه لم يجز للشرك ذكر، وقد جرى ذكر الذكر وهو القرآن، ولأنه قال: لا يؤمنون به، ولو عاد الضمير في قوله به إلى الشرك لكان الكفار محمدين إذا كانوا لا يؤمنون بالشرك، ولا خلاف في أن الآية وردت على سبيل الذم لهم، ولو كان الله سبحانه قد سلك الكفر في قلوبهم لسقط عنهم الذم، ولما جاز أن يقول لهم: ﴿ كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السماوات يتفطرن منه ﴾ وكيف ينكر عليهم هذا الإنكار وهو الواضح لذلك في قلوبهم؟ وكيف يأمرهم بإخراجه من حيث وضعه فيه؟ تعالى وتقدس عن ذلك!"<sup>(٢)</sup>.

---

في احوال العلماء والسادات الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الاصبهاني -الدار الإسلامية -الاولى ١٩٩١ ج ٥ ص ٢١ وقال عنه القمي: (ولد في المدائن وكان الغالب على أهل المدائن التشيع والتطرف والمغالاة فسار في درهم وتقبل مذهبهم ونظم العقائد المعروفة بالعلويات السبع على طريقتهم وفيها غالي وتشيع وذهب الإسراف في كثير من الأبيات كل مذهب... ثم خف الى بغداد وجنح الى الاعتزال واصبح كما يقول صاحب نسخة السحر معتزلياً جاهزياً في اكثر شرحه بعد ان كان شيعياً غالباً. وتوفي في بغداد سنة ٦٥٥. الكنى والألقاب للقمي ج ١ ص ١٨٥ - منشورات مكتبة الصدر-لبنان.

(١) العقائد - للمجلسي - مؤسسة الهدى للنشر- الطبعة الأولى ١٣٧٨ - ص ٤١

(٢) مجمع البيان للطبرسي الجزء السادس ص ٨١

والتأويل الذي اختاره الطبرسي هو التأويل الذي اختاره الزمخشري، أما القرطبي والرازي وابن كثير والبيضاوي والبغوي<sup>(١)</sup>، فقد أرجعوا الضمير للاستهزاء؛ فقالوا كذلك نسلك الاستهزاء والكفر والتكذيب.

والسلك لغة: السين واللام والكاف أصلٌ يدلُّ على نفوذ شيءٍ في شيء<sup>(٢)</sup>، وفي الصحاح السِّلْكُ: الخِيطُ. والسَّلْكُ بالفتح: مصدر سَلَكَتُ الشيء في الشيء فأنسَلَكْتُ، أي أدخلته فيه فدخل<sup>(٣)</sup>.

والأرجح والله أعلم أن الضمير عائد إلى الاستهزاء وهو الأقرب، أمّا عودها إلى الذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٤)</sup> فبعيد، وعود الضمير إلى الأقرب واجب إلا إذا دل عليه دليل.

أما احتجاجة بعود الضمير في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، فقوله عز وجل بمثابة تفسير لقوله تعالى كذلك نسلكه فهم لا يؤمنون به، والضمير عائد إلى الذكر واختلاف عود الضمير شائع إن دل عليه دليل.

ويقول الرازي في الجواب على ذلك: "قال بعض الأدباء من أصحابنا قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ تفسير للكناية في قوله: ﴿نَسْلُكُهُ﴾ والتقدير: كذلك نسلك في قلوب المجرمين أن لا يؤمنوا به، والمعنى نجعل في قلوبهم أن لا يؤمنوا."<sup>(٥)</sup>

#### النموذج الرابع:

قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ\* إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ\* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ\* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ\* وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ\*﴾<sup>(١)</sup>.

(١) انظر تفاسيرهم في موضع الآية

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس الجزء الثالث ص ٩٧

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ) - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - الجزء الرابع ١٥٩١

(٤) الحجر، آية : ٩

(٥) مفاتيح الغيب - الجزء ١٩ - ص ١٢٦

يقول الطبرسي: "ثم أتبعه سبحانه وتعالى بقصة إبراهيم (ع) فقال: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ أي: وإن من شيعة نوح إبراهيم، يعني أنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق عن مجاهد. وقيل: إن معناه وإن من شيعة محمد إبراهيم كما قال: ﴿إِنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١] أي ذرية من هو أب لهم فجعلهم ذرية لهم وقد سبقوهم عن الفراء.<sup>(٢)</sup> ويقول الفراء<sup>(٣)</sup>: "وقوله: وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ [٨٣] يقول: إِنَّ مِنْ شِيعَةِ مُحَمَّدٍ لِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يقول: على دينه ومنهاجه، فهو من شيعة، وَإِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ سَابِقًا لَهُ. وهذا مثل قوله ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي ذرية من (هو منهم) فجعلها ذريتهم وقد سبقتهم"<sup>(٤)</sup>.

لم يذكر الطبري أو الزمخشري أو الرازي شيئاً عن عود الضمير في شيعة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أما القرطبي فقد ذكر رأي الفراء الذي استعان به الطبرسي، مرجحاً أن الضمير عائد إلى نوح عليه السلام، يقول القرطبي: "وقال الكلبي والفراء: المعنى وإن من شيعة

(١) الصفات، الآيات : ( ٧٩-٨٣ )

(٢) مجمع البيان للطبرسي-الجزء الثامن ٢٤١

(٣) وقال ابو الحجة النحوي: (ومن المعتزلة أيضاً صاحب بن عباد وصاحب الكشاف والفراء النحوي والسيرافي وابن جني والله أعلم). (ثمرات الأوراق (مطبوع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للشهاب الأبهسي) المؤلف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي (٨٣٧هـ) الناشر: مكتبة الجمهورية العربية، مصر الجزء الأول ص ١٦ ونقل ابن تيمية نقله عن الإمام أحمد قوله: ((كنت أحسب الفراء رجلاً صالحاً حتى رأيت كتابه في معاني القرآن)). انظر مجموع فتاوى ابن تيمية الجزء السادس ٤٤١

ونسبه الدكتور أحمد الأنصار إل الشيعة في كتابه أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ص ٩٦ وما بعدها، وفي كتاب مناهج الويين في تقرير العقيدة لمحمد الشيخ عليو محمد، عقد فصلاً للفراء انتهى فيه إلى أنه كان مخطئاً جمع في نفسه آراء المعتزلة إلى أقوال أهل السنة وجمع بينهما أحياناً فكان أشعرياً قبل ظهور الأشاعرة، ونفى عنه التشيع (مناهج اللغوين في تقرير العقيدة محمد الشيخ عليو محمد، مكتبة دار المنهاج الرياض ص ٦٨٤.

وقد برأه الدكتور مساعد الطيار من الاعتزال في كتابه التفسير اللغوي للقرآن الكريم (التفسير اللغوي للقرآن الكريم-مساعد الطيار-دار ابن الجوزي-الطبعة الأولى -١٤٢٢-ص ٢٩٨)

كما نسبه بعض الشيعة إلى التشيع كالعالمي في أعيان الشيعة في الجزء الثامن ص ٦٤.

(٤) معاني القرآن-أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدليمي الفراء (٢٠٧هـ)- أحمد يوسف النجاشي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلي - دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر - الطبعة: الأولى - الجزء الثاني ٣٨٨

محمد لإبراهيم. فالهاء في (شيئته) على هذا إلى محمد عليه السلام. وعلى الأول لنوح وهو أظهر؛ لأنه هو المذكور أولاً.<sup>(١)</sup>

وأغلب الظن أن الضمير عائد إلى سيدنا نوح، أمّا إرجاعه إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلا يحتمله النص، فكيف يعود الضمير على ما ليس مذكوراً إلا من قبل ولا من بعد ؟!

#### النموذج الخامس:

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.<sup>(٢)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ يعني على محمد صلى الله عليه وسلم".<sup>(٣)</sup>

يقول العكبري: والهاء في: ﴿عَلَيْهِ﴾ تعودُ على أبي بكرٍ - رضي الله عنه - لِأَنَّهُ كَانَ مُنْزَعَجًا. والهاء في: ﴿أَيَّدَهُ﴾ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.<sup>(٤)</sup>

ويقول الزجاج: "وقوله: ﴿سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾، يجوز أن تكون الهاء التي في عليه لأبي بكر، وجائز أن تكون ترجع على النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنَّ الله جل ثناؤه ألقى في قلبه ما سَكَنَ به وعلم أنهم غير واصلين إليه".<sup>(٥)</sup>

وأعاد الطبري والزمخشري وابن كثير الضمير في قوله في ﴿عليه﴾ إلى النبي صلى الله عليه وسلم.<sup>(٦)</sup>

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي الجزء ١٥ - ص ٩١

(٢) التوبة، آية ٤٠

(٣) مجمع البيان للطبرسي - الجزء ٥ - ص ٤٦

(٤) التبيان في إعراب القرآن - أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ) - المحقق: علي محمد البجاوي -

الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه الجزء الثاني ٦٤٤

(٥) معاني القرآن وإعرابه - للزجاج - الجزء الثاني ٤٤٩

(٦) انظر في تفاسيرهم ، موضع الآية.

وأعاد القرطبي الضمير في قوله ﴿عليه﴾ لأبي بكر رضي الله عنه، وفي قوله ﴿وأيدته﴾ للرسول صلى الله عليه وسلم، يقول القرطبي: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ فيه قولان: أحدهما على النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني على أبي بكر. ابن العربي: قال علماؤنا وهو الأقوى؛ لأنه خاف على النبي صلى الله عليه وسلم من القوم؛ فأنزل الله سكينته عليه بتأمين النبي صلى الله عليه وسلم، فسكن جأشه وذهب روعه وحصل الأمن..... ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ أي من الملائكة. والكناية في قوله ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ ترجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. والضميران يختلفان، وهذا كثير في القرآن وفي كلام العرب.<sup>(١)</sup>

وكذلك الرازي وذكر عدة أوجه للاستدلال على أن الضمير في سكينته عائد إلى أقرب المذكورات، وأن أقرب المذكورات أبو بكر على تقدير "إذ يقول محمد لصاحبه أبي بكر لا تحزن"، وأن الحزن والخوف كان حاصلًا لأبي بكر رضي الله عنه؛ ولذلك فالسكينة يجب أن تنزل عليه.<sup>(٢)</sup>

**والظاهر هو أن الهاء في ﴿عليه﴾ جائز أن تكون عائدة للنبي صلى الله عليه وسلم، ولأبي بكر رضي الله عنه، ويرجح أولاهما العطف بين قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ وقوله ﴿وأيدته﴾، أما الثاني فيرجحه عود الضمير إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور ﴿صاحبه﴾ أبوبكر رضي الله عنه، والضمير المستتر في قوله تعالى على لسان نبيه ﴿لا تحزن﴾ عائد لأبي بكر رضي الله عنه.<sup>(٣)</sup>**

## النموذج السادس:

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي-الجزء الثامن ض ١٤٨

(٢) الجزء ١٦ ص ٥٢

(٣) ذكر السيوطي في كتابه الاتقان تحت قاعدة الأصل هو توافق الضمائر في المرجع أن هذه الآية خالفت هذه القاعدة أن فيه اثني عشر ضميرًا كُلُّهَا عائدة لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا الضمير في عليه، نقلا عن السهلي الذي ذكر السيوطي أنه نقله عن عدد من العلماء. (الاتقان في علوم القرآن للسيوطي -الجزء الثاني- ص ٣٣٨)، وليس كل الضمائر عائدة للنبي صلى الله عليه وسلم فالضمير في (سكينته) عائد للذات الإلهية، والضمير في لا تحزن عائد لأبي بكر رضي الله عنه.



قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكُ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.<sup>(١)</sup>

وسبب توجيه هذه الآية هو رغبة الطبرسي وشيعته في إدراج هذه الآية ضمن سلسلة الآيات التي تثبت الإمامة لآل البيت عليهم السلام؛ فأولوا قوله تعالى: ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ بالأنبياء، وليس هذا إجلالاً للأنبياء ولا تقديساً لهم، بل للوصول إلى من هم ورثة الأنبياء بالعصمة والوحي، بل ربما فاقت امتيازاتهم امتيازات الأنبياء ويقول الخميني: وقد ورد عنهم (يقصد الأئمة): "إنَّ لأئمتنا مقاماً سامياً وخلافة تكوينية تخضع لها جميع ذرات هذا الكون... وينبغي العلم أنَّ لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ"<sup>(٢)</sup>! وهذا أوقع الطبرسي في مأزق آخر في مَنْ يعود عليه الضمير في منهم، وبما أنه يوافق شيعته في عصمة الأنبياء من أنَّ عصمتهم عصمة مطلقة عن الذنوب صغرها وكبيرها<sup>(٣)</sup>، فقد أعاد الضمير إلى ﴿عبادنا﴾.

يقول الطبرسي: "والذين اصطفاهم الله وأورثهم الكتاب قيل: هم الأنبياء؛ فمنهم ظالمٌ لنفسه يعني أصحاب الصغائر. وقيل: هم أصحاب النار، هذا من قول من أجاز على الأنبياء الصغائر دون الكبار، فأما من لا يجوز عليهم شيئاً من المعاصي أصلاً لا صغيرة ولا كبيرة يقول: معنى الآية إنَّ الله تعالى أورث علم الكتاب الذي هو القرآن الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم على جميع الخلق من الأنبياء المعصومين، والأئمة المنتجبين الذين لا يجوز عليهم الخطأ ولا فعل القبيح لا صغيراً ولا كبيراً، ويكون قوله ﴿فمنهم ظالمٌ لنفسه﴾ راجعاً إلى ﴿عباده﴾ وتقديره فمن عبادنا ظالمٌ لنفسه، ومن عبادنا مقتصد، ومن عبادنا سابق بالخيرات، لأنَّ من

(١) فاطر، آية ٣٢

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني - الطبعة الثالثة - ص ٥٢

(٣) «العصمة تعني الصون والحفظ لصاحبها، ولها في باب النبوة المراتب التالية:

أ- العصمة في مقام تلقي الوحي وحفظه وتبليغه.

ب- العصمة عن المعصية والذنوب.

ج- العصمة عن الخطأ والاشتباه في الأمور الفردية والاجتماعية. انظر نظرية الإمام في ميزان النقد لحجت الله نيكوئي ترجمة

سعد رستم طبعة ٢٠٠٩ نقله عن منشور عقائد الإمامية لجعفر السبحاني ص ١١٠

اصطفاه الله لا يكون ظالماً لنفسه، فلا يجوز أن ترجع الكناية إلى الذين اصطفينا وقوله ﴿بالخيرات﴾ يعني يعلم من اقتصد أو ظلم نفسه أو سبق بالخيرات." (١)

واختار الطبري والزمخشري والرازي والقرطبي (٢) أن المقصود بالذين اصطفينا من عبادنا أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فأمة محمد مصطفىا بدليل قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة.....﴾، والضمير في قوله تعالى ﴿فمنهم﴾ يعود للمصطفين من عباد الله وهم أمة محمد، وهو الصحيح والله أعلم .

## ٢-١-٢-٣-٢ الجزئية الثانية: واو الجماعة.

و ﴿واو الجماعة﴾: ضمير يدل على الجمع في الفعل، وتطلق على الذكور العقلاء.

ومن النماذج التي وجهها الطبرسي في هذا الأمر:

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (٣)

(١) مجمع البيان للطبرسي الجزء الثامن ص ١٨٦

(٢) انظر تفسير الطبري الجزء ١٣ ص ٣٦٧، وتفسير الرازي الجزء ٢٦ ص ٢٣٢، وتفسير القرطبي الجزء ١٣ ص ٣٥١.

(٣) محمد، الآية : ٢٦

ويسعى الطبرسي إلى حشد أكبر عدد من الآيات التي تثبت الإمامة لعلي رضي الله عنه.

يقول الطبرسي: "﴿بَأْتُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن وما فيه من الأمر والنهي والأحكام. والمروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) أنهم بنو أمية كرهوا ما نزل الله في ولاية علي بن أبي طالب (ع) ﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾ أي نفعل بعض ما تريدونه ﴿والله يعلم أسرهم﴾ أي ما أسره بعضهم إلى بعض من القول وما أسروه في أنفسهم من الاعتقاد." (١)

يقول الطبري: "﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ﴾ من الأمر بقتال أهل الشرك به من المنافقين." (٢)

وكذلك الرازي يقول: "والمراد من الذين كرهوا ما نزل الله هم المشركون والمنافقون، وقيل المراد اليهود، فإن أهل مكة قالوا لهم: نوافقكم في إخراج محمد وقتله وقتال أصحابه، والأول أصح لأن قوله ﴿كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ﴾ لو كان مسنداً إلى أهل الكتاب لكان مخصوصاً ببعض ما أنزل الله، وإن قلنا بأنه مسند إلى المشركين يكون عاماً، لأنهم كرهوا ما نزل الله وكذبوا الرسل بأسرهم، وأنكروا الرسالة رأساً" (٣)، وهو تفسير القرطبي أيضاً.

وأغلب الظن أن الذين قالوا هم المنافقون، والذين كرهوا ما أنزل الله المشركون، بدليل السياق الخارجي والداخلي للآيات من أن المنافقين كرهوا ما أنزل الله من الجهاد، وقوله سبحانه وتعالى في الآية السابقة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (٤)، فقوله سبحانه تعالى ارتدوا على أدبارهم يؤيد السياق الخارجي للآية من أن المقصود أنهم كرهوا ما أنزل الله من أمر بالقتال.

أمّا ما ذكره الطبرسي من أن الذين كرهوا ما أنزل الله هم بنو أمية، فلا يدعمه السياق الداخلي ولا الخارجي للآيات.

(١) مجمع البيان للطبرسي الجزء التاسع ١٣٥

(٢) تفسير الطبري الجزء ٢١ ص ٢١٨

(٣) مفاتيح الغيب للرازي الجزء ٢٨ ص ٥٧

(٤) محمد، الآية ٢٥

## ٢-١-٢-٤ الأمر الرابع الضمير المستتر

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الطبرسي: "كل قد علم صلاته وتسبيحه" معناه أن جميع ذلك قد علم الله تعالى دعاءه إلى توحيده وتسبيحه وتزيهه. وقيل: إن الصلاة للإنسان والتسبيح لكل شيء عن مجاهد وجماعة. وقيل: معناه كل واحد منهم قد علم صلاته وتسبيحه أي صلاة نفسه وتسبيح نفسه فيؤدّيه في وقته؛ فيكون الضمير في علم لكل وفي الأول يعود الضمير إلى اسم الله تعالى وهو أجود؛ لأن الأشياء كلها لا يعلم كيفية دلالتها على الله، وإنما يعلم الله تعالى ذلك.<sup>(٢)</sup>

وما رجحه الطبرسي من أن الضمير يعود إلى الله عز وجل وهو اختيار جمهور المتكلمين.<sup>(٣)</sup>

بينما رجح الطبري والرازي والقرطبي وابن كثير<sup>(٤)</sup> أن يكون الضمير المستتر في علم عائد إلى المصلي والمسبح، يقول الطبري: "ويتوجه قوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ لوجه؛ أحدها: أن تكون الهاء التي في قوله: ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ من ذكر ﴿كُلٌّ﴾، فيكون تأويل الكلام: كل مصل ومسبح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه، ويكون الكل حينئذٍ مرتفعاً بالعائد من ذكره في قوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾، وهو الهاء التي في الصلاة.

والوجه الآخر: أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضاً لـ(الكل)، ويكون (الكل) مرتفعاً بالعائد من ذكره عليه في: ﴿عَلِمَ﴾، ويكون: ﴿عَلِمَ﴾ فعلاً لـ(الكل)، فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: قد علم كل مصل ومسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه الذي كلفه وألزمه.

(١) النور، الآية ٤١

(٢) مجمع البيان للطبرسي الجزء السابع ١٨٩

(٣) انظر مفاتيح الغيب للرازي الجزء ٢٤ ص ٤٠٢

(٤) انظر تفسير الطبري الجزء ١٧ ص ٣٣٣، و تفسير الرازي الجزء ٢٤ ص ٤٠٢ وما بعدها، وتفسير القرطبي الجزء ١٢ ص ٢٨٧

والوجه الآخر: أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله، والعلم لـ(الكل)، فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: قد علم كل مسبح ومُصلّ صلاة الله التي كلّفه إياها، وتسبيحه. وأظهر هذه المعاني الثلاثة على هذا الكلام المعنى الأوّل، وهو أن يكون المعنى: كل مُصلّ منهم ومسبح، قد علم الله صلاته وتسبيحه.<sup>(١)</sup>

والأرجح هو ما عليه معظم المفسرين من أن الضمير المستتر في علم يعود إلى ﴿كل﴾، ويؤيده السياق اللغوي للآية في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾؛ فأخبره سبحانه بأنه عليم بما يفعلون يرجح أن الضمير في من علم عائد إلى المصلي والمسيح، وإلا لكان قوله تعالى إعادة.

## ٢-٢-٥ الأمر الخامس: عود اسم الإشارة

وذلك اسم إشارة يشار به للمفرد، واسم الإشارة اسم يعين مدلوله تعييناً مقروناً بإشارة حسية إليه؛ كأن ترى عصفوراً فتقول وأنت تشير إليه: "ذا" رشيق؛ فكلمة: "ذا" تتضمن أمرين معاً، هما: المعنى المراد منها: "أي: المدلول"، وهو: جسم العصفور، والإشارة إلى ذلك الجسم في الوقت نفسه. والأمران مقترنان؛ يقعان في وقت واحد لا ينفصل أحدهما من الآخر. والغالب أن يكون المشار إليه "وهو: المدلول" شيئاً محسوساً كالمثال السابق. وكأنّ تشير بأحد أصابعك إلى كتاب، أو قلم، أو سيارة، وتقول: ذا كتاب - ذا قلم - ذي سيارة. وقد يكون شيئاً معنوياً، كأن تتحدث عن رأي، أو: مسألة في نفسك، وتقول: ذي مسألة تتطلب التفكير، ذا رأي أبادر بتحقيقه.<sup>(٢)</sup>

وقال أبو الهيثم: "إذا بعد المشار إليه من المخاطب وكان المخاطب بعيداً ممن يشير إليه زادوا كافاً فقالوا ذاك أخوك، وهذه الكاف ليست في موضع خفض ولا نصب، إنما أشبهت كاف قولك أخاك وعصاك، فتوهم السامعون أن قول القائل: ذاك أخوك كأنها في موضع خفض لإشباهاها كاف أخاك، وليس ذلك كذلك، إنما تلك كاف ضمت إلى ذا لبعدها من المخاطب، فلما دخل فيها هذا اللبس زادوا فيها لاما فقالوا: ذاك أخوك، وفي الجماعة أولئك إخوانك، فإنّ

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - الجزء ١٧ ص ٣٣٤

(٢) النحو الوافي - الجزء الأول ٣٢١

اللام إذا دخلت ذهبت بمعنى الإضافة، ويقال: هذا أخوك وهذا أخ لك وهذا لك أخ، فإذا أدخلت اللام فلا إضافة.<sup>(١)</sup>

### ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي في هذا الأمر:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.<sup>(٢)</sup>

وهذا التوجيه يتعلق بالعدل الإلهي وأن هذا العدل يتنافى مع خلق العباد للرحمة أو العذاب.

يقول الطبرسي: "﴿ولذلك خلقهم﴾" اختلف في معناه. فقيل: يريد وللرحمة خلقهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وهذا هو الصحيح....<sup>(٣)</sup>

والأرجح عود اسم الإشارة ﴿ذلك﴾ يعود للاختلاف والرحمة، وهو ما اختاره معظم المفسرين كالرازي والقرطبي<sup>(٤)</sup>، ويؤيده لغوياً أن الرحمة مستثناة من العام وهو قوله تعالى: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾، واستخدام اسم الإشارة ﴿ذلك﴾ بما يحويه من دلالة على البعيد يدل على شمول الغاية من الخلق في الاختلاف والرحمة.

### ٢-١-٣ المطلب الثالث: حروف المعاني

وعرّف سيبويه الحرف بقوله: "ما جاء لمعنى ليس باسم، ولا فعل".<sup>(٥)</sup>

وانقسم النحويون في تعريف الحرف إلى فريقين: فريق يقول بدلالة الحرف على معنى في غيره، وفريق يقول بدلالته على معنى في نفسه، كما هو الحال في الاسم، والفعل.

(١) لسان العرب - الجزء ١٥ - ص ٤٥١

(٢) هود، الآية: (١١٨ - ١١٩)

(٣) مجمع البيان للطبرسي الجزء الخامس ٢٧١

(٤) تفسير الرازي الجزء ١٨ ص ٤١٠، والقرطبي الجزء التاسع ص ١١٥.

(٥) الكتاب لسيبويه - الجزء الأول ص ١٢

وممن قال بدلالة الحرف على معنى في غيره: الزمخشري يقول: "الحرف هو ما دل على معنى في غيره، ومن ثم لم ينفك من اسم، أو فعل يصحبه إلّا في مواضع مخصوصة حذف فيها الفعل واقتصر على الحرف فجرى مجرى النائب"<sup>(١)</sup>. وتابعه ابن يعيش في شرحه على المفصل<sup>(٢)</sup>، وابن عقيل صاحب شرح الألفية قال: "وإنّ لم تدل على معنى في نفسها - يعني الكلمة - بل في غيرها فهي الحرف"<sup>(٣)</sup>.

وأيضاً الحسن بن قاسم المرادي صاحب كتاب الجنى الداني في حروف المعاني قال: "وقد حدّد الحرف بحدود كثيرة، ومن أحسنها قول بعضهم: الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط" ثم فسر ذلك بقوله: "إنّ دلالة الحرف على معناه الإفرادي غير متوقفة على ذكر متعلق ألا ترى أنك إذا قلت "الغلام" فهم منه التعريف، ولو قلت "أل" مفردة لم يفهم منه معنى، فإذا قرن بالاسم أفاد التعريف"<sup>(٤)</sup>، كما تبعهما ابن جني في كتابه اللمع في العربية يقول: "والحرف ما لم تحسن فيه علامات الأسماء، ولا علامات الأفعال، وإنما جاء لمعنى في غيره"<sup>(٥)</sup>.

وممن تابعهم من النحاة المحدثين: عباس حسن؛ فقال في كتابه: "الحروف: من، في، على... إلخ لا تدل كل كلمة من الكلمات السابقة على معنى، أي معنى، مادامت منفردة بنفسها. لكن إذا وضعت في كلام ظهر لها معنى لم يكن من قبل". ثم قال في مكان آخر: "فالحرف كلمة لا تدل على معنى في نفسها، وإنما تدل على معنى في غيرها فقط — بعد وضعها في جملة دلالة خالية من الزمن"<sup>(٦)</sup>.

وممن قال بدلالة الحرف على معنى في نفسه النحاس فقد ورد في كتاب ما نصه: "كان محمد بن إبراهيم النحاس الحلبي النحوي يذهب إلى أنّ الحرف معناه في نفسه على خلاف قول النحاة

(١) المفصل - الجزء الأول ص ٣٧٩

(٢) شرح المفصل - يعيش بن عليّ بن يعيش موفق الدين - إدارة الطباعة المنيرية - ج ٨، ص ٢

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - ابن عقيل - الجزء الأول ص ١٥

(٤) الكتاب: الجنى الداني في حروف المعاني - المرادي - الجزء الأول ص ٢٠

(٥) اللمع في العربية - أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ) - المحقق: فائز فارس - دار الكتب - الثقافية - الكويت -

الجزء الأول ص ٨

(٦) النحو الوافي لعباس حسن - الجزء الأول ص ٦٨

قاطبة أن معناه في غيره" <sup>(١)</sup>، وقد تابعه في هذا الرأي أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ، قال ابن هشام في شرح اللوحة البدرية: "والثاني دعوى دلالة الحرف على معنى في غيره وهذا وإن كان مشهوراً عند النحويين إلا أن الشيخ بهاء الدين ابن النحاس نازعهم في (التعليقة) وزعم أنه دال على معنى في نفسه، وتابعه المؤلف (أبو حيان) في شرح التسهيل." <sup>(٢)</sup>

وأشار هادي نمر في هامشه على اللوحة البدرية إلى دليل ابن النحاس بالتالي: "وحجة ابن النحاس في دلالة الحرف على معنى في نفسه هي أنه إذا خوطب بالحرف من لا يفهم موضوعه لغة كان كذلك، وإن خوطب به من يفهمه فإنه يفهم منه معنى، عملاً بفهمه موضوعه لغة، كما إذا خوطب بـ "هل" من يفهم أن موضوعها الاستفهام، وكذلك سائر الحروف، قال: والفرق بينه وبين الاسم والفعل أن المعنى المفهوم منه مع غيره أتم من المعنى المفهوم منه في حال الإفراد بخلافهما، فالمفهوم منهما في التركيب غير المفهوم منهما في الإفراد." <sup>(٣)</sup>

ويرى النحاة أن لكل حرف معنى أصلياً؛ كالباء للإلصاق، و(على) للاستعلاء، و(من) للابتداء، و(إلى) للانتهاء، و(عن) للمجاوزة، والكاف للتشبيه.

وهي معانٍ لا تفارقها وقد تصحبها معانٍ آخر أو تنوب عنها وتقول إليها عن المعاني الأصلية، وتقع موقعها كالباء تقع موقع (في) كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بَيْدَرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. ويرى البصريون أن التناوب ليس قياسياً؛ لأن حروف الجر لا تنوب بعضها عن بعض بقياس، وأنه ليس لحرف الجر إلا معنى واحد حقيقي يؤديه على سبيل الحقيقة لا المجاز. فالحرف (في) يؤدي معنى واحداً حقيقياً هو "الظرفية"، والحرف (على) يؤدي معنى واحداً حقيقياً هو "الاستعلاء" وهكذا. فإن أدى الحرف معنى آخر غير معناه الحقيقي الخاص به وجب القول بأن تأديته هذا المعنى الجديد تأدية مجازية لا حقيقية. مثال ذلك قولنا: "غرد الطائر في الغصن"، فالحرف (في) كما هو معروف لا تؤدي

<sup>(١)</sup> بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة-عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)-المحقق: محمد أبو

الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية - لبنان / صيدا-الجزء الأول -ص ١٤

<sup>(٢)</sup> شرح اللوحة البدرية في علم اللغة العربية -لابن هشام الأنصاري -تحقيق هادي نمر -دار اليازوري ٢٠٠٧ ج ١، ص ٢١٤

<sup>(٣)</sup> المصدر السابق



حقيقياً إلا معنى الظرفية ولكن هذا المعنى عاجز عن تفسير ما أدته في هذه العبارة، لأنَّ الطائر المغرد ليس في داخل الغصن أو بين جوانبه كما يوحيه معنى الظرفية، وإنما الطائر على الغصن وفوقه. فالحرف (في) هنا قد أدت غير معناه الأصلي وهو معنى "الفوقية" أو "الاستعلائية" وهو المعنى الذي تختص به الحرف "على"؛ لذلك تُعد تأديتها هذا المعنى تأدية مجازية.

وعلى عكس ما ذهب إليه البصريون يزعم الكوفيون أنَّ التناوب قياسي<sup>(١)</sup> بحجة أنَّ الحرف بصفته كلمة كسائر الكلمات الاسمية والفعلية يؤدي عدة معانٍ حقيقية لغوية كانت أم عرفية، ومن ثمَّ فإنَّ قصر حرف الجر على معنى حقيقي واحد وإخراجه مما يدخل فيه غيره من المعنى تعسفٌ بغير داع.<sup>(٢)</sup>

فهم يرون أنَّ تأدية الحرف معنى غيره ليست مجازية لأنَّ التأدية إذا شاعت دلالاتها واشتهر استخدامها لدرجة يفهمها السامع بغير غموض فهي حقيقية، فالجواز لا مكان له إلا إذا لم يبتدر المعنى إلى ذهن السامع.<sup>(٣)</sup>

وهناك فريق توسط بين المذهبين لا ينكر التعاقب، ولكن يشترط فيه تقارب المعنى بين الحرفين، يقول ابن السراج: "واعلم أنَّ العرب تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني فمن ذلك: الباء؛ تقول: فلان بمكة وفي مكة، وإنما جازا معاً لأنك إذا قلت: فلان بموضع كذا وكذا. فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع، وإذا قلت: في موضع كذا فقد خبرت بـ (في) عن احتوائه إياه وإحاطته به، فإذا تقارب الحرفان فإنَّ هذا التقارب يصلح

---

(١) عقد ابن جني باباً في كتابه الخصائص سماه -باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض -

(٢) وهناك رأي للدكتور محمد حسن عواد -في كتابه تناوب حروف الجر يقول فيه بطلان القول بالتناوب والتضمين وأن ذلك من باب دلالات الألفاظ إذ هي تختلف دلالاتها حسب ما عديت به، إذ ذلك مبني على أصالة الألفاظ وفرعيتها وهذا يتعسر الحكم بهلقدمه. ففي قوله تعالى "أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم" فالقائلون بالتناوب قالوا: نابت إلى مناب الباء. والقائلون بالتضمين ضمنوا الرفث معنى الإفضاء. والمؤلف يرى أن الإفضاء معنى من معاني الرفث. (طبعة دار الفرقان)

(٣) النحو الوافي -الجزء الثاني ٥٣٧

لمعاقبة، وإذا تباين معناهما لم يجوز، ألا ترى أن رجلاً لو قال: مررتُ في زيد أو: كتبتُ إلى القلم، لم يكن هذا يلتبس به، فهذا حقيقة تعاقب.<sup>(١)</sup>

والتوجيهات الخاصة بمعاني الحروف كثيرة؛ لكثرة هذه الحروف من جانب، وتعدد معانيها من جانب آخر، ومن هذه التوجيهات:

## ٢-١-٣-١ الأمر الأول: الباء

الباء المفردة ولها معان عدة منه<sup>(٢)</sup>: الإلصاق حقيقة كأمسكتُ بزيد، أو مجازاً كمررتُ به أي ألصقتُ مروري بمكان يقرب منه. والتعدية، وهي التي تصير الفاعل مفعولاً ك: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي أذهب. والاستعانة، وهي الداخلة على آلة الفعل، كقطعت بالسكين. والمقابلة، وهي الداخلة على الأعواض، كاشتريت بدرهم. والتوكيد، وهي الزائدة. وتزاد أيضاً في عدة مواضع.

### ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى هذا الأمر:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.<sup>(٣)</sup>

وسبب توجيه هذه الآية هو نفي التجسيد عن الله سبحانه وتعالى، ولم أجد من المفسرين من حملها على التجسيد.

يقول الطبرسي: "فإن قيل: إنَّ المسَّ من صفات الأجسام، فكيف قال إنَّ يمسسك الله؟ قلنا الباء للتعدية والمراد إنَّ أمسسك الله ضرراً أي جعل الضر يمسك، فالفعل للضر، وإنَّ كان الظاهر

(١) الأصول في النحو- أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)- عبد الحسين

الفتلي لناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت الجزء الأول - ص ٤١٥

(٢) مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعراب محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) الناشر: مكتبة

الرشد الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ ص ٣٥

(٣) الأنعام، الآية: ١٧.

قد أسند إلى اسم الله تعالى، والضر اسم جامع لكل ما يتضرر به من المكاره، كما أن الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به.<sup>(١)</sup>

وجعل أبو حيان (٧٥٤هـ) الباء للتعدية<sup>(٢)</sup>، بينما اختار القرطبي (٦٧١هـ) حملها على المجاز.<sup>(٣)</sup>

والمس: الميم والسين أصل صحيح واحد يدل على جس الشيء باليد.<sup>(٤)</sup>

والأرجح - والله أعلم - حمل المس على المجاز، لأن الفعل مس متعدي، والتعدي<sup>(٥)</sup> بالباء في الفعل المتعدي قليلة<sup>(٦)</sup> وجاءت في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.<sup>(٨)</sup>

وحتى إن حملناها على التعدية فالمعنى لا يخرج عن أن الله سبحانه وتعالى النافع الضار.<sup>(٩)</sup>

## ٢-١-٣-٢ الأمر الثاني: من

ولها سبعة معاني<sup>(١)</sup>: أحدها: التبعض؛ نحو: ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ والثاني: بيان الجنس نحو: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ والثالث: ابتداء الغاية المكانية باتفاق؛ نحو: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الرابع ١٧

(٢) المحيط في التفسير - أبو حيان الأندلسي - الجزء الرابع ص ٤٤٥

(٣) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن - الجزء السادس ص ٣٩٨

(٤) مقاييس اللغة الجزء الخامس ٢٧١

١٣٤ التَّعْدِيَةُ الَّتِي هِيَ إِصْطَالٌ مَعْنَى الْفِعْلِ إِلَى الْإِسْمِ (مع الهوامع - الجزء الثالث ص ١٢)

(٦) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام

(٧) (٧٦١هـ) - المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الجزء الأول ص ١٨

(٨) البقرة، الآية: ٢٥١

(٩) البقرة، الآية ١٧

(٩) فالضار والنافع اسمان من أسماء الله، وهذا الاسم لا يطلق على الله بمفرده بلمقرونا بمقابله وهو النافع لان الكمال في اقتران كل اسم منها بما يقابله، فالاسماء (النافع الضار) هنا يجري مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل حروفه عن بعض فهي وان تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ولذا لا تطلع عليه الامقترنة (انظر معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى - محمد بن خليفة بن علي التميمي - أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى / ١٩٩٩م - ص ٣٢٢)

الْحَرَامِ ﴿١﴾، والزمانية، خلاف لأكثر البصريين، كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾، والرابع: التنصيص على العموم، أو تأكيد التنصيص عليه، وهي الزائدة ولها ثلاثة شروط: ١- أن يسبقها نفي، أو نهي، أو استفهام بـهل، ٢- وأن يكون مجرورها نكرة، ٣- وأن يكون إمّا فاعلاً؛ نحو: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾، أو مفعولاً؛ نحو: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾، أو مبتدأ؛ نحو: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾. والخامس: معنى البدل، نحو: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾. والسادس: الظرفية، نحو: ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾، ﴿إِذَا تُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾. والسابع: التعليل؛ كقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾. (٢)

وتجر الظاهر كما في المثال وتجر المضمر مثل: متى ومن واللام، وتجر الظاهر والمضمر نحو لزيد ولك وله ولي، والأصل فيها أن تكون للملك نحو الملك لله وتأني لغير ذلك. (٣)

### ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى هذا الأمر:

#### النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مَّمَّنْ يُكَذِّبُ بآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (٤)

وهذا التوجيه يرجع إلى اعتقاد الشيعة الاثني عشرية بالرجعة، والرجعة عند الشيعة هي العودة بعد الموت، وهي ثابتة في عقيدتهم، يقول ابن بابويه: "اعتقدنا - يعني الإمامية - في الرجعة أنها حق". (٥)، وقال المفيد: "اتفقت الإمامية على رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة" (٦)، وقد لجأ الشيعة الاثنا عشرية لتأصيل هذه العقيدة لبعث الأمل لدى الشيعة الاثني عشرية

(١) وقسم المرادي معانيها إلى زائد وغير زائد وجعل لغير الزائد منها أربعة عشر معنى. انظر الجنى الداني ص ٣٠٩

(٢) أنظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك - لابن هشام - الجزء الثالث ص ٢٢

(٣) التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة - أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري

المالكي ( ١٤٣٠ هـ ) الجز الأول ص ٥١

(٤) النمل، الآية ٨٣

(٥) الاعتقادات - للصدوق - ص ٦١

(٦) الرجعة أو العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت - مركز الرسالة - الطبعة: الأولى / لسنة ١٤١٨ هـ. ص ٤٩ نقله عن الاعتقادات لابن بابويه، وأوائل المقالات للمفيد.

بأنَّ هناك يومًا ما سينتقم فيه الشيعة الاثنا عشرية من أعدائهم، وفي بادئ الأمر كان المعتقد في الرجعة هو عودة الإمام، ولكن الاثني عشرية لم تقصره على الأئمة؛ بل جعلته عامة للإمام والناس.<sup>(١)</sup>

يقول الطبرسي: "وقيل: يُحبس أولهم على آخرهم" واستدلَّ بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأنَّ قال إنَّ دخول من في الكلام يوجب التبعض؛ فدلَّ ذلك على أنَّ اليوم المشار إليه في الآية يُحشر فيه قوم دون قوم، وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا﴾ [الكهف: ٤٧] وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وسلم في أنَّ الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قومًا ممن تقدَّم موته من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضًا قومًا من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على أيدي شيعته والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته. ولا يشكُّ عاقل إنَّ هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، وقد فعل الله ذلك في الأمم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة عزيز وغيره على ما فسَّرناه في موضعه.<sup>(٢)</sup>

ولم أجد أحدًا من مفسري أهل السنة يذكر هذا التأويل، ولو على سبيل الاستنكار، بينما ذكرته معظم تفاسير الشيعة الاثني عشرية، حتى من زعم أنه من علماء اللغة لديهم مثل الطبرسي والطببائي.<sup>(٣)</sup>

---

<sup>(١)</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (١٢٧٠هـ)- المحقق: عليّ عبد الباري عطية- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت والطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - الجزء العاشر ٢٣٧.

<sup>(٢)</sup> مجمع البيان للطبرسي- الجزء السابع ٢٩١

<sup>(٣)</sup> أنظر تفسير العياشي والقمي، والتبيان للطوسي (التبيان في تفسير القرآن - أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ٣٨٥ - ٤٦٠ هـ. تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي - دار إحياء التراث) والميزان للطببائي (الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة) في موضع الآية،

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ يَقُولُ الرَّازِي: "وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ فاعلم أنَّ هذا من الأمور الواقعة بعد قيام القيامة، فالفرق بين من الأولى والثانية، أنَّ الأولى للتبعيض، والثانية للتبيين كقوله: ﴿مِنَ الْأَوْتُنِ﴾ [الحج: ٣٠] <sup>(١)</sup>

فَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَنْ يَكْذِبْ﴾ تدل على ضرب من النعت كما ذكر الزجاجي <sup>(٢)</sup> فسبحانه يحشر من كل أمة فوجًا صفتهم أنه يكذبون بآياته فيوزعهم، أي يحسون وقيل يكفون. <sup>(٣)</sup>

وفي الرد على كلام الطبرسي أقول: إنه إذا قلنا ﴿مِنَ الْأَوْتُنِ﴾ الأولى للتبعيض، ولكن هل ﴿مِنَ﴾ الثانية للتبعيض أيضًا؟ وهل سيحشر الله عز وجل فريقًا ممن يكذب بولاية علي رضي الله عنه، أم سيحشرهم جميعًا؟

كما إن الآية التي تليها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ ذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> تبين أنَّ المحشورين هنا المكذبون فقط وليس شيعتهم وأئمتهم.

ومع أنَّ الطبرسي هيأ لذلك بتأويل الدابة في الآية السابقة لهذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ بأنها علي رضي الله عنه <sup>(٥)</sup>، إلا أنه أهمل لسياق الدلالي للآية نفسها والآية التي تليها.

### النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يُمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ <sup>(٦)</sup>

<sup>(١)</sup> مفاتيح الغيب للرازي-الجزء ٢٤ ص ٥٧٣

<sup>(٢)</sup> كتاب حروف المعاني - للزجاجي - تحقيق عليّ الحمد - دار ارسالة - مطبعة الأمل

<sup>(٣)</sup> انظر لسان العرب - الجزء الثامن ص ٣٩٠

<sup>(٤)</sup> النمل، الآية : ٨٤

<sup>(٥)</sup> انظر تفسير الطبرسي ص ٢٩٣

<sup>(٦)</sup> القصص، الآية : ٣٠

ويرجع هذا التوجيه إلى أنَّ وصفَ الله سبحانه وتعالى أنه متكلم من الصفات الثبوتية عند الشيعة الاثني عشرية، وهي أنَّ الله سبحانه وتعالى: قادر، مختار، عالم، حيٌّ، مريد، كاره، مدرك، قديم، أزليٌّ، باقٍ، أبديٌّ، متكلم، صادق، ومعنى متكلم (في عقيدتهم) أنه ينطق لا بلسان، بل يوجد الكلام في بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسى، وكجبريل حين أنزله بالقرآن.<sup>(١)</sup>

أمَّا أهل السنة فيعتقدون أنَّ الله متكلم، وأنَّ الكلام صفة له وما تكلم به قائم به، وفي شرح العقيدة الواسطية يقول: "وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أنَّ الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأنَّ الكلام صفة له قائمة بذاته، يتكلم بها بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء، وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقًا منفصلًا عنه؛ كما تقول المعتزلة، ولا لازمًا لذاته لزوم الحياة لها؛ كما تقول الأشاعرة، بل هو تابع لمشيئته وقدرته .

والله سبحانه نادى موسى بصوت، ونادى آدم وحواء بصوت، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولكن الحروف والأصوات التي تكلم الله بها صفة له غير مخلوقة، ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم ؛ كما إنَّ علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده؛ فإنَّ الله لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاته.<sup>(٢)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿من الشجرة﴾" إنما سمع موسى النداء والكلام من الشجرة؛ لأنَّ الله تعالى فعل الكلام فيها وجعل الشجرة محل الكلام لأنَّ الكلام عرض يحتاج إلى محل، وعلم موسى بالمعجز أنَّ ذلك كلامه تعالى وهذه أعلى منازل الأنبياء، أعني أنَّ يسمعون كلام الله من غير واسطة ومبلَّغ، وكان كلامه سبحانه ﴿أنَّ يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ أيَّ إنَّ المكلم لك هو الله مالك العالمين وخالق الخلائق أجمعين تعالى وتقدَّس عن أنْ يحلَّ في محل أو يكون في مكان لأنه ليس بعرض ولا جسم.<sup>(٣)</sup>

(١) عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد - صالح الورداني الناشر: عربية للطباعة والنشر - الطبعة: الأولى ١٩٩٥ - ص

(٢) شرح العقيدة الواسطية - محمد بن خليل بن هراس - ص ١٨٣

(٣) مجمع البيان للطبرسي - الجزء السابع - ص ٣١٤

ومعظم المفسرين على أنَّ ﴿من الشجرة﴾ من ناحية الشجرة، أو أنَّ المعنى من عند الشجرة.<sup>(١)</sup>

وأقول: كما إنه لا يُفهم من قوله تعالى: ﴿من شاطئ الوادي الأيمن﴾ أنَّ الشاطئ محل الكلام، وقوله تعالى من<sup>(٢)</sup> الشجرة بدل اشتمال<sup>(٣)</sup> لقوله: ﴿من شاطئ الوادي الأيمن﴾، فالمعنى واحد وهو أنَّ الكلام من جهة الشجرة كما هي من جهة الوادي، فإنَّ قال قائل: كلمته من البلدة أو من الهاتف، فإنَّ المتكلم يبقى هو.

## ٢-١-٣- الأمر الثالث: إلى.

و(إلى) لانتفاء الغاية الزمانية والمكانية، وهو أصل معانيها، يقول سيبويه: "وأما إلى فمنتهى لابتداء الغاية، تقول: من كذا إلى كذا. وكذلك حتى، وقد بين أمرها في بابها، ولها في الفعل نحوٌ ليس لإلى. ويقول الرجل: إنما أنا إليك، أي إنما أنت غاييتي."<sup>(٤)</sup>، ويذهب النحويون إلى أنَّ (إلى) تأتي بمعاني حروف أخرى كأنَّ تأتي بمعنى إلاء وحتى وعند واللام ومع ومن<sup>(٥)</sup>، وذهب الفراء إلى أنها تأتي زائدة خلافاً للجمهور<sup>(٦)</sup>.

## النموذج الأول:

(١) انظر تفسير الطبري والقرطبي وابن كثير - موضع الآية.

(٢) من تفيد الابتداء الغاية معاني الحروف للرماني - تحقق عبد الفتاح شلي - - دار الشروق للطباعة والنشر الطبعة الثانية

١٩٨١-٩٧ ص

(٣) البقرة، الآية ١٢٦

(٤) يقول الزمخشري: (من) الأولى والثانية لابتداء الغاية، أي: أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة. و(من الشجرة) (بدل من قوله: من شاطئ الوادي، بدل الاشتمال؛ لأنَّ الشجرة كانت نابتة على الشاطئ، كقوله تعالى: (لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ) - إعراب القرآن وبيانه - محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش - الجزء السابع ص ٣١٩ وذكر هذا الإعراب القرطبي والرازي في تفسيريهما.

(٥) الكتاب لسيبويه - الجزء الرابع ص ٢٣١

(٦) حروف الجر علاقتها ودلالاتها - أبو اوس اراهيم الشمسان - مطبعة المدني جدة ١٩٨٧ م ص ٢٥ وما بعدها

(٦) الجني الداني للمراي ص ٣٩٠



قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.<sup>(١)</sup>

ويرجع توجيه هذه الآية إلى المخالفة عند الشيعة الاثني عشرية لأهل السنة من عقيدتهم، وهو الرأي المختار لديهم، وينقل الحر العاملي في كتابه وسائل الشيعة في باب وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة وكيفية العمل بها: عن محمد بن عبد الله قال: قلت للرضا<sup>(٢)</sup> (عليه السلام): كيف نصنع بالخبرين المختلفين؟ فقال: إذا ورد عليكم خبران مختلفان، فانظروا إلى ما يخالف منهما العامة فخذوه، وانظروا إلى ما يوافق أخبارهم فدعوه.<sup>(٣)</sup>

وسبب مخالفتهم لنا أنهم يعتبرون أهل السنة على غير الإسلام، ينقل الحر عن أبي عبد الله أنه قال: (ما أنتم - والله - على شيء مما هم فيه، ولا هم على شيء مما أنتم فيه، فخالقوهم فما هم من الحنيفية على شيء)، بل يعدون أهل السنة أعدائهم ففي المصدر نفسه، عن أبي عبد الله قال: (والله ما جعل الله لأحد خيرة في اتباع غيرنا، وأن من وافقنا خالف عدونا، ومن وافق عدونا في قول، أو عمل فليس منا، ولا نحن منهم)<sup>(٤)</sup>، وهذه الأحاديث ليست في غيرنا، وهو واضح من اسم الباب فالباب في الأحاديث المختلفة وكيفية العمل بها.

يقول الطبرسي: "أجمعت على أن من بدأ من المرفقين في غسل اليدين صحّ وضوؤه، واختلفوا في صحة وضوء من بدأ من الأصابع إلى المرفق."<sup>(٥)</sup>

(١) المائدة، الآية: ٦

(٢) الإمام الثامن عند الشيعة

(٣) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة - للعاملي - الجزء ٢٧ ص ١١٩

(٤) المصدر السابق

(٥) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الرابع ص ٢٣٤

ويقول الزجاج: "ففرض علينا أن نغسل بعض اليد من أطراف الأصابع إلى المرفق."<sup>(١)</sup> وهو قول أكثر المفسرين.

ومن المعروف أن إلى تفيد انتهاء الغاية المكانية والزمانية وهو أصل معانيها<sup>(٢)</sup> وليس ابتداء الغاية، وهذا التأويل من أغرب التوجيهات عند الشيعة الاثني عشرية.

أما ﴿إلى﴾ الثانية في الآية فهي أيضاً مما حاول الشيعة الاثنا عشرية، ومنهم الطبرسي إلى توجيه معناها لتتلاءم مع أن المقصود بالآية مسح الرجلين دون غسلهما<sup>(٣)</sup>.

يقول الطبرسي: "فإن قالوا: إنَّ تحديد اليدين لما يقتضى الغسل، فكذلك تحديد الرجلين يقتضى الغسل، قلنا: إنا لم نوجب الغسل في اليدين للتحديد، بل للتصريح بغسلهما، وليس كذلك في الرجلين. وإن قالوا عطف المحدود على المحدود أولى وأشبه بترتيب الكلام، قلنا: هذا لا يصح؛ لأنَّ الأيدي محدودة، وهي معطوفة على الوجوه التي ليست في الآية محدودة، فإذا جاز عطف الأرجل وهي محدودة على الرؤوس التي ليست محدودة وهذا أشبه مما ذكرتموه؛ لأنَّ الآية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه، وعطف عضو محدود مغسول عليه، ثم استؤنف ذكر عضو ممسوح غير محدود؛ فيجب أن يكون الأرجل ممسوحة وهي محدودة معطوفة على الرؤوس دون غيره؛ ليتقابل الجملةتان عطف مغسول محدود على مغسول غير محدود، وعطف ممسوح محدود على ممسوح غير محدود."<sup>(٤)</sup>

وفي هذا نقول إنَّ في قوله تعالى ﴿إلى الكعبين﴾ إلى تفيد انتهاء الغاية<sup>(٥)</sup>، والمسح غايته ظاهر القدمين، لا الكعبين، يقول الرازي: "إنَّ فرض الرجلين محدود إلى الكعبين، والتحديد إنما جاء في الغسل لا في المسح."<sup>(٦)</sup>

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج - الجزء الثاني ص ١٥٢.

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني للحسن المرادي ص ١٨٥

(٣) ذكرت سابقا في المبحث الخاص بالمرفوعات والمنصوبات والجرورات ، توجيه الراضة لقوله تعالى (وأرجلكم ) في الأمر الخاص بالمنصوبات.

(٤) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الرابع ص ٢٣٤-٢٣٥

(٥) حروف المعاني للزجاجي تحقيق عليّ توفيق الحمد ص ٥٦ الطبعة الثانية ١٩٨٦ مؤسسة الرسالة دار الأمل

ولذلك، فقد اضطر الطبرسي وشيعته إلى تأويل الكعيبين بالعظمين الناتين في ظهر القدم<sup>(٢)</sup> يقول: "وأما الكعبان فقد اختلف في معناهما فعند الإمامية هما العظمان الناتان في ظهر القدم عند معقد الشراك ووافقهم في ذلك محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، وإن كان يوجب غسل الرجلين إلى هذا الموضع. وقال جمهور المفسرين والفقهاء: الكعبان هما عظما الساقين، قالوا: ولو كان كما قالوه لقال سبحانه وأرجلكم إلى الكعاب ولم يقل إلى الكعيبين لأن على ذلك القول يكون في كل رجل كعبان."<sup>(٣)</sup>

وفي لسان العرب لابن منظور أرجع هذا التعريف للشيعة يقول: "وذهب قومٌ إلى أنَّهما العظمان اللذان في ظَهْرِ الْقَدَمِ، وهو مَذْهَبُ الشَّيْعَةِ؛ ومنه قولُ يحيى بن الحرث: رَأَيْتُ الْقَتْلَى يَوْمَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، فَرَأَيْتُ الْكِعَابَ فِي وَسْطِ الْقَدَمِ."<sup>(٤)</sup>

أمّا في المقاييس؛ فالكعب: الكاف والعين والباء أصل صحيح يدلُّ على نتوَّ وارتفاع في الشيء. من ذلك الكَعْبُ: كعب الرجل، وهو عَظْمُ طَرَفِي السَّاقِ عند ملتقى القدم والسَّاق<sup>(٥)</sup>، وكذلك في الصحاح والقاموس المحيط<sup>(٦)</sup>.

أمّا قوله: "عطف مغسول محدود على مغسول غير محدود، وعطف ممسوح محدود على ممسوح غير محدود."، فهذا مما لا يستدل به على شيء، كيف وقد دل النصب في القراءة المشهورة ﴿وَأَرْجَلَكُمْ﴾، وإلى بما فيها من تحديد، ومعنى الكعيبين الذي يدل على الغسل خلافاً للمسح الذي هو لظاهر القدم فقط.

(١) مفاتيح الغيب للرازي

(٢) كان من حق هذه الجزئية أن توضع في المعنى المعجمي إلا أنني وضعتها هنا لعلاقتها بالتحديد الناتج عن حرف الـ (إلى)

(٣) مجمع البيان الجزء الرابع ص ٢٢٥

(٤) لسان العرب، الجزء الأول، ص ٧١٧.

(٥) مقاييس اللغة، الجزء الخامس، ١٨٦

(٦) انظر الصحاح - الجوهري (ت ٣٩٣هـ) - الجزء الأول ٢١٤ - والقاموس المحيط - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب

الفيروز آبادي (٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - نشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،

بيروت - لبنان - الطبعة: الثامنة - ٢٠٠٥ م - الجزء الأول ص ١٣١

وآخر ما استدلل به الطبرسي في هذه الآية هو أن قوله تعالى ﴿الكعبين﴾<sup>(١)</sup> يدل على أن في كل رجل كعب واحد وإلا لقال سبحانه (الكعاب)، فهو على العكس تمامًا، ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿إلى المرافق﴾ وفي كل يد مرفق واحد؟ بل إن قوله سبحانه وتعالى إلى الكعبين بالثنية زيادة في تحديد مكان انتهاء الغسل فهو يشمل الكعبين.

يقول الرازي: "ومما احتج به في هذا المعنى أنه لو كان الكعب ما ذكره الإمامية لكان الحاصل في كل رجل كعبًا واحدًا، فكان ينبغي أن يقال: وأرجلكم إلى الكعاب، كما أنه لما كان الحاصل في كل يد مرفقًا واحدًا لا جرم قال ﴿وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾"<sup>(٢)</sup>

## ٢-١-٣-٤ الأمر الرابع: على

حرف جر، ومعناه الأصلي الاستعلاء، وتأتي بمعنى مع، وعن، ولام التعليل، وفي، ومن، والباء، ولكن، وتأتي زائدة وزادتها قليلًا، وتأتي (على) اسمًا بمعنى فوق إذا سبقها من نحو (نزلت من على المنبر)<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَعَلَىٰ آلِهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

ويرجع توجيه هذه الآية إلى أن الشيعة توافق المعتزلة في أن الهداية واجبة من الله يقول هاشم معروف حسني: "اللفظ هو ما يكون المكلف معه أقرب إلى فعل الطاعات، وأبعد عن فعل المعاصي على نحو لا يبلغ حد الإلجاء من الله سبحانه، وهو بهذا المعنى لا بد منه عند الاثني عشرية، لأنه لا يفعل بعباده إلا الأصلح والأنفع لهم، ولا يدخر عنهم شيئًا ينفعهم في دنياهم وآخرتهم، وقد أنكره الأشاعرة، وقالوا: إن كل ما يفعله بعباده أو يأمرهم به يكون حسنًا منه، أمّا المعتزلة فقد أوجبه أكثرهم لأنه من مقتضيات العدل الواجب في حقه تعالى، فترك اللطف المقرب من طاعته، والأصلح لهم يتنافى مع كونه عادلاً، ويلتقي معهم الاثنا عشرية في أصل

<sup>(١)</sup> وكان من حق هذه الجزئية أن تدرج في المستوى الصرفي باعتبار أن التثنية من الوحدات الصرفية، إلا أنني أدرجتها هنا لتكتمل الصورة فتوجيه الطبرسي لآلى أوقعه بمشكلتين أولها تحديد معنى الكعبين، وثانيهما التثنية في الكعبين.

<sup>(٢)</sup> مفاتيح الغيب للرازي

<sup>(٣)</sup> المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها - محمد الأنطاكي - دار الشروق - بيروت - الطبعة الثالثة ص ١٦١

<sup>(٤)</sup> النحل، الآية : ٩

وجوبه، ولكنه عند المعتزلة من موجبات عدله، ولو فعل بعباده خلافه كان ظالماً لهم. أما عند الاثني عشرية فلأنه متصف بالجود والكرم، ومن لوازم هذين الوصفين أن لا يمنع عن عباده صلاحاً ولا نفعاً." (١)

يقول الطبرسي: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ أي بيان قصد السبيل عن ابن عباس، ومعناه واجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم وهو بيان الهدى من الضلالة والحلال من الحرام ليتبع الهدى والحلال ويحجب الضلالة والحرام وهذا مثل قوله إن علينا للهدى (٢) (٣)

ويقول الزمخشري: "ومعنى قوله ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه، كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: ١٢]. فإن قلت: لم غيّر أسلوب الكلام في قوله ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾؟ قلت: ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز، ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقليل: وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر." (٤)

ويقول الرازي بعد عرضه لقول المعتزلة وحججهم: ﴿أن المراد على الله بحسب الفضل والكرم أن يبين الدين الحق والمذهب الصحيح؛ فإما أن يبين كيفية الإغواء والإضلال فذلك غير واجب، فهذا هو المراد، والله أعلم." (٥)

والظاهر في الآية أن حرف الجر (على) يفيد الإلزام يقول ابن جني: "وقد يستعمل على في الأفعال الشاقة المستثقلة، تقول: قد سِرْنَا عَشْرًا وَبَقِيَتْ عَلَيْنَا لَيْلَتَانِ، وقد حَفِظْتُ الْقُرْآنَ وَبَقِيَتْ عَلَيَّ مِنْهُ سَوْرَتَانِ، وقد صُمْنَا عِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ وَبَقِيَتْ عَلَيْنَا عَشْرٌ." (١)

(١) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة - لهاشم معروف حسني - مطبعة المدينة - الطبعة الأولى - ص ١٩٠.

(٢) يقول الطبرسي في تفسيره للآية ١٢ من سور الليل (إن علينا للهدى): (إن علينا للهدى) معناه أن علينا لبيان الهدى بالدلالة عليه فأما الاهتداء فإليكم أخير سبحانه أن الهدى واجب عليه ولو جاز الإضلال عليه لما وجب الهداية قال قتادة: معناه أن علينا بيان الطاعة والمعصية (وإن لنا للآخرة والأولى) وإن لنا ملك الآخرة وملك الأولى فلا يزيد في ملكنا اهتداء من اهتدى ولا ينقص منه عصيان من عصى ولو نشاء لمنعناهم عن ذلك قسراً وجبراً ولكن التكليف اقتضى أن نمنعهم بيئاً وأمرأ وزجراً).

(٣) مجمع البيان للطبرسي - الجزء السادس ص ١٠٩

(٤) الكشاف للزمخشري - الجزء الثاني ص ٥٩٦

(٥) مفاتيح الغيب للرازي - الجزء ١٩ - ص ١٧٨

وفي لسان العرب: "وإنما اطرَدَتْ على في الأفعال من حيث كانت على في الأصل للاستِعلاءِ والتَّنْفِيعِ، فلما كانت هذه الأحوال كُلفاً، ومَشَاقَّ تَخْفِضِ الإنسانَ وتَضَعُهُ وتَعْلُوهُ وتَتَفَرَّغُهُ حتى يَخْنَعُ لها وَيَخْضَعُ لما يَتَسَدَّاهُ منها، كان ذلك من مواضع على، ألا تراهم يقولون هذا لك وهذا عَلَيْكَ، فُتَسْتَعْمَلُ اللامَ فيما تُؤَثِّرُهُ وعلى فيما تَكْرَهُهُ؟ وقالت الخنساء: سَأَحْمِلُ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ، فإِذَا عَلَيْهَا وَإِذَا لَهَا وَعَلَيْكَ." (٢)

وهو إلزام من الله لنفسه ، أوجبها الله على نفسه.

## ٢-١-٣-٥ الأماخامس: لن

ولن تَنْفِي المُسْتَقْبَل، كَقَوْلِكَ: لن يخرج زيد غداً (٣)،

ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى هذا الأمر.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤)

وسبب توجيه هذه الآية هو رغبة الطبرسي في نفي الرؤيا، وقد ناقشت هذه الآية في عدة أماكن (٥).

يقول الطبرسي: "قال ﴿لن تراني﴾ هذا جواب من الله تعالى ومعناه: لا تراني أبداً؛ لأنَّ لن ينفي على وجه التأييد كما قال ﴿ولن يتمنوه أبداً﴾ [البقرة: ٢٦٠] وقال: ﴿لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾ [الحج: ٧٣]. (١)

(١) الخصائص لابن جني - الجزء الثاني - ص ٢٧٢.

(٢) الجزء ١٥ ص ٨٨

(٣) حروف المعاني والصفات - عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي (٣٣٧هـ) - المحقق: عليّ توفيق الحمد

- مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م

(٤) الأعراف، الآية: ١٤٣

(٥) انظر ص ٦٠ وص ٧٠ وص ١٢٧ ص ٢١٣

وذكر المرادي أنَّ (لن) حرف نفي ينصب الفعل المضارع ويخلصه للاستقبال، ولا يلزم أن يكون نفيًا مؤبدًا، وذكر أنَّ هذا القول للزمخشري كما نقل عن ابن عصفوردعوى لا دليل عليه، بل إنَّ النفي بلا يكون أكد من النفي بلن؛ لأنه يأتي بجواب القسم.<sup>(٢)</sup>

وهو أيضًا قول ابن هشام في مغنيه يقول: "ولا تفيد لن توكيد النفي خلافًا للزمخشري في كشافه، ولا تأييده خلافًا له في أمودجه، وكلاهما دعوى بلا دليل."<sup>(٣)</sup>

وهذا يدحض ما قاله الطبرسي من أنَّ (لن) تفيد نفي الإستقبال على وجه التأييد، وكلام الزمخشري<sup>(٤)</sup> أيضًا.

بل العكس؛ فقوله تعالى ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ يدل على إمكانية الرؤيا، وهو ما ذكره الرازي في تأويله، فقد اتخذ من قوله تعالى ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ دليلًا على الرؤيا، يقول: "من الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على أنه تعالى جازر الرؤية؛ وذلك لأنه تعالى لو كان مستحيل الرؤية لقال: لا أرى! ألا ترى أنه لو كان في يد رجل حجر فقال له إنسان: ناولني هذا لأكله، فإنه يقول له هذا لا يؤكل، ولا يقول له لا تأكل. ولو كان في يده بدل الحجر تفاحة، لقال له: لا تأكلها أي هذا مما يؤكل، ولكنك لا تأكله. فلما قال تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ولم يقل: لا أرى، علمنا أنَّ هذا يدل على أنه تعالى في ذاته جازر الرؤية."<sup>(٥)</sup>

وما ذكره الرازي وجه معتبر ويوفق اللغة، ووما يؤيده أيضا الاستدراك في قوله: ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ والتجلي للجبل.

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الرابع ص ٢٦٠

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني - للحسن المرادي ص ٢٧٠

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري - تحقيق محمد عبد الحميد - المطبعة العصرية ١٤٣٣ - الجزء الأول ص ٣٧٤

(٤) يقول الزمخشري في الكشاف: ( فإن قلت: ما معنى (لن)؟ قلت: تأكيدًا للنفي الذي تعطيه «لا» وذلك أن «لا» تنفي المستقبل. تقول: لا أفعل غدًا، فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غدًا. والمعنى: أن فعله ينافي حالي، كقوله: (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ أَحْتَمَعُوا لَهُ) [الحج: ٧٣] فقوله: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) [الأنعام: ١٠٣] نفي للرؤية فيما يستقبل. و(لَنْ تَرَانِي) تأكيد وبيان، لأنَّ المنفي مناف لصفاته) الجزء الثاني ص ١٥٤

(٥) مفاتيح الغيب للرازي - الجزء ١٤ ص ٣٥٥

لا الناهية: وهي مع الفعل المضارع صيغة موضوعة في اللغة تدل بمجردها على النهي كقول القائل لغيره: لا تفعل على وجه الاستعلاء<sup>(١)</sup>، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾<sup>(٢)</sup>.

### ومن النماذج التي وجهها الطبرسي في هذا الأمر:

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

ويعود توجيه هذه الآية إلى عقيدة الشيعة في العصمة؛ حيث إنَّ عصمة الأنبياء في عقيدتهم مطلقة عن صغار الذنوب وعظيمها، يقول المرتضى في كتابه تترية الأنبياء: "اختلف الناس في الأنبياء عليهم السلام؛ فقالت الشيعة الإمامية: لا يجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب كبيراً كان أو صغيراً، لا قبل النبوة ولا بعدها. ويقولون في الأئمة مثل ذلك."<sup>(٤)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ أي لا تأكلا منها وهو المروي عن الباقر (ع) فممنعه لا تقرباها بالأكل، ويدل عليه أنَّ المخالفة وقعت بالأكل بلا خلاف لا بالدنو منها، ولذلك قال: ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوءاً﴾. واختلف في هذا النهي. فقليل إنه فُهي التحريم وقيل إنه فُهي التترية دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطرق وهو قريب من مذهبنا فإنَّ عندنا أنَّ آدم كان مندوباً إلى ترك تناول من الشجرة وكان بالتناول منها تاركاً نفلاً وفضلاً ولم يكن فاعلاً لقبيح؛ فإنَّ الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم القبائح لا صغيرها ولا كبيرها.

(١) أنظر تمهيد شرح مختصر الأصول من علم الأصول - أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي - المكتبة الشاملة- مصر - الطبعة: الأولى ٢٠١١ م - ص ٣٧  
(٢) الأنعام، الآية ١٥٠  
(٣) البقرة، الآية ٣٥  
(٤) تترية الأنبياء - للمرتضى - دار الأضواء ١٩٨٩ - ص ١٥



وقالت المعتزلة: كان ذلك صغيرة من آدم (ع) على اختلاف بينهم في أنه وقع منه على سبيل العمد أو السهو أو التأويل وإنما قلنا إنه لا يجوز الواقعة الكبائر على الأنبياء عليهم السلام من حيث إنَّ القبيح يستحق فاعله به الذم والعقاب؛ لأنَّ المعاصي عندنا كلها كبائر، وإنما تسمى صغيرة بإضافتها إلى ما هو أكبر عقاباً منها لأنَّ الإحباط قد دل الدليل عندنا على بطلانه، وإذا بطل ذلك فلا معصية إلا ويستحق فاعلها الذم والعقاب وإذا إنَّ الذم والعقاب منفيان عن الأنبياء عليهم السلام وجب أن ينتفي عنهم سائر الذنوب ولأنَّه لو جاز عليهم شيء من ذلك لنفّر عن قبول قولهم والمراد بالتنفير أن النفس إلى قبول قول من لا تجوز عليه شيئاً من المعاصي، اسكّن منها إلى قول من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم كل ما يكون منفراً عنه من الخلق المشوهة والهيئات المستنكرة، وإذا صح ما ذكرناه علمنا أن مخالفة آدم (ع) لظاهر النهي كان على الوجه الذي بيّناه.<sup>(١)</sup>

وأيد الرازي هذا التأويل من أنه نهي تنزيه لا نهي تحريم؛ متعللاً بأنَّ الأصل في المنافع الإباحة يقول: "إنَّ هذا ورد تارة في التنزيه وأخرى في التحريم، والأصل عدم الاشتراك فلا بدّ من جعل اللفظ حقيقة في القدر المشترك بين القسمين، وما ذلك إلا أن يجعل حقيقة في ترجيح جانب الترك على جانب الفعل من غير أن يكون فيه دلالة على المنع من الفعل أو على الإطلاق فيه، لكن الإطلاق فيه كان ثابتاً بحكم الأصل، فإنَّ الأصل في المنافع الإباحة، فإذا ضمنا مدلول اللفظ إلى هذا الأصل صار المجموع دليلاً على التنزيه، قالوا: وهذا هو الأولى بهذا المقام لأنَّ على هذا التقدير يرجع حاصل معصية آدم عليه السلام إلى ترك الأولى، ومعلوم أن كل مذهب كان أفضى إلى عصمة الأنبياء عليهم السلام كان أولى بالقبول.<sup>(٢)</sup>

وأغلب الظن أن النهي هنا نهي تحريم بدليل قوله تعالى: ﴿فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا﴾ فتعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات تناول مبالغة في تحريمه، ووجوب الاجتناب عنه، وفي تفسير القرطبي: "وقال ابن عطية قال بعض الحذاق: إنَّ الله تعالى

(١) مجمع البيان - الجزء الأول ص ١١٥

(٢) مفاتيح الغيب الرازي - الجزء الثالث - ص ٤٥٣

لما أراد النهي عن أكل الشجرة نهي عنه بلفظ يقتضي الأكل وما يدعو إليه العرب وهو القرب.  
قال ابن عطية: وهذا مثالٌ بين في سدّ الذرائع.<sup>(١)</sup>

وهذا لا ينافي عصمة الأنبياء؛ فقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أنّ الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر، وإذا وقعت منهم فإنهم لا يُقرون عليها، بل ينبههم الله تبارك وتعالى عليها فيبادرون بالتوبة منها، وقال ابن تيمية: "إنّ القول بأنّ الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف... وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول."<sup>(٢)</sup>

## ٢-١-٣-٧ الأمر السابع: لعل

ولعل: للتوقع، وعبر عنه قوم بالترجي في المحبوب؛ نحو: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾، والإشفاق في المكروه؛ نحو: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾. قال الأخفش: وللتعليل، نحو: أفرغ عملك لعلنا نتغذى، ومنه: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾. قال الكوفيون: وللاستفهام، نحو: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾<sup>(٣)</sup>.

## ومن التوجيهات التي جهها الطبرسي استناداً إلى هذا الأمر.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

ويرجع توجيه هذه الآية إلى اعتقاد الشيعة، كغيرهم من الفرق أنّ الرجاء لا يجوز على الله سبحانه وتعالى.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الجزء الأول ص ٣٠٤

(٢) مجموع الفتاوى - لابن تيمية - الجزء الرابع ص ٣١٩

(٣) ضياء السالك إلى أوضح المسالك ص ٢٩٨

(٤) البقرة، الآية: ٢١

يقول الطبرسي: "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي خلقكم لتتقوه وتعبدوه، كقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] وقيل: معناه اعبدوه لتتقوا، وقيل معناه لعلكم تتقون الحرمات بينكم وتكفون عما حرم الله، وهذا كما يقول القائل: اقبل قولي لعلك ترشد، فليس أنه من ذلك على شك وإنما يريد اقبله ترشد، وإنما أدخل الكلام لعل تريقاً للموعظة وتقريباً لها من قلب الموعوظ... وقال سيويه: إنما وردت لفظه لعل على أنه ترجح للمخاطبين كما قال: ﴿فقلوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى﴾ [طه: ٤٤] وأراد بذلك الإيهام على موسى وهارون فكأنه قال اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما والله عز وجل من وراء ذلك وعالم بما يؤول إليه أمر فرعون، وقيل فائدة إيراد لفظه لعل هي أن لا يحل العبد أبداً محل الآمن المدل بعمله، بل يزداد حالاً بعد حال حرصاً على العمل وحذراً من تركه. وأكثر ما جاءت لفظه لعل وغيرها من معاني الشك فيما يتعلق بالآخرة في دار الدنيا؛ فإذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين. وقيل معناه لعلكم توقون النار في ظنكم ورجائكم، وأجرى لعل على عباده دون نفسه وهذا قريب مما قاله سيويه.<sup>(١)</sup>

وفي لسان العرب: "وَلَعَلَّ وَلَعْلَ طَمَعٌ وَإِشْفَاقٌ، ومعناهما التَّوَقُّعُ لمرجوٍّ أو مَخُوفٌ.... وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ قال سيويه: والعلم قد أتى من وراء ما يكون ولكن اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما ومبلغكما من العلم وليس لهما أكثر من ذا ما لم يُعلم، وقال ثعلب: معناه كي يتذكر. أخبر محمد بن سلام عن يونس أنه سأله عن قوله تعالى: فلعلك باحع نفسك ولعلك تاركٌ بعض ما يوحى إليك، قال: معناه كأنك فاعلٌ ذلك إن لم يؤمنوا، قال: ولعل لها مواضع في كلام العرب، ومن ذلك قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ و﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ و﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾، قال: معناه كي تتذكروا، وكي تتقوا، كقولك: ابعث إلي بدابتك لعلِّي أركبها، بمعنى كي أركبها، وتقول: انطلق بنا لعلنا نتحدث أي كي نتحدث؛ قال ابن الأنباري: لعل تكون ترجياً، وتكون بمعنى كي على رأي الكوفيين.<sup>(٢)</sup>

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الأول - ص ٧٩

(٢) لسان العرب لابن منظور - الجزء ١١ ص ٤٦٨

وفي المقاييس: فأما لعل إذا جاءت في كتاب الله تعالى، فقال قوم: إنها تقوية للرجاء والطمع، وقال آخرون: معناها كي. وحملها ناسٌ فيما كان من إخبار الله تعالى على التحقيق، واقتضب معناها من الباب الأول الذي ذكرناه في التكرير والإعادة. والله أعلم بما أراد من ذلك.<sup>(١)</sup>

ويقول الزجاج: "وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ معناه تتقون الحرّمات بينكم وتكفون عما تأتون محرمه الله، فأما لعل وفيها قولان ههنا، عن بعض أهل اللغة؛ أحدهما: معناها كي تتقوا، والذي يذهب إليه سيبويه في مثل هذا أنه ترّج لهم كما قال في قصة فرعون ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ كأنه قال اذهب أنتما على رجائكما وطمعكما، والله عزّ وجلّ من وراء ذلك وعالم بما يؤول إليه أمر فرعون.<sup>(٢)</sup>

واختار القرطبي قول سيبويه في تأويل لعل<sup>(٣)</sup>، واختار الزمخشري وقوع لعل على المجاز<sup>(٤)</sup>، وذكر الشوكاني أنها بمعنى كي<sup>(٥)</sup>.

وفي دراسة دلالية ليوسف الفجال يقول: "إن وقوع لعل في القرآن هو على ما جرى به عادة الجبارة والعظماء من الإجابة بلعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع."<sup>(٦)</sup> وربما نقل رأيه عن الزمخشري يقول: "فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا: عسى، ولعل، ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إحالة. أو يظفر منهم بالرمزة أو الابتسامة أو النظرة الحلوة، فإذا عثر على شيء من ذلك منهم، لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب. فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء. أو يجيء على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا

(١) مقاييس اللغة لابن فارس الجزء الرابع ص ١٥

(٢) معاني القرآن وإعرابه - إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج - عالم الكتب بيروت - الطبعة: الأولى - ١٩٨٨ م - الجزء الأول ص ٩٨

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الجزء الأول ص ٢٢٥

(٤) الكشاف للزمخشري - الجزء الأول - ص ٨٩

(٥) فتح القدير - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني (١٢٥٠هـ) - دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -

دمشق - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ - الجزء الأول - ص ٦٠

(٦) لعل في القرآن الكريم - دراسة دلالية تركيب ليوسف الفجال - مركز بحوث كلية الآداب بجامعة الملك سعود ٢٠٠٦

يتكل العباد، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً تَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.<sup>(١)</sup>

والأولى - والله أعلم - حملها على ما هو مشهور في بابها من أنها للترجي، وفيها معنى التمني<sup>(٢)</sup> وهو رجاء العبد وأمله، كما اختار سيبويه.

## ٢-١-٣-٨ الأمر الثامن: لام التعليل ولام العاقبة

لام السببية (لام التعليل): وهي اللام التيكون ما قبلها علة وسبباً فيما بعدها، بإرادة وقصد سواء كانت الإرادة من فعل الفاعل أو بالقوة التي خلقها الله في الأشياء؛ كما في قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله أنداداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ففعلهم هذا قصدوا من ورائه سوء، فرتبوا هذا على ذاك.

وأما (لام الصيرورة) - وهذه تسمية الكوفيين، والبصريون يسمونها: لام العاقبة، وبعض النحاة يطلق عليها لام المآل - فهي الدالة على أن ما بعدها جاء على غير قصد الفاعل من الفعل الذي قبلها؛ كما في قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ فهم لم يلتقطوه لذلك، بل قال قائلهم: عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، ولكن الطفل كانت له النبوة وقدّر الله أن يكون هلاك فرعون على يد هذا النبي؛ فكان لهم عدواً لكفرهم وعنادهم وحزننا لما صاروا إليه؛ أي: كان شأن الطفل على غير مناهم منه.<sup>(٣)</sup>

ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى هذا الأمر:

### النموذج الأول:

<sup>(١)</sup> الكشف للزمخشري - الجزء الأول - ٨٩

<sup>(٢)</sup> الجني الداني في حروف المعاني ل- المرادي - ص ٥٧٩

<sup>(٣)</sup> اللامات - للهروي - بتحقيق يحيى البلداوي مكتبة الفلاح بالكويت الطبعة الأولى ١٩٨٠ م ص ١٢٥-١٣٥

قال تعالى: ﴿وَلْتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرِضُوهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وهذا التوجيه يتعلق بالعدل الإلهي عند الشيعة الاثني عشرية والذي يتنافى في معتقدتهم مع أن يكون ميلهم وإصغاءهم بإرادة الله سبحانه وتعالى.

يقول الطبرسي: ﴿ولتصغى إليه﴾ أي لتميل إلى هذا الوحي بزخرف القول أو إلى هذا القول المزخرف ﴿أفئدة﴾ أي قلوب ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ والعامل في قوله ﴿ولتصغى﴾ قوله يوحى ولا يجوز أن يكون العامل فيه جعلنا؛ لأن الله سبحانه لا يجوز أن يريد إصغاء القلوب إلى الكفر ووحى الشياطين إلا أن تجعلها لام العاقبة كما في قوله ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ [القصص: ٨] على أنه غير معلوم أن كل من أرادوا منه الصغو قد صغى إلى كلامهم ولم يصح ذلك أيضاً في قوله ﴿وليرضوه وليقتربوا ما هم مقتربون﴾ لأنه غير معلوم حصول ذلك، وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفاً بعبءه على بعض. والمراد بالأفئدة أصحاب الأفئدة ولكن لما كان الاعتقاد في القلب وكذلك الشهوة أسند الصغو إلى القلب.<sup>(٢)</sup>

وما اختاره الطبرسي من أن العامل في قوله ولتصغى قوله يوحى هو التأويل الذي أوله الطبري يقول: "يوحي بعض هؤلاء الشياطين إلى بعض المزيين من القول بالباطل، ليغروا به المؤمنين من أتباع الأنبياء"<sup>(٣)</sup>، واختيار القرطبي والشوكاني واستحسنه الرازي<sup>(٤)</sup> إلا أنه اعتبر عطف يصغى على يوحى عطف الشيء نفسه يقول: ﴿يُوحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ يقتضي أن يكون الغرض من ذلك الإيحاء هو التغيرير. وإذا عطفنا عليه قوله: ﴿وَلْتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فهذا أيضاً عين التغيرير لا معنى التغيرير، إلا أنه يستميلة

(١) الأنعام، الآية: ١١٣

(٢) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الرابع ص ١٠٧-١٠٨

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - الجزء التاسع ص ٥٠٣

(٤) انظر تفسير القرطبي والشوكاني والرازي موضع الآية

إلى ما يكون باطنه قبيحًا. وظاهره حسنًا، وقوله: ﴿وَلَتَصْنَعِيَ إِلَيْهِ أَفْتَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ عين هذه الاستمالة؛ فلو عطفنا للزم أن يكون المعطوف عين المعطوف عليه وأنه لا يجوز.<sup>(١)</sup>

واختار الرازي تعلق ليصغي بجعلنا يقول: "وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من شياطين الجن والإنس، ومن صفته أنه يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، وإنما فعلنا ذلك لتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون أي: وإنما أوجدنا العداوة في قلب الشياطين الذين من صفتهم ما ذكرناه ليكون كلامهم المزخرف مقبولًا عند هؤلاء الكفار."<sup>(٢)</sup>

أمّا الزمخشري، فأول اللام بأنها لام العاقبة<sup>(٣)</sup> يقول: ﴿وَلَتَصْنَعِيَ﴾ جوابه محذوف تقديره: وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا، على أن اللام لام الصيرورة.<sup>(٤)</sup>

وفرق الزركشي بين لام التعليل ولام العاقبة<sup>(٥)</sup> يقول: "إن الأولى تدخل على ما هو غرض لفاعل الفعل، ويكون مرتبًا على الفعل، وليس في لام الصيرورة إلا الترتيب فقط."<sup>(٦)</sup>

فلام التعليل تدخل على أمر مراده أن يكون علة لحكم، ولام العاقبة تدخل على أمر غير مراد ولكن النتيجة آلت اليه، وقد أنكر البصريون ومن تابعهم لام العاقبة<sup>(٧)</sup>، وأميل إلى هذا الرأي، وأن ما يسمى (لام العاقبة) هي في حقيقتها لام التعليل لمعنى يستفاد من الجملة. مثلاً: في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ يمكن تفسير اللام بأنها تعليل لحصول

(١) مفاتيح الغيب للرازي الجزء ١٣ ص ١٢٢

(٢) المصدر السابق

(٣) مع أنه أول قوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا أنه مجاز يقول: والتحقيق أنها لام العلة، وأن التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة، وبيانه أنه لم يكن داعيهم الى الالتقاط أن يكون لهم عدوًّا وحزنًا، بل المحبة والتبني، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شُبّه بالداعي الذي يُفعلُ الفعل لأجله؛ فاللام مستعارة لما يشبه التعليل كما استعير الأسد لمن يشبه الأسد.

(٤) الكشاف للزمخشري الجزء الثاني ص ٥٩

(٥) سميت لام العاقبة عند البصريين. وسمّاها الكوفين لام الصيرورة ( كتاب اللامات للزجاجي ص ١٢٥-١٢٧ تحقيق مازن مبارك المطبعة الهاشمية-١٩٦٩ دمشق

(٦) لام العاقبة والصيرورة في القرآن الكريم- دراسة لغوية وتحليلية عز الدين سليمان- مجلة التربية والتعليم المجلد ١٥ العدد ٢

عام ٢٠٠٨

(٧) مغني اللبيب الجزء الأول ص ٢٨٢

هذا الالتقاط، لا لمقصود آل فرعون. أي: إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ حَاصِلَ هَذَا الْاَلْتِقَاطِ لِيَكُونْلَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا.

والأرجح أن حمل اللام على التعليل وتعليقها<sup>(١)</sup> بـ﴿يُوحِي﴾ لا يخالف اللغة وهو ما اختاره الجمهور يقول العكبري: "ولتصغى: الجمهور على كسر اللام، وهو معطوف على "غرورًا" ؛ أي: ليغرُوا ولتصغى<sup>(٢)</sup>". ويقول الباقلوني: إنه محمول على ما قبله من المصدر، والمصدر مفعول له، وهو: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ ﴿٤﴾ «أي للغرور.»<sup>(٣)</sup>

### النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.<sup>(٤)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿ليمكروا فيها﴾ لام العاقبة وتسمى لام الصيرورة كما في قوله سبحانه: ﴿ليكون لهم عدوًا وحزنًا﴾"<sup>(٥)</sup>

أما الزمخشري<sup>(٦)</sup> فيؤولها بقوله: "ومعناه: خيلناهم ليمكروا وما كفناهم عن المكر."<sup>(٧)</sup>

(١) ويعد أن تكون لام الأمر بدليل الواو قبلها (ولتصغي) التي تقضي تعلقها بما قبلها فحملها على الابتداء ضعيف، كما أن الألف ثابتة في الفعل يقول البيهقي: (ولا يكون أن تحمله على الأمر، على قوله: / (وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَعَتْ) لثبات الألف في الفعل، وليست بفاصلة، فتكون مثل (السَّبِيلَا)) إعراب القرآن - للباقلي - دار الكتاب المصري - القاهرة - ودار الكتب اللبنانية - بيروت - القاهرة / بيروت - الطبعة: الرابعة - ١٤٢٠ هـ - ص ٦١٥

(٢) التبيان في إعراب القرآن - لأبي القاء العكبري - دار الفكر ٢٠٠١ - ص ٣٩٨

(٣) إعراب القرآن للباقلي ص ٦١٥

(٤) الأنعام، الآية: ١٢٣

(٥) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الرابع ص ١١٦

(٦) ويبدو أن الزمخشري في هذه الآية رجع لتعليل لام التعليل بلام العاقبة كما في الآية السابقة آية ١١٣ من سورة الأنعام.

(٧) الكشاف للزمخشري - الجزء الثاني ص ٦٣



ويقول الرازي: "جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر ليمكروا فيها؛ وذلك يقتضي أنه تعالى إنما جعلهم بهذه الصفة، لأنه أراد منهم أن يمكروا بالناس، فهذا أيضاً يدل على أن الخير والشر بإرادة الله تعالى.

ومن الملاحظ أن الطبرسي لم يختار التأويل بلام العاقبة في الآية السابقة، واختار أن تكون متعلقة بيوحى، أما في هذه الآية فلم يجد سبيلاً إلا تأويلها بلام العاقبة.

والقول بهذه الآية هو القول نفسه بالآية السابقة من أن حملها على لام العاقبة من المجاز، وهو ضعيف.<sup>(١)</sup>

## ٢-١-٣-١٩ الأمر التاسع: إمّا<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> وأول الطبرسي مجموعة من الآيات نفس التأويل، كقوله تعالى: ( فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ )<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى: ( وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ )<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: (( وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ))<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ( وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ )<sup>(٤)</sup>

<sup>(٢)</sup> على المشهور أنها حرف عطف ولم يعدها الأنباري من حروف العطف يقول: (إنها ليست حرف عطف؛ لأن حرف العطف، لا يخلو إمّا أن يعطف مفرداً على مفرد، أو جملة على جملة؛ فإذا قلت: "قام إمّا زيدٌ وإمّا عمرو" لم تعطف مفرداً على مفرد، ولا جملة على جملة، ثم لو كانت حرف عطف؛ لما جاز أن يتقدم على الاسم؛ لأن حرف العطف لا يتقدم على المعطوف عليه، ثم لو كانت -أيضاً- حرف عطف لما جاز أن يجمع بينها وبين الواو، فلمّا جمع بينهما، دلّ على أنها ليست

أصلها: (إِنْ مَا) <sup>(١)</sup> فأدغمت التَّوْن فِي المِيم <sup>(٢)</sup>، ومعناها كمعنى "أو" إلا أنها أقعد في باب الشك من "أو" لأنَّ "أو" يمضي صدر الكلام معها على اليقين، ثم يطرأ الشك من آخر الكلام إلى أوله، وأمَّا "إِما" فُيُنَى الكلام معها من أوله على الشك. <sup>(٣)</sup>

ومن النماذج التي وجهها الطبرسي استنادًا إلى هذا المطلب:

قال تعالى: ﴿وآخِرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ <sup>(٤)</sup>

وسبب توجيه هذه الآية هو اعتقاد الشيعة - كما هم سائر المسلمين - أنَّ الشك غير جائز على الله تعالى.

يقول الطبرسي: "﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ لفظة ﴿إِمَّا﴾ وقوع أحد الشيئين، والله سبحانه عالم بما يصير إليه أمرهم، ولكنه سبحانه خاطب العباد بما عندهم، ومعناه ولكن كان أمرهم عندكم على هذا أي على الخوف والرجاء." <sup>(٥)</sup>

وهو موافق للتأويل الذي ذكره معظم مفسري أهل السنة <sup>(٦)</sup>، فإمَّا تفيد إيجاب أحد الشيئين والله عالم لكنه خاطب العباد بما يعرفون.

٢-١-٣-١٠ الأمر العاشر: (ما)

---

حرف عطف؛ لأن حرف العطف، لا يدخل على مثله؛ فاعرفه تصب، إن شاء الله تعالى). أسرار العربية - الأنباري - الجزء الأول ٢٢١

(١) تحدث الرماني عن إما ثانية تكون مركبة من إن وما في الشرط انظر معاني الحروف - للرماني - ص ١٣١ .

(٢) علل النحو - أبي الحسن محمد بن عبد الله الوراق - - مكتبة الرشد - الرياض / السعودية - الطبعة: الأولى ١٩٩٩ - الجزء الأول ص ٣٧٧

(٣) أسرار العربية - الجزء الأول ٢٢١

(٤) التوبة، الآية: ١٠٦

(٥) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الخامس ص ٩٢

(٦) انظر تفسير الزمخشري والرازي والقرطبي موضع الآية

و(ما) تأتي اسماً وحرفاً. وتأتي اسماً في خمسة مواضع، وهي أن تأتي: استفهاماً، أو شرطاً، أو تعجباً، أو خبرية بمعنى الذي، أو نكرة موصوفة. وإذا كانت حرفاً فلها أيضاً خمسة مواضع، وهي أن تكون: نافية، أو أن تكون مع الفعل في تأويل المصدر، إضافة إلى أنها تأتي مسيطرة، ومغيرة، وزائدة<sup>(١)</sup>.

ومن النماذج التي اختلف النحاة في توجيه معنى اللام فيها بين معنى (الذي) والتي تكون فيها (ما) اسمية وبين معنى المصدرية والتي تكون فيها (ما) حرفاً<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

ويرجع توجيه هذه الآية عند الشيعة وغيرهم إلى الخلاف حول خلق أفعال العباد؛ فالشيعة الاثنا عشرية يشابهون المعتزلة في أن أفعال العباد مخلوقة لهم، أما المجبرة فيعتقدون أن أفعال العباد مخلوقة لله، وأهل السنة في موقف وسط بين الطرفين.

يقول الطبرسي: "﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ أي: وخلق ما عملتم من الأصنام، فكيف تدعون عبادته وتعبدون معمولكم؟ وهذا كما يقال: فلان يعمل الحصير، وهذا الباب من عمل فلان النجار. قال الحسن: معناه وخلق أصل الحجارة التي تعملون منها الأصنام، وهذا يجري مجرى قوله ﴿تلقف ما يافكون﴾ [الأعراف: ١١٧] وقوله ﴿تلقف﴾ ما صنعوا في أنه أراد المنحوت من الجسم هنا دون العرض الذي هو النحت كما أراد هناك المأفوك فيه والمصنوع فيه من الحبال والعصي دون العرض الذي هو فعلهم فليس لأهل الجبر تعلق بهذه الآية في الدلالة على أن الله سبحانه خالق لأفعال العباد؛ لأن من المعلوم أن الكفار لم يعبدوا نحتهم الذي هو فعلهم وإنما كانوا يعبدون الأصنام التي هي الأجسام. وقوله ﴿ما ننحتون﴾ هو ما يعملون في المعنى على أن مبنى الآية على التقريع للكفار والازدراء بهم لقبيح فعلهم، ولو كان معناه والله خلقكم وخلق عبادتكم لكانت الآية إلى أن تكون عذراً لهم أقرب من أن تكون لوماً وتهجيناً

(١) معاني الحروف للرماني - ص ٧٦

(٢) على مذهب سيويه أنها حرف أما على مذهب الأخفش فهي اسماً لأنها لا تحتاج إلى عائذ عند سيويه أما عند الأخفش فقد

اشتراط لها عائذاً.

(٣) الصفات، الآية: ٩٦

ولكان لهم أن يقولوا: ولم توبّخنا على عبادتها والله تعالى هو الفاعل؟ لذلك فتكون الحجة لهم لا عليهم ولأنه قد أضاف العمل إليهم بقوله ﴿تعملون﴾ فكيف يكون مضافاً إلى الله تعالى وهذا تناقض ولما لزمته الحجة. <sup>(١)</sup>

ووجه بعض المفسرين هذه الآية بأن ﴿ما﴾ في قوله تعالى مصدرية وأنها والفعل بمعنى الحدث؛ أي إن الله خلقكم وعملكم، يقول القرطبي: "والأحسن أن تكون (ما) مع الفعل مصدرًا، والتقدير: والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب أهل السنة: أن الأفعال خلقٌ لله عز وجل واكتسابٌ للعباد. وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية." <sup>(٢)</sup>

ويقول البيضاوي: "أو إنه بمعنى الحدث فإن فعلهم إذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك، وبهذا المعنى تمسك أصحابنا على خلق الأعمال ولهم أن يرجحوه على الأولين لما فيها من حذف أو مجاز." <sup>(٣)</sup>

وإن حملنا الآية على معنى الحدث من أن ﴿ما﴾ هنا مصدرية <sup>(٤)</sup> وهي والفعل بعدها ﴿تعملون﴾ بمعنى عملكم، فإنّ الذهن هنا لا ينصرف إلا للأصنام، وذلك لقول عز وجل في الآية السابقة ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾، بمعنى نحتكم أو منحوتكم، وقد أضاف سبحانه النحت لهم.

والأفضل عدم الاستشهاد بهذه الآية في أن أفعال العباد مخلوقة لله، وهو القول الذي اختاره الرازي، يقول: "الأولى ترك الاستدلال بهذه الآية، والله أعلم." <sup>(٥)</sup>

## ٢-١-٣-١١ الأمر الحادي عشر (أني)

<sup>(١)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء الخامس ٢٤٢

<sup>(٢)</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الجزء ١٥ ص ٩٦

<sup>(٣)</sup> أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي - الجزء الخامس ص ١٤

<sup>(٤)</sup> وما المصدرية فهي التي تسبك مع ما بعدها بمصدر نحو قوله تعالى ودوا ما عنتم أي ودوا عنتكم وقول الشاعر يسر ما ذهب

الليالي وكان ذهاباً له ذهاباً أي يسر المرء ذهاب الليالي

<sup>(٥)</sup> مفاتيح الغيب للرازي

(أَنْتَى) اسم<sup>(١)</sup> ومعناها أين. تقول أنتى لك هذا؟ أي من أين لك هذا؟ وهي من الظروف التي يجازى بها، تقول: أنتى تأتي آتاك، معناه من أي جهة تأتي آتاك. وقد تكون بمعنى كيف تقول: أنتى لك أن تفتح الحصن؟ أي كيف لك ذلك؟<sup>(٢)</sup>، وفي القاموس المحيط: أنتى: تكون بمعنى أين، ومَتَى، وكيف<sup>(٣)</sup>.

### ومن النماذج التي وجهها الطبرسي استناداً إلى هذا الأمر:

قوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَنْتَى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

يقول الطبرسي: "أَنْتَى شِئْتُمْ" معناه من أين شِئْتُمْ عن قتادة والربيع، قيل كيف شِئْتُمْ عن مجاهد، وقيل متى شِئْتُمْ عن الضحاك، وهذا خطأ عند أهل اللغة لأنَّ أَنْتَى لا يكون إلا بمعنى مِنْ أين، كما قال أَنْتَى لك هذا وقيل معناه مِنْ أي وجه واستشهد بقول الكميت:

أَنْتَى وَمَنْ أَيْنَ أَبْكَ الطَّرْبُ مِنْ حَيْثُ لَا صَبْوَةٌ وَلَا رَيْبُ

وليس في البيت شاهدٌ لهم؛ لأنه لا يجوز أن يكون أَنْتَى به لاختلاف اللفظين كما يقولون: متى كان هذا؟ وأي وقت كان؟ ويجوز أن يكون بمعنى كيف، واستدل مالك بقوله أَنْتَى شِئْتُمْ على جواز إتيان المرأة في دبرها، ورواه عن نافع عن ابن عمر وحكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر، وبه قال كثير من أصحابنا، وخالف في ذلك جميع الفقهاء، وقالوا إنَّ الحرث لا يكون إلا بحيث النسل فيجب أن يكون الوطء حيث يكون النسل، فأجيبوا عن ذلك بأنَّ النساء وإن

(١) أدرجتها هنا لقربها من هذا الباب.

(٢) لسان العرب - الجزء ١٥ ص ٤٣٧

(٣) القاموس المحيط - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧هـ) - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - الطبعة: الثامنة ٢٠٠٥

م - الجزء الأول ١٣٤٩

(٤) البقرة، الآية: ٢٢٣

كَنَّ لَنَا حَرْثًا فَقَدْ أُبِيحَ لَنَا وَطُوهَنَّ بَلَا خِلَافٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْحَرْثِ كَالْوِطْءِ فِيمَا دُونَ الْفَرْجِ وَمَا أَشْبَهَهُ. <sup>(١)</sup>

ويقول النحاس: "أَنَّى ظَرْفٌ وَحَقِيقَتُهُ: مَنْ أَيْنَ شَتَّمْتُ، وَقِيلَ: كَيْفَ شَتَّمْتُ." <sup>(٢)</sup>

وفي معاني القرآن للفراء أي: كَيْفَ شَتَّمْتُ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ، قَالَ حَدَّثَنَا الْفَرَّاءُ قَالَ حَدَّثَنِي شَيْخٌ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْيَهُودَ تَزْعُمُ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَتَى امْرَأَتَهُ مِنْ وَرَائِهَا فِي قُبُلِهَا خَرَجَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ. قَالَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَذَبَتْ يَهُودُ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَتَى شَتَّمْتُ يَقُولُ: آيَةُ الْفَرْجِ مِنْ حَيْثُ شَتَّتْ. <sup>(٣)</sup>

ويقول الزمخشري: "﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَتَى شَتَّمْتُ﴾ تمثيل، أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شَتَّمْتُ. لا تحظر عليكم جهة دون جهة، والمعنى: جامعوهنَّ من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتى واحداً وهو موضع الحرث. <sup>(٤)</sup>

ومن الواضح أن المعنى الدلالي لقوله تعالى: ﴿أَنَّى شَتَّمْتُ﴾ يعود للسياق الداخلي للآية بقوله تعالى ﴿حَرْثَكُمْ﴾، وليس لمعنى ﴿أَنَّى﴾ وقد فسر اللغويون والمفسرون كلمة حَرْثَكُمْ، يقول الزجاج: "زعم أبو عبيدة أنه كناية، والقول عندي فيه أن معناه أن نساءكم حَرْثُكم منهن تحرثون الولد واللذة. <sup>(٥)</sup>

ويقول الرازي: "﴿حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي مزرع ومنبت للولد، وهذا على سبيل التشبيه؛ ففرج المرأة كالأرض، والنطفة كالبذر، والولد كالنبات الخارج، والحرث مصدر، ولهذا وحد الحرث فكان المعنى نساءكم ذوات حرث لكم فيهنَّ تحرثون للولد. <sup>(٦)</sup>

<sup>(١)</sup> مجمع البيان للطبرسي الجزء الثاني ص ٧٥

<sup>(٢)</sup> إعراب القرآن - النَّحَّاس - الجزء الأول ص ١١٢

<sup>(٣)</sup> معاني القرآن - الفراء - الجزء الأول ص ١٤٤

<sup>(٤)</sup> الكشاف للزمخشري - الجزء الأول ص ٢٦٦

<sup>(٥)</sup> معاني القرآن وإعرابه - الزجاج - ص ٢٨٩

<sup>(٦)</sup> مفاتيح الغيب للرازي - الجزء السادس ص ٤٢١

فقوله سبحانه: ﴿فأتوا حرثكم﴾ يدل على منبت الولد، ويعززه قوله سبحانه وتعالى في الآية السابقة لهذه الآية: ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ وهو الفرج بدليل قوله تعالى في بداية الآية: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ ومكان الحيض الفرج.<sup>(١)</sup>

## ٢-٤ المبحث الثاني: الوحدات النحوية التركيبية:

تنقسم الوحدات النحوية إلى وحدات نحوية إفرادية وأخرى تركيبية، وقد تحدثنا بالمبحث السابق عن الوحدات النحوية الإفرادية، وفي هذا المبحث سنتحدث عن الوحدات النحوية التركيبية، وهي كل ما دل على معنى يوصف به التركيب أو الجملة بأسرها<sup>(٢)</sup>، وذلك مثل معاني الاستفهام أو الأمر أو غير ذلك، وهو ما أطلق عليه ابن فارس معاني الكلام<sup>(٣)</sup>، وتنقسم هذه الوحدات التركيبية إلى وحدات إنشائية ووحدات خبرية، يقول التهانوني: "اعلم أن الحذاق من النحاة أهل البيان وغيرهم قاطبة متفقون على انحصار الكلام في الخبر والإنشاء وأنه ليس له ثالث."<sup>(٤)</sup>

والوحدات النحوية الخبرية: هي التي تتعلق بموقف المخاطب من موضوع الحديث<sup>(٥)</sup>، أمّا الإنشائية فتتعلق بموقف المتحدث من نفسه، وتنقسم المعاني الإنشائية إلى طلبية وغير طلبية، والطلبية ما استدعى مطلوباً غير حاصل في وقت الطلب، كالاستفهام والتمني والأمر والنهي والنداء<sup>(٦)</sup>، أمّا غير الطلبية وهي التي عبر عنها تمام حسان بالمعاني الإفصاحية<sup>(٧)</sup>، فتشمل القسم والشرط أو لتعجب والمدح والذم وغيرها.

## ٢-٢-١ المطلب الأول: الوحدات النحوية الخبرية:

(١) انظر تفسير والطبري الرازي والقرطبي-موضع الآية

(٢) دلالة السياق للبركاوي ص ٢٢٨

(٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومساثلها وسنن العرب في كلامها-: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين

(٤) (٥٣٩٥)- الناشر: محمد علي بيضون الطبعة الأولى ١٩٩٧م ص ٢٨٩

(٥) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون - للتهانوني - الجزء الثاني ص ١٨٦

(٦) دلالة السياق للبركاوي ص ٢٣٣

(٧) الإيضاح في علوم البلاغة- الجزء الأول ص ١٢٥

(٨) اللغة العربية معناها ومبناها - تمام حسان الجزء الأول ص ٣٦٤

الجملة الخبرية: هي الجملة التي يمكن الحكم عليها بالصدق والكذب بعد أن نسمعها. مثال ذلك لو قال لك شخص: (العلم ضار) فهذه الجملة خبرية مأخوذة على الكذب؛ لأنها منافية للواقع<sup>(١)</sup>.

## ٢-٢-١-١ الأمر الأول: النفي

والنفي أسلوب نقد وإنكار، يُلجأ إليه لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب<sup>(٢)</sup>، وذلك بصيغة تحوي عنصراً يفيد ذلك أو يصرف ذهن السامع إلى هذا الحكم عن طريق غير مباشرة من المقابلة وذكر الضد.<sup>(٣)</sup>

وبذلك، فالنفي إما أن يكون صريحاً أو ضمنيّاً، والنفي الصريح يكون باستخدام أدوات للنفي وأشهرها لا، وما، ولم، ولما، ولن، وليس، ولات، وإن، وغير، ولا النافية للجنس.

أما النفي الضمني فيُفهم من السياق، ومثالها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، إذ المراد: لا يغفر الذنوب إلا الله.

## ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى هذا المطلب:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) مبادئ قواعد اللغة العربية - علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني المعروف بسيد مير شريف (٨١٦هـ) -

المعرب عن الفارسية: حامد حسين - وضع الحواشي: عبد القادر أحمد عبد القادر - ضبطها: مجاهد صغير أحمد صودهوري - مكتبة الفيصل - شاهی جامع مسجد مارکیت، اندرقلعة، شیتاغونغ - الطبعة: الأولى ١٩٨٧ م - ص ٧ وما بعدها

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه - مهدي المخزومي منشورات المكتبة العصرية بيروت - الطبعة الأولى ص ٦٤ ص ٢٤٦

(٣) أسلوبا النفي والاستفهام في اللغة العربية - خليل عمايرة - جامعة اليرموك - ص ٥٦

(٤) يونس، الآية: ٩٦



ويرجع هذا التوجيه إلى العدل الإلهي، والعدل الإلهي هو ثاني الأصول الخمسة عند الشيعة كما هو عند المعتزلة، والعدل يقتضي عندهم أن تكون أفعال العباد مخلوقة لهم، ويذكر المفيد في كتابه تصحيح اعتقادات الإمامية أنه: "سأل أبو حنيفة أبا الحسن موسى بن جعفر<sup>(١)</sup> - عليهما السلام - عن أفعال العباد ممن هي؟ فقال له أبو الحسن - عليه السلام - : إن أفعال العباد لا تخلو من ثلاثة منازل: إمّا أن تكون من الله تعالى خاصة، أو من الله ومن العبد على وجه الاشتراك فيها، أو من العبد خاصة، فلو كانت من الله تعالى خاصة لكان أول بالحمد على حسنهما والذم على قبحهما، ولم يتعلق بغيره حمد ولا لوم فيها، ولو كانت من الله ومن العبد لكان الحمد لهما معاً فيها والذم عليهما جميعاً فيها، وإذا بطل هذان الوجهان ثبت أنهما من الخلق، فإن عاقبهم الله تعالى على جنايتهم بما فله ذلك، وإن عفا عنهم فهو أهل التقوى وأهل المغفرة. وفي أمثال ما ذكرناه من الأخبار ومعانيها ما يطول به الكلام." <sup>(٢)</sup>

ويقول الطبرسي: "﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فنفي الإيمان عنهم ولم ينفي عنهم القدرة عليه؛ فإن نفي الفعل لا يكون نفيًا للقدرة عليه، كما إن الله سبحانه نفى عن نفسه مغفرة المشركين ولم يكن ذلك نفيًا لقدرة على مغفرتهم. وقيل: معناه إن الذين وجب عليهم سخط ربك عن قتادة. وقيل: معناه وجب عليهم وعيد ربك." <sup>(٣)</sup>

ويقول الزمخشري: "﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره. وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدّر ومراد تعالى الله عن ذلك." <sup>(٤)</sup>

ويقول الرازي: "المراد من هذه الكلمة حكم الله بذلك وإخباره عنه، وخلقه في العبد مجموع القدرة والداعية، الذي هو موجب لحصول ذلك الأثر، أمّا الحكم والأخبار والعلم فظاهر، وأمّا مجموع القدرة والداعي فظاهر أيضاً، لأن القدرة لما كانت صالحة للطرفين لم يترجح أحد

<sup>(١)</sup> الإمام السابع عند الشيعة الإمامية

<sup>(٢)</sup> تصحيح اعتقادات الإمامية - للمفيد - ص ٤٣

<sup>(٣)</sup> مجمع البيان للطبرسي الجزء الخامس ١٧٤

<sup>(٤)</sup> الكشاف للزمخشري الجزء الثاني ص ٣٧٢

الجانين على الآخر إلا المرجح، وذلك المرجح من الله تعالى قطعاً للتسلسل، وعند حصول هذا المجموع يجب الفعل، وقد احتج أصحابنا بهذه الآية على صحة قولهم في إثبات القضاء اللازم والقدر الواجب، وهو حق وصدق ولا محيص عنه.<sup>(١)</sup>

وأقول: إن الاستشهاد بالنفي في هذه الآية لا وجه له، وربما قصد منه الطبرسي تضليل القارئ بقوله إنَّ اللا نافية للإيمان لا القدرة، والشاهد في قوله سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فمن وجب عليه قول الله الذي أثبتته في كتابه لا يؤمن.

والحق: الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته. فالحقُّ نقيضُ الباطل، ثم يرجع كلُّ فرعٍ إليه بجودة الاستخراج وحسن التلقيق ويقال حقُّ الشيء وجب<sup>(٢)</sup>، وفي الصحاح: وحُقَّ له أن يفعل كذا، وهو حَقِيقٌ أن يفعل كذا، وهو حَقِيقٌ به، ومَحَقَّقٌ به، أي خَلِيقٌ له، والجمع أَحَقَّاءُ ومَحَقَّقُونَ.

وحَقَّ الشيءُ يَحِقُّ بالكسر، أي وجب. وأَحَقَّقْتُ الشيءَ، أي أوجبت<sup>(٣)</sup>.

أما ﴿كَلِمَةُ اللَّهِ﴾ فأولُّها المفسرون بلعنة الله، يقول الطبري: "إن الذين وجبت عليهم يا محمد كلمة ربك، وهي لعنته إياهم"<sup>(٤)</sup> أو سخطه يقول القرطبي: "أي الذين حق عليهم غضبُ الله وسخطه بمعصيتهم لا يؤمنون"<sup>(٥)</sup>.

## ٢-٢-١-٢ الأمر الثاني العطف

والعطف في اللغة: الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه، وأمّا في الاصطلاح عند النحاة فالعطف نوعان: عطف بيان وعطف نسق؛ فعطف البيان عطف أريد به الإيضاح والكشف

(١) مفاتيح الغيب للرازي الجزء ١٧ ص ٣٠٢

(٢) مقاييس اللغة - الجزء الثاني ص ١٥

(٣) الصحاح في اللغة - الجزء الرابع ١٤٦١

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن - للطبري

(٥) تفسير الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي

والتفسير، فحينئذ يكون قد عطف بمعنى أنه رجع إلى المتبوع فكشفه وبينه وزاده إيضاحاً إن كان موضحاً، أو تخصيصاً إن كان مخصصاً، فقل عطف البيان لأنه مبين لما قبله، وفيه معنى الرجوع، فإذا قيل: أقسم أبو حفص عمر، عمر هذا عطف بيان، لما قيل: أقسم أبو حفص، لا يفهم منه أنه عمر - رضي الله عنه -، بل يحتمل أنه عمر وغيره، حينئذ لما قال: عمر رجع إلى أبي حفص فكشفه ووضحه وفسره وبين المراد به.<sup>(١)</sup>

أما عطف النسق: فهو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف، وحروف العطف وَحُرُوفُ الْعَطْفِ عَشْرَةٌ وَهِيَ: الْوَاوُ، وَالْفَاءُ، وَثُمَّ، وَأَوْ، وَأَمْ، وَإِمَّا، وَبَلْ، وَلَآ، وَلَكِنْ، وَحَتَّى فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ.<sup>(٢)</sup>

### ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى هذا الأمر:

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.<sup>(٣)</sup>

ويرجع توجيه هذه الآية عند الشيعة إلى الرغبة في إعطاء النصيب الأكبر من الغنيمة<sup>(٤)</sup> والتي هي عندهم من كل الكسب<sup>(٥)</sup> للإمام القائم مقام الإمام المنتظر؛ فنصيبه من الخمس المقسم عندهم إلى ستة أجزاء هو سهم الله وسهم الرسول وسهم ذي القربى، أما الثلاثة أسداس الباقية فهي أيضاً لفقراء آل البيت ومساكينهم وأبناء سبيلهم<sup>(٦)</sup> دون غيرهم. وفي وسائل الشيعة عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن عبدالله بن بكير، عن بعض أصحابه، عن

(١) فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية - الجزء الأول ص ٤٤٤

(٢) شرح الأجرومية حسن حفظي - الجزء الأول ٢١٣

(٣) الأنفال، الآية ٤١

(٤) ناقش معنى الغنيمة في المبحث الخاص بالمعنى المعجمي من الفصل الثالث المتعلق بالمستوى الدلالي للغة.

(٥) يقول النراقي: (اعلم أن الأصل وجوب الخمس في جميع ما يستفيده الإنسان ويكتسبه ويغنمه) مستند الشيعة - للنراقي -

مؤسسة آل البيت عليهم السلام - الطبعة الأولى - الجزء العاشر - ص ٩

(٦) ناقشت هذا الأمر في المبحث الخاص بالتخصيص الدلالي من الفصل الثالث المتعلق بالمستوى الدلالي للغة

أحدهما (عليهما السلام) في قول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال: خمس الله للإمام، وخمس الرسول للإمام، وخمس ذوي القربى لقربة الرسول للإمام، واليتامى يتامى آل الرسول، والمساكين منهم، وأبناء السبيل منهم، فلا يخرج منهم إلى غيرهم.<sup>(١)</sup>

قال الطبرسي في تفسير آية الأنفال: "﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾" اختلف العلماء<sup>(٢)</sup> في كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على أقوال: أحدها: ما ذهب إليه أصحابنا وهو أن الخمس يقسم على ستة أسهم؛ فسهام لله، وسهم للرسول، وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للإمام القائم مقام الرسول صلى الله عليه وسلم وسهم لیتامی آل محمد، وسهم لمساكينهم وسهم لأبناء سبيلهم لا يشركهم في ذلك غيرهم؛ لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها أوساخ الناس، وعوضهم من ذلك الخمس، وروى ذلك الطبري<sup>(٣)</sup> عن علي بن الحسين زين العابدين (ع) ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام. وروى أيضاً عن أبي العالية والربيع أنه يقسم على ستة أسهم إلا أنهما قالوا: سهم الله للكعبة والباقي لمن ذكره الله وهذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب<sup>(٤)</sup> ويقويه.<sup>(٥)</sup>

ويقول الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ افتتاح كلام وذلك لإجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم، ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية<sup>(٦)</sup>، لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوماً على ستة أسهم. وإنما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها، فأما على أكثر من ذلك فما لا نعلم

(١) وسائل الشيعة للعالم ص ٥١٠

(٢) لم يختلف العلماء في تقسيم الخمس إلى أكثر من خمسة أقسام، بل كان خلافهم في تقسيمها إلى أقل من خمس، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) نعم روى ولكنه لم يؤيد هذا القول. بل على العكس دحضه.

(٤) ثم ذكر عدة تقسيمات لم أذكرها لترجيحه لهذا التقسيم

(٥) مجمع البيان للطبرسي الجزء الرابع ٣٤٥

(٦) وهو التأويل الذي ذكره الطبرسي وأبو العالية رفيع أبو العالية الرياحي اسمه رفيع بن مهران، مولى امرأة من بني رياح بن يربوع (حى من بني تميم، اعتنقه سائبة) كنيته أبو العالية وقيل: الرياحي البصري ويعتبر الطبقة الثانية من طبقات رواة الحديث النبوي

قائلاً قاله غير الذي ذكرنا من الخبر عن أبي العالية، وفي إجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا. فأما من قال: سهم الرسول لذوي القربى، فقد أوجب للرسول سهمًا وإن كان صلى الله عليه وسلم صرفه إلى ذوي قرابته، فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم.<sup>(١)</sup>

وكذلك فسرهما الرازي وابن كثير والبيضاوي<sup>(٢)</sup>.

**والمؤكد - والله أعلم - أن الخمس يُقسم خمسًا أيضًا، وهو ما يدل عليه قوله تعالى فأنَّ لله خمسة، والمعطوفات<sup>(٣)</sup> بعده هي هذا الخمس، ولو كان الخمس يُقسم سدسًا لكان قوله تعالى فأنَّ لله سدسه ثم تأتي باقي المعطوفات الخمس، ولكانت هذه الغنيمة كلها لا خمسها، أو أن يكون قوله تعالى فأنَّ لله وللرسول ولذي القربى... سدسه.**

#### ٢-٢-١-٣ الأمر الثالث: الاستثناء

والاستثناء تعريفه هو الإخراج، من مذكور أو مقدَّر بإلا أو إحدى أخواتها، وينقسم باعتبار كون المستثنى من جنس المستثنى منه أو لا، إلى قسمين: الاستثناء المتصل وهو ما كان المستثنى فيه من جنس المستثنى منه، وأمَّا الاستثناء المنقطع فهو عكسه، ما كان المستثنى من غير جنس المستثنى منه.<sup>(٤)</sup>

#### ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى هذا الأمر:

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري الجزء ١١ ص ١٩٠

(٢) انظر تفاسيرهم في موضع الآية

(٣) إعراب القرآن وبيانه لحيي الدين درويش الجزء الرابع ص ١٠

(٤) شرح الآجرومية-حسن بن محمد الحفظي -ص ٢٦٥

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۚ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

وهذا التوجيه يتعلق بعصمة الأنبياء التي هي عند الشيعة عصمة مطلقة عن صغير الذنوب وكبيرها.

يقول الطبرسي: "ثم قال سبحانه ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ المعنى لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير المرسلين؛ لأنَّ الأنبياء لا يقع منهم ظلم لكونهم معصومين من الذنوب والقبايح فيكون هذا استثناء منقطعاً، وإنما حَسُنَ ذلك لاجتماع الأنبياء وغيرهم في معنى شملهم وهو التكليف."<sup>(٢)</sup>

وجعله استثناء منقطعاً ليس جيداً في اللغة، يقول النحاس: "وقيل المعنى: لا يخاف لدي المرسلون لكن من ظلم من المرسلين وغيرهم ثم تاب فليس يخاف، وقيل إلا بمعنى الواو وذا ليس بجيد في العربية."<sup>(٣)</sup>

ويقول الفراء: "﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ ثُمَّ اسْتَشْنَى فَقَالَ: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾، فهذا مغفورٌ لَهُ. فيقول القائل. كيف صِيرَ خائفاً؟ قلتُ: في هذه وجهان: أحدهما أَنْ تَقُولُ: إِنَّ الرِّسْلَ مَعْصُومَةٌ مَغْفُورٌ لَهَا أَمَنَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فَهُوَ يَخَافُ وَيَرْجُو: فهذا وجه. والآخر أَنْ تَجْعَلَ الاستثناء مِنَ الَّذِينَ تُرْكُوا فِي الْكَلِمَةِ لِأَنَّ الْمَعْنَى: لَا يَخَافُ الْمُرْسَلُونَ إِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ. ثُمَّ اسْتَشْنَى فَقَالَ: إِلَّا مَن ظَلَمَ فَإِنَّ هَذَا لَا يَخَافُ يَقُولُ: كَانَ مُشْرِكًا فَتَابَ وَعَمِلَ حَسَنًا فَذَلِكَ مَغْفُورٌ لَهُ لَيْسَ بِخَائِفٍ.

وقد قَالَ بعضُ النحويين: إِنَّ (إِلَّا) فِي الْلُغَةِ بِمِثْلِ الْوَائِ، وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ: لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ وَلَا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا. وَجَعَلُوا مِثْلَهُ قَوْلًا لِلَّهِ: ﴿لَئِنَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ

(١) النمل، الآية : (١٠-١١)

(٢) مجمع البيان للطبرسي-الجزء السابع ص ٢٦٧

(٣) معاني القرآن الكريم للإمام أبي جعفر النحاس الجزء الخامس ص ١١٧ الطبعة الأولى ١٩٨٨ حقوق الطبع محفوظة للجامعة أم القرى

إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴿﴾ أَيُّ وَلَا الَّذِينَ ظَلَمُوا. ولم أجد العربية تحتل ما قالوا، لأني لا أجزئ قام الناس إلا عبد الله وهو قائم، إنما الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلا من معنى الأسماء قبل إلا. وقد أراه جائزاً أن تقول: عليك ألف سوى ألف آخر، فإن وضعت (إلا) في هذا الموضع صلحت وكانت (إلا) في تأويل ما قالوا. فأما مجردة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا. ولكن مثله مما يكون في معنى إلا كمعنى الواو وليست بها. قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ هو في المعنى: إلا الذي شاء ربك من الزيادة. فلا تجعل إلا في منزلة الواو ولكن بمنزلة سوى. فإذا كانت سوى في موضع إلا صلحت بمعنى الواو لأنك تقول: عندي مال كثير سوى هذا أي وهذا عندي كأنك قلت: عندي مال كثير وهذا. وهو في سوى أنفذ منه في إلا لأنك قد تقول: عندي سوى هذا، ولا تقول: إلا هذا.<sup>(١)</sup>

**والأصح - والله أعلم -** هو حمل الاستثناء على أنه استثناء متصل غير منقطع، وهو القول الذي اختاره الرازي يقول: "﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾" معناه لكن من ظلم وهو محمول على ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل أو الصغيرة، ويحتمل أن يكون المقصود منه التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات اللطيفة. قال الحسن رحمه الله: كان والله موسى ممن ظلم بقتل القبطي ثم بدل، فإنه عليه السلام قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾<sup>(٢)</sup>، ورجحه الطبري القرطبي بعد مناقشتها لكلام الفراء الذي ذكرته سابقاً<sup>(٣)</sup>، وهو الأرجح - والله أعلم - ولا يتعارض مع عصمة الأنبياء؛ فالعصمة فياعتقاد أهل السنة أن العصمة عن كبائر الذنوب لا صغارها، يقول ابن تيمية - رحمه الله: "إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف... وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول."<sup>(٤)</sup>

## ٢-٢-١-٤ الأمر الرابع الاستدراك:

(١) معاني القرآن - الجزء الثاني ٢٨٧ وما بعدها

(٢) مفاتيح الغيب للرازي - الجزء ٢٤ ص ٥٤٥

(٣) انظر تفاسيرهم في موضع الآية

(٤) مجموع الفتاوى - لابن تيمية - الجزء الرابع ص ٣١٩

الاستدراك لغةً: طلب التدارك، يقال: تدارك القوم تلاحقوا، واستدرك الشيء بالشيء حاول إدراكه به. واصطلاحاً: رفع توهم تولد من سابق. (١)

### ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى هذا الأمر

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

وسبب توجيه هذه الآية هو اعتقاد الشيعة بعدم جواز الرؤيا على الله، وقد ناقشتُ هذا النموذج عدة مرات في مواقع مختلفة (٣)

يقول الطبرسي: "﴿ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ علق رؤيته باستقرار الجبل الذي علمنا أنه لم يستقر، وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لأنهم يعلّقونه مما يعلم أنه لا يكون، ومتى قيل إنه لم يستقرّ وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لأنهم يعلّقونه بما يعلم أنه لا يكون متى قيل إنه لو كان الغرض بذلك التباعد لعلّقه سبحانه بأمر يستحيل كما علق دخول الجنة بأمر مستحيل ومن ولوج الجمل في سمّ الخياط؛ فجوابه أنه سبحانه علق جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكاً، وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين." (٤)

والجواب على ذلك أنه تعالى علق الرؤية على أمر جائز، وهو استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز، فيلزم كون الرؤية في نفسها جائزة، أمّا ما ضربه من مثال ﴿حتى يلج الجمل في سمّ الخياط﴾ فهذا هو تعليق الأمر على آخر مستحيل الوقوع.

(١) انظر ص ٦٠ وص ٧٠ وص ١٠٦ وص ١٢٧ وص ٢١٩

(٢) الأعراف، الآية: ١٤٣

(٣) التعريفات - عليّ بن محمد بن عليّ الزين الشريف الجرجاني (٨١٦ هـ) - المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء - دار

الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: ١٩٨٣ م - ص ٢١ - الكليات - الجزء الأول ص ١١٧.

(٤) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الرابع ص ٢٦٠



كما أنه لولا الاستدراك —﴿لكن﴾<sup>(١)</sup> لكان ربما فهم ما أراد الطبرسي من نفي الرؤية، فمثلاً لو قلت: "حضر الطلاب لكنّ سليماً غائب"، فلولا قولك "لكن.." لفهم أنّ سليماً في الحاضرين ولذلك استدركت<sup>(٢)</sup>، وكذلك قوله تعالي ﴿لن تراني﴾ ثم استدرك سبحانه والاستدراك هنا من أقوى الأدلة اللغوية في هذه الآية على جواز الرؤيا، والاستشهاد به هو عكس ما أراد الطبرسي.

## ٢-٢-٢ المطلب الثاني: الوحدات النحوية الإنشائية

الجملة الإنشائية: هي ما لا تحتل الصدق والكذب، وهي على ضربين:

الضرب الأولن الإنشاء: هو الإنشاء الطلبي وهو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب<sup>(٣)</sup>. وله عدد من الوحدات النحوية الدال عليه، مثلاً الأمر، والنهي، وجمل الاستفهام، والتمني، والنداء.<sup>(٤)</sup>

وزاد السيوطي معنى الترجي<sup>(٥)</sup>، وذكر ابن يعيش أنّ من النحاة من أضاف إليها الدعاء<sup>(٦)</sup>، وجعلها ابن عقيل سبعة معانٍ في شرحه للألفية؛ فزاد عليها التخفيض، وجعلها ثمانية في شرح التسهيل وزاد عليها معنى الرجاء.<sup>(٧)</sup>

والضرب الثاني: الإنشاء غير الطلبي، وهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وله عدد من الوحدات النحوية الدالة عليه مثل<sup>(٨)</sup>: كالمجازاة أو الشرط، والقسم، والتعجب، والمدح، والذم، والرجاء وغيرها.

(١) انظر أسرار العربية الأنباري - ص ٢٢٠

(٢) انظر الموجز في قواعد اللغة العربية-سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني -دار الفكر - بيروت - لبنان الطبعة- ٢٠٠٣م-ص

٢٤٠

(٣) دلالة السياق للركاوي ص ٢٣٠

(٤) الايضاح في علوم البلاغة-الجزء الثالث ص ٥٢ وما بعدها

(٥) الأتقان -الجزء الثاني ص ١٦٦ وما بعدها

(٦) شرح ابن عقيل -الجزء الرابع ص ١٢

(٧) شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد -ابن عقيل -الجزء الثاني ص ٨

## ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استنادًا إلى الوحدات النحوية الإنشائية غير الطلبية:

### ٢-٢-٢-١ الأمر الأول: الشرط<sup>(٢)</sup>

هو أسلوب يتم الربط فيه بين جملتين بأداة تسمى أداة الشرط، بحيث لا تتم الجملة الثانية (جواب الشرط) إلا إذا حدثت الجملة الأولى<sup>(٣)</sup>، ويتكون الشرط من جملتين على أغلب الآراء، يتم الربط بينهما بأداة تسمى أداة الشرط، وتقسم أدوات الشرط الجازمة من حيث نوعها إلى قسمين: حروف وأسماء، أمّا الحروف فهي: إن، وإذ، ما. وأمّا الأسماء فهي: مَنْ، ما، مهما، متى، أيّان، أين، أنّى، حيثما، كيفما، أيّ.

وتنقسم من حيث عملها إلى حروف جازمة وغير جازمة؛ أما الجازمة فهي: مَنْ. ما. مهماً، متى، أيّان. أين. حيثما، متى. وأمّا غير الجازمة: لو، لولا. لوماً. أمّا. لما. كلما. إذا<sup>(٤)</sup> وتأتي جملة الشرط على شكلين فقط: جملة فعلية فعلها مضارع، أو ماض، وتأتي جملة الجواب على ثلاثة أشكال: جملة فعلية فعلها مضارع أو ماض أو مسبوق بالفاء.<sup>(٥)</sup>

### ومن النماذج التي وجهها الطبرسي استنادًا إلى هذا الأمر:

#### النموذج الأول:

(١) دلالة السياق للبركاوي ص ٢٣١

(٢) وهو ما أطلق عليه سيبويه معنى الجزاء، وعقد له باباً في كتابه سماع باب الجزاء انظر الكتاب لسيبويه، الجزء الثالث ص

(٣) المباحث المرضية المتعلقة بـ (من) الشرطية ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) المحقق: الدكتور مازن المبارك الناشر: دار ابن كثير - دمشق / بيروت الطبعة: الأولى ١٩٨٧م ص ٥١، وفي كتاب الجملة الشرطية لأوس إبراهيم الشمسان، ذكر آراء الكثير من النحاة في الفصل الأول والثاني باعتبار الجملة الشرطية مكونة من جملة واحدة أو جملتين. (مطبعة الدجوي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨١)

(٤) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل - محمد عليّ السراج - دار الفكر - دمشق - الطبعة: الأولى - ١٩٨٣ م - ص ١٧٩

(٥) يجب اقتران جواب الشرط بالفاء؛ إذا كان جملة اسمية، أو فعلية فعلها طلبية أو جامدة أو مسبوق بـ "بلن" أو "قد" أو "ما" أو "السين" أو "سوف".

قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وسبب توجيه هذه الآية هو أنَّ الشيعة الاثني عشرية توجب الإفطار في السفر على المسافر وتعتبر صيامه غير صحيح، وفي مستند العروة الوثقى للخوائي يقول: "يُشترط في الصيام الحضر؛ فلا يجب على المسافر الذي يجب عليه قصر الصلاة، والمدار في تقصير الصوم على تقصير الصلاة فكل سفر يوجب قصر الصلاة يوجب قصر الصوم وبالعكس."<sup>(٢)</sup>

ويقول الطبرسي: "﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ عطف قوله على سفر وهو ظرف على قوله ﴿مَّرِيضًا﴾ وهو اسم مع أنَّ الظرف لا يُعطَف على الاسم لأنه وإنَّ كان ظرفاً فهو بمعنى الاسم وتقديره فمن كان منكم مريضاً أو مسافراً فالذي ينوب مناب صومه عدة من أيامٍ أُخَرَ، وفيه دلالة على أنَّ المسافر والمريض يجب عليهما الإفطار؛ لأنه سبحانه أوجب القضاء بنفس السفر والمرض ومن قَدَّر في الآية فأفطر فقد خالف الظاهر."<sup>(٣)</sup>

ثم ذكر الطبرسي عدداً من الأدلة اعتمد فيها على النقل في إثبات جوب الإفطار.

ويقول الرازي: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾ إلى قوله: ﴿أُخَرَ﴾ فيه معنى الشرط والجزاء؛ أي من يكن منكم مريضاً أو مسافراً فأفطر فليقض، وإذا قدرت فيه معنى الشرط كان المراد بقوله كان الاستقبال لا الماضي، كما تقول: من أتاني أتيته."<sup>(٤)</sup> ثم ذكر الرازي قول من أوجب الفطر على المريض والمسافر يقول: "ذهب قوم من علماء الصحابة إلى أنه يجب على المريض

(١) البقرة، الآية: ١٨٤

(٢) مستند العروة الوثقى - كتاب الصوم - محاضرات الخوئي - الشيخ مرتضى الروجردى - مرتضى الروجردى الناشر:

لطفی - المطبعة: العلمية - قم ١٣٦٤ هـ - الجزء الثاني ص ١٥

(٣) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثاني ص ٨

(٤) مفاتيح الغيب للرازي الجزء الخامس ٢٤٣

والمسافر أن يفطرا ويصوما عدة من أيام أخر، وهو قول ابن عباس وابن عمر، وذهب أكثر الفقهاء إلى أن الإفطار رخصة؛ فإن شاء أفطر وإن شاء صام.<sup>(١)</sup>

وذكر حجة الفريقين وسأنقل الحجج اللغوية فقط التي ذكرها الرازي يقول الرازي: "وحجة الأولين" يقصد من قال بوجوب الإفطار "من القرآن فمن وجهين؛ الأول: أنا إن قرأنا ﴿عِدَّةَ﴾ بالنصب كان التقدير: فليصم عدة من أيام أخر وهذا للإيجاب، ولو أنا قرأنا بالرفع كان التقدير: فعليه عدة من أيام، وكلمة ﴿عَلَى﴾ للوجوب فثبت أن ظاهر القرآن يقتضي إيجاب صوم أيام أخر، فوجب أن يكون فطر هذه الأيام واجبا ضرورة أنه لا قائل بالجمع.

الحجة الثانية: أنه تعالى أعاد فيما بعد ذلك هذه الآية، ثم قال عقيها ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، أما حجة الجمهور: فهي أن في الآية إضمارا؛ لأن التقدير: فأفطر فعدة من أيام أخر، وتام تقرير هذا الكلام أن الإضمار في كلام الله جائز في الجملة، وقد دل الدليل على وقوعه ههنا.<sup>(٢)</sup>

وهذا التوجيه نفسه الذي وجهه القرطبي للآية يقول: "﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ﴾ في الكلام حذف؛ أي من يكن منكم مريضا أو مسافرا فأفطر فليقض."<sup>(٣)</sup>

وأقول: إن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يستدل بها مجردة على أن الإفطار واجب في حال المرض والصيام، من دون تأويل (بأفطر) أو غير ذلك كما فعل الرازي، وهذا حال القسم الأول وهو من كان مريضا أو مسافرا، وكان هناك مشقة شديدة تمنع الصيام، إلا أن الآية ذكرت بعد ذلك الفئة الثانية وهي الفئة التي تطيق الصيام في قوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ﴾، وعطف هذه الفئة على الفئة السابقة، والفئة الأولى يبين أن حكم الصيام جاء مفصلا إلى ثلاثة أحكام: أولها من شهد الشهر فصامه من غير ضرر، والثاني من كان مريضا أو على سفر فيه مشقة شديدة لا يستطيع الصوم معها، والثالث من كان يستطيع الصوم ولكن مع مشقة غير شديدة، وهو ما يفهم من قوله تعالى ﴿يَطِيقُونَهُ﴾.

(١) مفاتيح الغيب للرازي الجزء الخامس ٢٣١

(٢) مفاتيح الغيب للرازي الجزء الخامس ٢٤٥

(٣) تفسير القرطبي الجزء الثاني ص ٢٧٦

وبيان ذلك أنَّ الطوق لغة: الطاء والواو والقاف.... فكلُّ ما استدار بشيء فهو طوق. وسمِّي البناءُ طاقًا لاستدارته إذا عُقِدَ. والطَّيْلَسَان طاقٌ، لأنَّه يدور على لابسِه. فأما قولهم أطاق هذا الأمرَ إطاقَةً، وهو في طَوْقه، وطَوَّقْتُكَ الشَّيْءَ، إذا كَلَّفْتُكَه فكلُّه من الباب وقياسِه؛ لأنَّه إذا أطاقَه فكأنَّه قد أحاط به ودار به من جوانبه<sup>(١)</sup>، وفي لسان العرب: الطَّوْقُ والإِطاقَةُ: القدرة على الشيء. والطَّوْقُ الطَّاقَةُ<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن جني: "أما عين الطاقة —(واو) كقولهم: لا طاقة لي به ولا طوق لي به، وعليه قراءة ﴿يطوقونه﴾ فهو يفعلونه فهو كقولك: يجشمونه. أي يكلفونه." <sup>(٣)</sup>

فالطوق يكون معه شيء من المشقة، فمن استطاع الصوم مع شيء من المشقة ولم يصم فيلزمه الكفارة، ويؤيده القراءة المروية عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد ﴿يطوقونه﴾.

وقد اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ على ثلاثة أقوال: أولها - وهو ما عليه أكثر المفسرين - أنَّ المراد المقيم الصحيح فخيرَه الله تعالى أولاً بين هذين، ثم نسخ ذلك وأوجب الصوم عليه مضيقاً معيناً<sup>(٤)</sup>، ولا أُويد هذا القول فالتقسيم في الآية واضح.

أما القولان الآخران؛ فأولهما أنَّ هذا راجع إلى المسافر والمريض، يقول الرازي: "وذلك لأنَّ المسافر والمريض قد يكون منهما من لا يطيق الصوم ومنهما من يطيق الصوم، وأما القسم الأول: فقد ذكر الله حكمه في قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

وأما القسم الثاني: وهو المسافر والمريض اللذان يطيقان الصوم، فإليهما الإشارة بقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ فكأنه تعالى أثبت للمريض وللمسافر حالتين في إحداهما يلزمه أن

(١) مقاييس اللغة لابن فارس الجزء الثالث ٤٣٣

(٢) لسان العرب الجزء العاشر ص ٢٣١

(٣) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها- لابن جني- الجزء الأول ص ١١٨

(٤) انظر تفسير الرازي والقرطبي وابن كثير موضع الآية

يفطر وعليه القضاء وهي حال الجهد الشديد والثانية: أن يكون مطيقاً للصوم ولا يثقل عليه فحينئذ يكون مخيراً بين أن يصوم وبين أن يفطر مع الفدية.<sup>(١)</sup>

وثالث هذه الأقوال هو أن المقصود الحامل، والمرضع، والشيخ الكبير.

ورجح الرازي أن يكون عائداً إلى المسافر والمريض الذين يطيقان الصوم، ومن الجائز أن تشمل الآية كل من يطيق الصوم وأفطر بما حوته كلمة ﴿يطيقونه﴾ من تجشم وعناء، فعليه كفارة كالمريض والمسافر والشيخ والحامل والمرضع، وهو ما لا يتعارض مع النص؛ فالنص شامل كل من يطيقه، فالشيخ والحامل والمرضع في حكم المريض.

ويؤيد ما قلته قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فالصيام خير في المرض والسفر لمن يطيقه، ولا أؤيد الرازي في قوله: "أن هذا خطاب - يقصد في قوله تصوموا - مع كل من تقدم ذكرهم، أعني المريض والمسافر والذين يطيقونه."<sup>(٢)</sup>، لأن قوله سبحانه وتعالى ﴿خير﴾ تفيد التفضيل والصيام فرض وواجب، كما إن الصيام في حال الضرر يحرم، لما فيه من جلب الضرر على نفسه، وقد قالتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾<sup>(٤)</sup>، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا ضرر ولا ضرار» أخرجه ابن ماجه، والحاكم.<sup>(٥)</sup>

### النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) مفاتيح الغيب للرازي مفاتيح الغيب ٢٤٧

(٢) المصدر السابق

(٣) النساء، الآية: ٢٩

(٤) البقرة، الآية: ١٥٩

(٥) سنن ابن ماجه - ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد الفزوي، وماجة اسم أبيه يزيد (٢٧٣هـ) - تحقيق: محمد فؤاد عبد

الباقيالناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي الجزء الثاني ص ٧٨٥ حديث ٢٣٤١

(٦) يونس، الآية: ٩٩

والشيعة الاثنا عشرية تعتقد بأن صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثابتة وهي صفاتالذات، ومحدثة وهي صفات الأفعال كالمشيئة والصنع والتكلم<sup>(١)</sup> وحقيقة قولهم في هذا: أن ليس لله تعالى علم، ولا قدرة، ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر، وأنه لم يكن في الأزل كلام، ولا إرادة. يقول القاضي عبدالجبار: "وقال شيخنا أبو علي، وأبو هاشم - رحمهما الله - ومن تبعهما: إنه تعالى مريد في الحقيقة، وإنه يحصل مريدًا بعد ما لم يكن إذا فعل الإرادة، وإنه يريد بإرادة محدثة، ولا يصح أن يريد لنفسه ولا بإرادة قديمة، وإن إرادته توجد لا في محل."<sup>(٢)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿ولو شاء ربك﴾ يا محمد ﴿لآمن من في الأرض﴾... وفي هذا أيضًا دلالة عليّ بطلان قول المجبرة أنه تعالى لم يزل كان شائئًا ولأنه لا يوصف بالقدرة على أن يشاء لأنه تعالى أخبر أنه لو شاء لقدر لكنه لم يشأ فلذلك لم يوجد ولو كانت مشيئة أزلية لم يصح تعليقها بالشرط فصَحَّ أن مشيئته فعلية؛ ألا ترى أنه لا يصح أن يقال: لو علم سبحانه ولو قدر كما صحَّ أن يقال لو شاء ولو أراد."<sup>(٣)</sup>

وقد نقل الطبرسي قوله نقلًا<sup>(٤)</sup> عن شيخه الطوسي، وهذا الاشتراط الذي اشترطه الطبرسي لفعل الشرط من كونه حادثًا لا أدري على أيّ أساس افترضه، وليس في أفعال الشرط إلّا أن يكون الفعلان ماضيين أو مضارعين أو أحدهما ماضيًا والثاني مضارعًا<sup>(٥)</sup>، والأفعال كلها قديمها وحديثه محدثة إلا أفعال الله، ولا أدري ما وجه هذا الاستشهاد؟!

وبالرد على كلام الطبرسي أقول: إن الله عزَّ وجل قال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾<sup>(٦)</sup>، وعلم الله من صفات الذات عند الشيعة وليست من صفات الأفعال، ومع هذا فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿لو علم الله...﴾ فما قولهم في هذا؟

(١) عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد للورداني-ص ٧٨

(٢) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف - موقع الدرر السنية

على الإنترنت -الجزء الثالث ٤٢١

(٣) مجمع البيان للطبرسي الجزء الخامس ١٨٧

(٤) التبيان الجامع في تفسير القرآن للطوسي - الجزء الخامس ص ٤٢٥

(٥) المفصل في صنعة الإعراب -الزمخشري -ص ٤٣٩

(٦) الأنفال، الآية: ٢٣

## ٢-٢-٢-٢ الأمر الثاني التعجب

والتعجب: "إفراط التعظيم لصِفة المتعجب منه"، و"تغيير يلحق النفس لما خفي فيه السبب ممّا لم تجر به العادة"، و"استعظام فعل فاعل ظاهر المزية فيه"<sup>(١)</sup>، وقول ابن عصفور: "استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها، وخرَج بها المتعجبُ منه عن أمثاله أو قلّ نظيرُه فيها"<sup>(٢)</sup>، وللتعجب صيغتان: ﴿ما أفعله!﴾ و﴿أفعل به!﴾.

### ومن النماذج التي وجهها الطبرسي في هذا الأمر

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وسبب توجيه هذه الآية هو اعتقاد أهل السنة والشيعة أنّ التعجب لا يليق بالذات الإلهية؛ ولذلك فقد وُجهت هذه الآية عند الجميع.

يقول الطبرسي: "وقوله: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾... ظاهر الكلام التعجب، والتعجب لا يجوز على القديم سبحانه لأنه عالم بجميع الأشياء لا يخفى عليه شيء، والتعجب إنما يكون مما لا يُعرف سببه، وإذا ثبت ذلك فالغرض أن يدلّنا على الكفار حلّوا محل من يُتعجب منه فهو تعجب لنا منهم."<sup>(٤)</sup>

وقد ذكر النحويون توجيهات عديدة لهذه الآية جمع معظمها المصون الحلبي يقول: "في (ما)<sup>(٥)</sup> هذه خمسة أقوال؛ أحدها: - وهو قولُ سيبويه والجمهور - أنها نكرةٌ تامةٌ غيرُ موصولةٍ ولا موصوفةٍ، وأنَّ معناها التعجب، فإذا قلت: ما أحسنَ زيداً، فمعناه: شيءٌ صيّرَ زيداً حسناً. والثاني: - وإليه ذهب الفراء - أنَّها استفهاميةٌ صَحِبها معنى التعجب، نحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾

(١) صيغ العربية وأوزانها - عبدالحليم عبدالباسط - القاهرة ١٩٧٩ - ص ١٢٨

(٢) انظر "أوضح المسالك - الجزء الثالث ص ٢٥٠

(٣) البقرة، الآية: ١٧٥

(٤) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الأول ص ٣٦١

(٥) ما الأسمية لها سبعة أقسام: موصولة، وشرطية، واستفهامية ونكرة موصوفة. ونكرة غير موصوفة، صفة، معرفة تامة. (انظر

الجنى الداني في حروف المعاني - الجزء الأول ٣٤١)



[البقرة: ٢٨]. والثالث: - ويُعزَى للأخفش - أنها موصولة. والرابع: - ويُعزَى له أيضاً - أنها نكرة موصوفة... والمراد بالتعجب هنا وفي سائر القرآن الإعلامُ بحالهم أنها ينبغي أن يُتعجب منها، وإلا فالتعجبُ مستحيلٌ في حقه تعالى. ومعنى "على النار" [أي] على عمل أهل النار، وهذا من مجاز الكلام. والخامس: أنها نافية، أي: فما أصبرهم الله على النار، نقله أبو البقاء وليس بشيء.<sup>(١)</sup>

وسواء كانت ﴿ما﴾ نكرة تامة غير موصولة ولا موصوفة على رأي الجمهور، أو كانت استفهامية فيها معنى التعجب على رأي الكسائي والفراء واستحسنه المبرد، فالتعجب - والله أعلم - تعجب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة .

وفي ختام هذا الفصل أنه إلى أن هذا الفصل اختص بالنصوص المتعلقة بالمستوى النحوي للغة، واشتمل على مبحثين نحويين: يتعلق أولها بالوحدات النحوية الإفرادية، ويندرج تحته عددٌ من المطالب، يتعلق أولها بالمرفوعات والمنصوبات والمجرورات، وثانيها بعود الضمير، أما ثالثها فيتعلق بمعاني الحروف.

أما المبحث الثاني فيتعلق بالوحدات النحوية التركيبية، ويتضمن مطلبين: أولهما للوحدات النحوية الإنشائية، والثاني للوحدات النحوية الخبرية.

## الفصل الثالث:

التوجيه الدلالي للنص القرآني عند

الشيعة الاثني عشرية

<sup>(١)</sup> الدر المصون - الجز

### ٣- تمهيد

يُختصُّ هذا الفصلُ بالنصوص المتعلقة بالمستوى الدلالي للغة، وهو المستوى الرابع من مستوياتها. والمستوى الدلالي هو المستوى الذي يهتم بالمعاني اللغوية؛ سواءً كانت هذه المعاني معاني معجمية، أو غُيِّرَت عن دلالتها المعجمية. ويبحث في أسباب هذا التغير، ومظاهره، ودراسة العلاقات الدلالية بين الألفاظ.

فالتغير الدلالي ظاهرةٌ طبيعيةٌ، قد تنتقل فيه الدلالة من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وقد تتخلف الدلالة الأساسية للكلمة فاسحةً مكانها لدلالة سياقية أو لقيمة تعبيرية أو أسلوبية؛ وبذلك تغدو الكلمة ذات مفهوم أساسيٍّ جديد، وقد تنتقل الكلمة من الدلالة الحسية إلى

الدلالة التجريدية، ثم قد تندثر الدلالة الحسية فاسحةً مجالها للدلالة التجريدية، وقد تُخصَّص الدلالة، بمعنى تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي، أو يضيق مجال استعمالها، أو تُعمم الدلالة فيصبح عددُ استعمالات الكلمة كثيراً، ويصبح مجال استعمالها أوسع. وقد تتردد الكلمة بين الرقي والانحطاط في دلالتها الاجتماعية.

ويندرج تحت هذا الفصل عددٌ من المباحث الدلالية؛ حيث خُصَّص المبحث الأول للدلالة المعجمية، والثاني للدلالات المخصصة، والثالث للدلالة المجازية، والرابع للدلالة بالزيادة، وأُلفت ملحقاتٌ تحدثت فيه حديثاً موجزاً عن الدلالة الباطنية.

### ٣-١ المبحث الأول: الدلالة المعجمية

المعنى المعجمي الإفرادي: هو مدلول التركيب الأول للفظ، أو هو مُحصلة علاقات الكلمة بالكلمات الأخرى في المجال الدلالي نفسه<sup>(١)</sup>، وهذه الدلالة هي الدلالة الوضعية التي تُمثل الحقيقة اللغوية عند الأصوليين<sup>(٢)</sup>.

والأصل اللغوي لا يُعدّل عنه إلا بدليل، فلا نَحْمِل اللفظَ على حقيقة أخرى، إلا إذا جاء في اللسان الثاني ما يدل على هذا الحمل، والأصل هو الحقيقة اللغوية، وهو "اللفظ المستعمل فيما وُضع له لغةً"<sup>(٣)</sup>.

"والكلمة في المعجم لا تُفهم إلا منعزلةً عن السياق"<sup>(٤)</sup>، وهذا هو المقصود بوصف الكلمات في المعجم بأنها مفردات، على حين لا توصف بهذا وهي في النص<sup>(٥)</sup>.

(١) علم الدلالة: أحمد مختار عمر، دار العروبة، الكويت، ١٩٨٢م، ص ١٤.

(٢) شرح الأصول من علم الأصول، محمد بن صالح العثيمين-دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع-الرياض- ١٤٣٠ -ص ٢٥

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٠.

(٤) لا شك أن المعجم أساساً موضوعٌ للكشف عن معنى الكلمات، وللکلمة في المعجم معنيان: معنى في ذاتها، ومعنى عندما تتركب مع غيرها من كلمات، فالکلمة في المعجم لها معنى شائع عام، ولكنها عندما تتركب مع غيرها تكتسب معنى محدداً ذا دلالة واحدة، وإذا لم يكن للكلمة معنى في ذاتها، فلن يفيد تركيبها مع غيرها في الكشف عن الدلالة؛ "دراسات في الدلالة

والمعجم"، رجب إبراهيم، ص ١٩

(٥) "اللغة العربية معناها ومبناها"؛ تمام حسان، ص ٣٢٣

غَيْرَ أَنَّ اللفظ وَحْدَهُ لَا يَتَصَوَّرُ أَنَّ يَقومُ البَحثُ فيه من حيث إنه لفظ؛ وإِنَّمَا يدور البَحثُ فيه من حيث دلالتُه، ولا يَتَصَوَّرُ كخاطر، بل من حيث هيئته التي يُمثَلُها في التركيب.

فمعنى اللفظ يَتَحَدَّدُ بالسياق المتواضع عليه حال التركيب مع غيره، والسياق أهمُّ عامل لضبط المعنى، وتَحديد الحقل الدلالي لكل لفظ، وتكوين المصطلح الجامع لجملة من الأفكار المختزلة به، التي تُستَحصَرُ كُلُّها دفعة واحدة حال دخوله في الجملة.

### ومن النماذج التي وجهها الطبرسي استنادًا إلى هذا المبحث:

#### ٣-١-١ النموذج الأول: كلمة (تدرك)

قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup>

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أَنَّ رؤية الله غير ممكنة موافقين للمعتزلة في عقيدتهم، وفي بحار الأنوار يقول: "سئل الصادق (عليه السلام): هل يُرى الله في المعاد؟ قال (عليه السلام): سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، إِنَّ الْأَبْصَارَ لَا تَدْرِكُ إِلَّا مَا لَهُ لَوْنٌ وَكَيْفِيَّةٌ، وَاللهُ خَالِقُ الْأَلْوَانِ وَالْكَيفِيَّةِ." <sup>(٢)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: لَا تَرَاهُ الْعْيُونُ؛ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ مَتَى قُرْنٌ بِالْبَصَرِ لَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ إِلَّا الرُّؤْيَا كَمَا أَنَّهُ إِذَا قُرْنٌ بِآلَةِ السَّمْعِ فَقِيلَ أَدْرَكْتُ بِأُذُنِي لَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ إِلَّا السَّمَاعُ، وَكَذَلِكَ إِذَا أُضِيفَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْحَوَاسِ أَفَادَ مَا تِلْكَ الْحَاسَةُ آلَةٌ فِيهِ، فَقَوْلُهُمْ أَدْرَكَتْهُ بِمَعْنَاهُ وَجَدْتُ طَعْمَهُ، وَأَدْرَكَتْهُ بِأَنْفِي مَعْنَاهُ وَجَدْتُ رَائِحَتَهُ." <sup>(٣)</sup>

معنى كلمة الإدراك: الدال والراء والكاف أصل واحد، وهو لُحُوق الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وَوُصُولُهُ إِلَيْهِ. يُقَالُ أَدْرَكْتُ \*الشَّيْءَ أَدْرَكُهُ إِدْرَاكًا. <sup>(٤)</sup>

(١) الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي الجزء الرابع ص ٣١ طبعة إحياء التراث.

(٣) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الرابع ص ٩٦ - ٩٧

(٤) مقاييس اللغة - الجزء الثاني ٢٦٩

أمّا بالنسبة للتفسير؛ فقد أُوتت هذه الآية تأويلاتٍ عديدة، منها: أنه لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها. ومنها لا تراه الأبصار وهو يرى الأبصار. ومنها لا تدركه أبصار الخلائق في الدنيا، وأمّا في الآخرة فإنها تدركه. ومنها أن لفظ ﴿الْأَبْصَارِ﴾ صيغة جمع دخل عليها الألف واللام فهي تفيد الاستغراق فقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يفيد أنه لا يراه جميع الأبصار. ومنها ولن يدرك الله بصر أحد في الدنيا والآخرة ولكن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس فيرونه بها.<sup>(١)</sup> وهناك تأويلات أخرى استدلت على أدلة عقلية أو عقلية.

وفي رأيي: ليست الآية موضعاً لنقاش رؤيا الله عز وجل، وإن كانت الرؤيا متحققة يوم القيامة لأهل الجنة<sup>(٢)</sup>، إلّا أن هذا لا يعني أن الأبصار تدرك الله عز وجل بمعنى اللحوق والوصول إلى الشيء، فلا تستطيع الأبصار متابعته، وهو سبحانه يدرك الأبصار، ويتابعها على كثرتها، لما تدل عليه كلمة ﴿الْأَبْصَارِ﴾ من جمع و(ال) التعريف التي تفيد الاستغراق، ولذلك قال عز وجل في ختام الآية: ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ اللطيف بخلقه بعدم قدرتهم على إدراكه بأبصارهم، الخبير بهم فهو سبحانه يدرك كل أبصارهم.<sup>(٣)</sup>

<sup>(١)</sup> انظر تفسير الطبري الجزء ٢٠ ص ١٧٠ وما بعدها، والقرطبي الجزء السابع ص ٥٤ وما بعدها، وفصل الرازي الأقوال كلها في تفسيره مفاتيح الغيب الجزء ١٣ ص ٩٧ وما بعدها.

<sup>(٢)</sup> كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُوسًا فَنَظَرُ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْلَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ فَقَالَ إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا. ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ وَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا (سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (٢٧٥هـ) - المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد - العصرية، صيدا - بيروت - الجزء الرابع ص ٢٣٣)

<sup>(٣)</sup> احتج المعتزلة في الآية ٢٣ من سور القيامة (إلى رها ناظرة) بأن النظر لا يتعدى تغليب الحديقة، وأن نظر العين مقدمة، وبعد تقديم دليل من الرازي على قوله من أن النظر هو الرؤيا في قوله تعالى على لسان سيدنا موسى: (أرني أنظر اليك) وقد أوضحت سابقاً أن النظر جزء من شقي الرؤيا يقول الرازي: سلمنا أن النظر عبارة عن تغليب الحديقة نحو المرئي التماساً لرؤيته، لكننا نقول: لما تعذر حمله على حقيقته وجب حمله على مسببه وهو الرؤية، إطلاقاً لاسم السبب على المسبب، وحمله على الرؤية أولى من حمله على الانتظار، ولا أدري لماذا سلم للمعتزلة بهذا الرأي في هذه الآية، ولم يأخذ حجة في الآية التي بين يدينا، والتي تحدثت عن الإبصار لا الرؤيا ولا النظر، فالله عز وجل نفى لحوق الإبصار به سبحانه ووصوله إليه بما عرفناه من أن الإبصار يشمل النظر الذي يساوي الرؤيا في العين ويزيد عليها بالإدراك.

كما إنه ليس في نظم الآية ما يدل على أن الزمن يشمل المستقبل، بل إن قوله عز وجل ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ بما فيه من تنبيه للناس؛ فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ما يرجح أن الزمن هو الحياة الدنيا لا الآخرة.

### ٣-١-٢ النموذج الثاني: كلمة نظر

قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>(١)</sup>

وهذه الآية تتعلق بالرؤيا، كما في الآية السابقة، وقد ناقشت هذه الآية في المبحث الخاص بالمرفوعات والمنصوبات والمجرورات في حذف المضاف<sup>(٢)</sup>، وناقشتها في المبحث الخاص بالتعدي والازم؛ وذلك تبعاً للتوجيهات التي وجهها الطبرسي لهذه الآية<sup>(٣)</sup>.

يقول الطبرسي: "إنَّ النظرَ لا يفيد الرؤية في اللغة؛ فإنه إذا علق بالعين أفاد طلب الرؤية، كما إنه إذا علق بالقلب أفاد طلب المعرفة؛ بدلالة قولهم نظرتُ إلى الهلال فلم أراه، فلو أفاد النظر الرؤية لكان هذا القول ساقطاً متناقضاً وقولهم ما زلتُ أنظر إليه حتى رأيته، والشيء لا يُجعل غاية لنفسه فلا يقال ما زلت أراه حتى رأيته، ولأننا نعلم الناظر بالضرورة ولا نعلمه رأياً بالضرورة بدلالة إنا نسأله هل رأيت أم لا".<sup>(٤)</sup>

والنظر لغة: النون والطاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأملُ الشيءِ ومعاينته، ثم يُستعار ويُتَّسع فيه. فيقال: نظرتُ إلى الشيءِ أنظر إليه، إذا عاينته<sup>(٥)</sup>. وفي لسان العرب: النظر حسُّ العين<sup>(٦)</sup>. وفي البحر المحيط النظر لغة الانتظار، وتقليب الحدقة نحو المرئي<sup>(٧)</sup>.

(١) القيامة، الآية ٢٣

(٢) انظر ص ٥٦

(٣) انظر ص ٢٣٥

(٤) مجمع البيان للطبرسي الجزء العاشر ١٥٢.

(٥) مقاييس اللغة - الجزء الخامس ص ٤٤٤

(٦) لسان العرب - الجزء الخامس ص ٢١٥

(٧) البحر المحيط بدر الدين بن محمد بهادر الزركشي - دار الكتيبي سنة النشر: ١٤١٤م - الطبعة الأولى - الجزء الأول ص ٦١

وفي الرد على هذا الادعاء يقول الرازي: "فلو كان النظر عبارة عن تقليب الحدقة إلى جانب المرئي، لاقتضت الآية أن موسى عليه السلام أثبت لله تعالى وجهةً ومكاناً وذلك محال<sup>(١)</sup>".

ويقول: أنه جعل النظرَ أمراً مرتباً على الإرادة فيكون النظرُ متأخراً عن الإرادة، وتقليب الحدقة غير متأخر عن الإرادة، فوجب أن يكون النظر عبارة عن تقليب الحدقة إلى جانب المرئي<sup>(٢)</sup>.

ويتبع الرازي فيقول: (سَلَّمْنَا أَنَّ النظر عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته، لكننا نقول: لما تعذرَّ حملُه على حقيقته وجبَ حملُه على مسببه وهو الرؤية؛ إطلاقاً لاسم السبب على المسبب، وحمله على الرؤية أولى من حمله على الانتظار؛ لأنَّ تقليب الحدقة كالسبب للرؤية ولا تعلق بينه وبين الانتظار، فكان حملُه على الرؤية أولى من حمله على الانتظار<sup>(٣)</sup>.

وأقول: لم تذكر المعاجم وكتب اللغة أن النظر لا يحمل معنى الرؤيا، بل إنَّ عدم اشتماله على الرؤيا واستثنائها منه يحتاجُ إلى بيان، كما في مثال الطبرسي (نظرت إلى الهلال فلم أَره) فنفي إدراك الهلال وأبقى على طلب رؤيته أو إدراكه؛ فالنظر يشتمل على طلب الرؤيا وحدوثها إلا إذا استثنينا حدوثها، أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُنْصِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. فبين سبحانه وتعالى أنَّ نظرهم من غير إِبصار، أمّا إذا ذكر النظر وحده فإنه يستدل به على حصول الرؤيا.

ومما يؤكد أنَّ النظر المقصود بالآية الرؤيا قوله تعالى ﴿ناظرة﴾ بصيغة اسم الفاعل، واسم الفاعل يدل على وصف من فعل الفعل على وجه الثبوت<sup>(٥)</sup>، فلو كانت تطلب الرؤيا ولم تتم لما اتصفت بها على وجه الثبوت بأنَّ يقال ناظرة.

(١) مفاتيح الغيب للرازي الجزء ٣٠ ص ٧٣٢

<sup>٢</sup> المصدر السابق

<sup>٣</sup> المصدر السابق

(٤) الأعراف، آية: ١٩٨

(٥) رسالة في اسم الفاعل - أحمد بن قاسم الصباغ العبادي ثم المصري الشافعي الأزهري، شهاب الدين (المتوفى:

٩٩٢هـ) المحقق: الدكتور محمد حسن عواد - دار الفرقان - عمان للطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ص ٧١

أَمَّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنُتَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>

يقول الطبرسي: "إنَّ موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية بالبصر، ولكن سأل أن يعلمه نفسه ضرورة بإظهار بعض أعلام الآخرة التي تضطره إلى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك....."<sup>(٢)</sup>

والردُّ على هذا: أنَّ موسى عليه السلام حدَّد الرؤيا التي أرادها بالنظر، فالرؤيا بالعين تتعدَّى إلى مفعول واحد، ومعنى العلم تتعدَّى إلى مفعولين؛ يقال: (رأى زيدٌ عالماً) ورأى رأياً ورؤيةً ورأعةً مثل راعة. وقال ابن سيده: الرؤية النَّظَرُ بالعين والقلب<sup>(٣)</sup>، فإن كانت الرؤيا قد تحمل معنى الرؤيا القلبية إذا عدت لمفعولين؛ فالنظر لا يحمل هذا المعنى.

### ٣-١-٣ النموذج الثالث: استوى

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

وهذا النص يتعلق بالتجسيد، وقد ناقشتُ هذه الآية في عدة الفاعل<sup>(٥)</sup>.

(١) الأعراف، آية : ١٤٣

(٢) مجمع البيان للطبرسي الجزء الرابع ص ٢٥٩

(٣) لسان العرب - الجزء ٤ ص ٢٩١

(٤) الأعراف، آية ٥٤

(٥) ص ٤٣



يقول الطبرسي: "...وقيل معناه ثم استوى عليه بأن رفعه عن الجبائي. وقيل: معناه ثم قصد إلى خلق العرش عن الفراء وجماعة واختاره القاضي، قال دلّ بقوله ثم إنّ خلق العرش كان بعد خلق السماء. والأرض، وروي عن مالك بن أنس أنه قال الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة والسؤال عنه بدعة، وروي عن أبي حنيفة أنه قال أمرّوه كما جاء أي لا تفسروه." (١)

وفي لسان العرب: قال أحمد بن يحيى في قوله عز وجل: الرحمن على العرش استوى؛ قال الاستواء الإقبال على الشيء، وقال الأخفش: استوى أي علا، تقول: استويت فوق الدابة وعلى ظهر البيت أي علوته، واستوى على ظهر دابته أي استقرّ.

وقال الزجاج في قوله تعالى: "ثم استوى إلى السماء؛ عمدًا وقصد إلى السماء، كما تقول: فرغ الأمير من بلد كذا وكذا ثم استوى إلى بلد كذا وكذا، معناه قصد بالاستواء إليه. قال داود بن عليّ الأصبهاني: كنت عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: ما معنى قول الله عز وجل ﴿الرحمن على العرش استوى﴾؟ فقال ابن الأعرابي: هو على عرشه كما أخبر، فقال: يا أبا عبد الله إنما معناه استوى، فقال ابن الأعرابي: ما يدريك؟ فقال: العرب لا تقول استوى على الشيء حتى يكون له مُضادٌّ فأيهما غلب فقد استوى؛ أمّا سمعت قول النابغة: إِلَّا لِمِثْلِكَ، أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبَقَ الْجَوَادِ، إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمْدِ؟ وسئل مالك بن أنس: ﴿استوى﴾ كيف استوى؟ فقال: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة." (٢)

والاستواء يأتي بمعنى القصد كما ذكرت المعاجم، ولكن يستعمل مع إلى (٣) يقال: استويت إلى هذا الأمر، أي قصدته. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (٤) أي قصدتها، ولا يقال: استوى عليه بمعنى قصده، ولو كان الاستواء على العرش بمعنى الاستواء إلى العرش

(١) مجمع البيان للطبرسي، الجزء الرابع، ص ٢٠٢.

(٢) لسان العرب الجزء ١٤ - ص ٤١٤

(٣) لم أجد من ذكر من معاني على أنها تأتي بمعنى إلى، وقد راجعت كتاب معاني الحروف للرماني والزجاج، وحروف المعاني

بين الأصالة والحداثة لحسن عباس منشورات اتحاد الكتاب العربي دمشق ٢٠٠٠

(٤) فصلت، آية: ١١

لقال تعالى: إلى العرش استوى، والأفضل هو القول بما قال به ابن مالك رحمه الله من أن الاستواء معلوم والكيفية مجهولة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

### ٣-١-٤ النموذج الرابع: كلمة (يعلم)

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

ويرجع توجيه هذه الآية إلى أن علم الله قديم، وقوله سبحانه وتعالى وليعلم يوحى بظاهره إلى أن علمه حديث.

والصفات عند الشيعة الاثني عشرية تنقسم إلى صفات ذات لا تنفصل عن الله؛ فصفاته هي ذاته، وصفات أفعال والعلم من صفات الذات، يقول الصدوق: "قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: كل ما وصفنا الله تعالى به من صفات ذاته فإنما نريد بكل صفة منها نفي ضدها عنه تعالى، ونقول: لم يزل الله تعالى سميعاً بصيراً عليماً حكيماً قادراً عزيزاً حياً قيوماً واحداً قديماً، وهذه صفات ذاته، ولا نقول: إنه تعالى لم يزل خلاقاً فاعلاً شائياً مريداً راضياً ساحطاً رازقاً وهاباً متكلماً؛ لأن هذه صفات أفعاله، وهي محدثة. لا يجوز أن يقال: لم يزل الله تعالى موصوفاً بها." <sup>(٢)</sup>

ويقول الطبرسي: "﴿وليعلم﴾ الله ﴿المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ معناه وليميز المؤمنين من المنافقين؛ لأن الله عالم بالأشياء قبل كونها؛ فلا يجوز أن يعلم عند ذلك ما لم يكن عالماً به إلا أن الله أجرى على المعلوم لفظ العلم مجازاً، أي ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق." <sup>(٣)</sup>

والعلم نقيض الجهل<sup>(٤)</sup>، وعلمت الشيء أعلمه علماً: عرفته.<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> آل عمران، آية ١٦٧

<sup>(٢)</sup> تصحيح اعتقادات الإمامية للمفيد ص ٣٩.

<sup>(٣)</sup> مجمع البيان للطبرسي-الجزء الثاني ص ٣٥٠

<sup>(٤)</sup> لسان العرب -الجزء ١١ ص ١٢٩

ويقول الطبري: "﴿وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾. بمعنى: وليعلم الله المؤمنين، وليعلم الذين نافقوا، أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان بأحد؛ ليميز أهل الإيمان بالله ورسوله المؤمنين منكم من المنافقين فيعرفونهم، لا يخفى عليهم أمر الفريقين." (٢)، وبنحوه قال عدد من المفسرين كالزخشري والرازي والقرطبي. (٣)

وتأويل كلمة ﴿ليعلم﴾ بالتمييز أو الإظهار لم أجده في المعاجم، إضافةً إلى أنه لا يرفع الإشكالية، فلا يصح أن يكون الله سبحانه وتعالى غير مميز من قبل أو ليس ظاهراً له، وأعتقد أن الأمر عائد إلى أن الزمان عند الله سبحانه يختلف عن زماننا، فعلم الله سابق ولاحق، وربما أنه سبحانه جعل الآية بما يتناسب مع البشر، فالله عز وجل يكتب ما نقول ونفعل ويحاسبنا عليه بعد وقوعه، لا قبل ذلك مع علمه بها.

### ٣-٢-٥ النموذج الخامس: معنى (يعد)

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٤)

وسبب توجيه هذه الآية عند الكثير من المفسرين من أهل السنة والشيعة والمعتزلة، أن قوله سبحانه وتعالى: ﴿يعدهم في طغيانهم﴾ يدل على أن المسبب لطغيانهم هو الله سبحانه وتعالى، وهذا يتنافى مع العدل الإلهي عند المعتزلة ومن تبعهم من الشيعة، ولكن تجد أن هذه الآية وجهت أيضاً من قبل بعض مفسري أهل السنة كالطبري والقرطبي، مع أنهم في مواضع أخرى لم يخالفوا أهل السنة في توجيه الآيات الخاصة بالعدل الإلهي.

يقول الطبرسي: "﴿يعدهم في طغيانهم يعمَهُون﴾ ففيه وجهان؛ الأول: أنه يريد أن يعلي لهم ليؤمنوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمهم، والآخر: أنه يريد أن يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثواباً لهم ويمنعها الكافرين عقاباً لهم كشرح الصدر وتنوير القلب فهم

(١) الصحاح في اللغة الجزء الخامس ١٩٩٠

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن - الجزء ١٥ ص ٢٤١

(٣) انظر في تفاسيرهم في موضع الآية

(٤) البقرة، آية : ١٥

في طغيانهم أي كفرهم وضلالهم يعمهون، أي يتحiron لأنهم قد أعرضوا عن الحق فتحيروا وترددوا.<sup>(١)</sup>

وفي المقاييس: الميم والبدال أصل واحد يدل على جرّ شيء في طول، واتّصال شيء بشيء في استطالة. تقول: مدّدت الشيء أمدّه مدّا.<sup>(٢)</sup>

وفي اللسان المدّ: الجذب والمطلّ. مدّه يمدّه مدّا ومدّ به فامتدّ، وفلان يمدّ فلاناً أي يماطله ويُجاذبه والتمدّد كتمدّد السقاء، وكذلك كل شيء تبقى فيه سعة المدّ.

والمادّة: الزيادة المتصلة. ومدّه في غيّه أي أمهله وطوّله له، وقوله تعالى: ويمدّهم في طغيانهم يعمهون؛ معناه يمهّلهم. وقال يونس: ما كان من الخير فإنك تقول أمدّدته، وما كان من الشر فهو مدّدت. وأصله الزيادة.<sup>(٣)</sup>

وقال الفراء والحياني: مددت، فيما كانت زيادته من مثله، يقال: مدّ النهر النهر وفي التثنية: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧]. وأمددت، فيما كانت زيادته من غيره؛ كقولك: أمددت الجيش بمدد؛ ومنه: ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ [آل عمران: ١٢٥]. وأمدّ الجرح؛ لأن المدّة من غيره، أي صارت فيه مدّة. وحكي عن الأخفش: مددت له إذا تركته، وأمددته إذا أعطيته.<sup>(٤)</sup>

وهذه ثلاثة تفاسير مختلفة للفرق بين مد وأمد، تفسير يونس أن مد للشر وأمد للخير، ويعارضه قوله تعالى: ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ وتفسير الفراء أن مد لما كانت زيادته من مثله وأمد من غيره، ويعارضه قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ لأنّ البنين من جنس الممدود. وقول الأخفش أن مد بمعنى الترك وأمد بمعنى العطاء ويعارضه قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾.

(١) مجمع البيان للطبرسي-الجزء الأول ص ٦٩

(٢) مقاييس اللغة -الجزء الخامس ٢٩٦

(٣) لسان العرب - الجزء الثالث ٣٩٦

(٤) أنظر معاني القرآن للأخفش - ذكر رأيه والرأيين الآخرين -تحقيق هدى محمود قراءة-مكتبة الخانجي، القاهرة. الطبعة

الأولى -١٤١١ الجزء الأول ص ٥١

ويقول الزمخشري: ﴿وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ من مدّ الجيش وأمدّه إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره. وكذلك مدّ الداوة وأمدّها: زادها ما يصلحها. ومددت السرج والأرض: إذا استصلحتهما بالزيت والسماذ. ومدّه الشيطان في الغي وأمدّه: إذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه.<sup>(١)</sup>، وجعلها من المدد بمعنى الزيادة لا من مد بمعنى الإملاء والإهمال يقول: "فإن قلت: لم زعمت أنه من المدد دون المد في العمر والإملاء والإهمال؟ قلت: كفاك دليلاً على أنه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن: «ويعمدّهم»، وقراءة نافع: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٠٢] على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مدّ له مع اللام كأملى له.<sup>(٢)</sup>

ونقل عنه الرازي موافقاً له<sup>(٣)</sup>، وهو الصواب - والله أعلم - والمعنى أن الله يزيدهم في طغيانهم، مع أن المد بمعنى الإهمال هو اختيار ابن منظور في لسانه كما ذكرت، وهو تفسير عدد من المفسرين مثل ابن جرير، حيث يقول: "الصواب: نزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوهم وتمردهم."<sup>(٤)</sup>، واختيار القرطبي أيضاً يقول: قوله تعالى ﴿وَيَمْدُهُمْ﴾ أي يطيل لهم المدة ويمهلهم ويؤملي لهم؛ كما قال: ﴿إِنَّمَا نُمِّلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]<sup>(٥)</sup>.

ويؤيد هذا القول:

- ١- أن لو كان المد بمعنى الإهمال لجر باللام كما قال الزمخشري.
- ٢- عطف المد على الاستهزاء في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.
- ٣- حرف الجر ﴿فِي﴾ بما يحمل في معناه من الانغماس في الطغيان.

(١) الكشاف للزمخشري-الجزء الأول ص ٦٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -الجزء الأول ص ١٠٨

(٣) مفاتيح الغيب للرازي-الجزء الثاني -ص ٢١٣

(٤) تفسير الطبري-الجزء الأول ص ٣٢٠

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي-الجزء الأول ص ٢٠٩

أمّا التوجيه الثاني الذي ذكر الطبرسي قوله: "إنه يريد أن يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثواباً لهم ويمنعها الكافرين عقاباً لهم كشرح الصدر؛ فهو تأويل عقلي أكثر من أنه تأويل لغوي.

### ٣-١-٦ النموذج السادس: ختم

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ\* خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

ويرجع توجيه هذه الآية كما هي الآية السابقة لها إلى العدل الإلهي، الذي يتنافى في معتقدهم مع أن الله سبحانه وتعالى هو من ختم على قلوبهم.

يقول الطبرسي: "أحدها: أن المراد بالختم العلامة، وإذا انتهى الكافر من كفره إلى حالة يعلم الله تعالى أنه لا يؤمن فإنه يُعَلَّم على قلبه علامة. وقيل هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها أنه لا يؤمن بعدها فيذمون ويدعون عليه. كما إنه تعالى يكتب في قلب المؤمن الإيمان ويُعَلَّم عليه علامة تعلم الملائكة بها أنه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له، وكما طبع على قلب الكافر وختم عليه فوسمه بسمة تعرف بها الملائكة كفره؛ فكذاك وسم قلوب المؤمنين بسمات تعرفهم الملائكة بها. وقد تأول على مثل هذا مناولة الكتاب باليمين والشمال في أنها علامة أن المناول باليمين من أهل الجنة، والمناول بالشمال من أهل النار. وقوله تعالى ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾

[النساء: ١٥٥] يحتمل أمرين؛ أحدهما: أنه طبع عليها جزاء للكفر وعقوبة عليه، والآخر: أنه طبع عليها بعلامة كفرهم كما تقول طبع عليه بالطين وختم عليه بالشمع، وثانيها: أن المراد بالختم على القلوب أن الله شهد عليها وحكم بأنها لا تقبل الحق، كما يقال: أراك تخطم على كل ما يقوله فلان أي تشهد به وتصدّقه، وقد ختمت عليك بأنك لا تفصح أي شهدت وذلك استعارة، وثالثها: أن المراد بذلك أنه تعالى ذمهم بأنها كالمختوم عليها في أنه لا يدخلها

<sup>(١)</sup> البقرة، آية: (٦-٧)

الإيمان ولا يخرج عنها، ورابعها: أن الله وصف من ذمه بهذا الكلام بأن قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم يشرع له." (١)

والختم لغة: الخاء والتاء والميم أصل واحد، وهو بلوغ آخر الشيء. يقال ختمت العمل، وختم القارئ السورة. فأما الختم، وهو الطبع على الشيء، فذلك من الباب أيضاً؛ لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره، في الأحرار (٢) ختمه يختمه ختماً وختاماً؛ الأخيرة عن اللحياني: طبعه، فهو مختم ومختّم، شدد للمبالغة، والخاتم الفاعل، والختم على القلب: أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء كأنه طبع. وفي التزويل العزيز: ختم الله على قلوبهم؛ هو كقوله: طبع الله على قلوبهم، فلا تعقل ولا تعي شيئاً. (٣)

وسأناقش التوجيه الثاني للطبرسي وهو اعتباره لها من باب الاستعارة، ومعنى الختم على القلوب أن شهد عليها وحكم بأنها لا تقبل الحق لا يصح؛ فالختم لا يعني شهادة الله عليهم بأنهم لا يؤمنون، بل هو طبع الله عليها فلا تعقل شيئاً، وفي الرد على هذا الكلام يقول القرطبي: "فإن قالوا: إن معنى الختم والطبع والغشاوة التسمية والحكم والإخبار بأنهم لا يؤمنون، لا الفعل. قلنا: هذا فاسد، لأن حقيقة الختم والطبع إنما هو فعل ما يصير به القلب مطبوعاً مختوماً؛ لا يجوز أن تكون حقيقته التسمية والحكم؛ ألا ترى أنه إذا قيل: فلان طبع الكتاب وختمه، كان حقيقة أنه فعل ما صار به الكتاب مطبوعاً ومختوماً، لا التسمية والحكم، هذا ما لا خلاف فيه بين أهل اللغة، ولأن الأمة مجمعة على أن الله تعالى قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازة لكفرهم. (٤)

فالختم لغة معناه الطبع، وليس معناه الشهادة على قلوبهم بالكفر.

أمّا التوجيهات الأخرى التي ذكرها الطبرسي كالتوجيه الأول من أنهم إذا انتهوا من كفرهم إلى حالة يعلم الله تعالى أنه لا يؤمنون بعده فإن الله يعلم على قلبه علامة، فلا يدعمه السياق

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الأول ص ٥٨

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس - الجزء الثاني ص ٢٤٥

(٣) لسان العرب - الجزء ١٢ ص ١٦٣

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الجزء الأول ١٨٧

الدلالي للآيات فسبحانه يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ثم بين أن سبب عدم إيمانهم هو ختم الله على قلوبهم، في الآية التي تليها، يقول الرازي: "فإنه سبحانه لما حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون ذكر عقبيه ما يجري مجرى السبب الموجب له، لأن العلم بالعلة يفيد العلم بالمعلول، والعلم بالمعلول لا يكمل إلا إذا استفيد من العلم بالعلة."<sup>(١)</sup>

أمّا توجيهه الثالث من أنه تعالى ذمهم بأنها كالمختوم عليها، والرابع من أن قلبه ضاق، فالجواب أن قوله تعالى ﴿ختم الله﴾ جمل فعلية من فعل وفاعل والفاعل هو كلمة ﴿الله﴾.<sup>(٢)</sup>

### النموذج السابع: كلمة (يضل)

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

وهذا المثال كسابقيه، يتعلق بالعدل الإلهي عند الشيعة الاثني عشرية، والعدل الإلهي عندهم يتنافى مع أن يكون الضلال من الله سبحانه وتعالى، كما هي الهداية منه.

ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي لقوله سبحانه ﴿يضل﴾، يقول الطبرسي: ".....وقد يكون الإضلال بمعنى الإهلاك والعذاب والتدمير ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسَعَرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وجوههم﴾ [القمر: ٤٧-٤٨] ومنه قوله تعالى: ﴿أَنذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠] أي هلكنا وقوله: ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ [محمد: ٤] أي لن يبطل سيدهم ويصلح بهم؛ فعلى هذا يكون المعنى أن الله تعالى يهلك ويعذب بالكفر به كثيراً بأن يضلهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه فيهلكوا ويهدي إلى الثواب وطريق الجنة بالإيمان به كثيراً عن أبي الجبائي، ويدل على ذلك قوله: ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ لأنه لا يخلو من أن يكون أراد به العقوبة على التكذيب كما قلناه، أو يكون

<sup>(١)</sup> مفاتيح الغيب للرازي-الجزء الثاني- ص ٢٩٢

<sup>(٢)</sup> إعراب القرآن وبيان لحجي الدين درويش الجزء ١ ص ٢٨

<sup>(٣)</sup> البقرة، آية: ٢٦



أراد به التحير والتشكيك؛ فإن أراد الحيرة فقد ذكر أنه لا يفعل إلا بالفاسق المتحير الشاك فيجب أن لا تكون الحيرة المتقدمة التي بها صاروا فاسقاً من فعله إلا إذا وجدت حيرة قبلها أيضاً، وهذا يوجب وجود ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا إلى أول أو ثبوت إضلال لا إضلال قبله، وإذا كان ذلك من فعله فقد أضل من لم يكن فاسقاً وهو خلاف قوله: ﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾<sup>(١)</sup>.

وفي المقاييس: الضاد واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابُه في غيرِ حَقِّه<sup>(٢)</sup>. وفي لسان العرب<sup>(٣)</sup>: الضَّلَالُ والضَّلَالَةُ: ضِدُّ الهُدَى والرَّشَادِ، يقال: أَضَلَّتْ فُلَانًا إِذَا وَجَّهْتَهُ لِلضَّلَالِ عن الطريق، وفي الصحاح: ضَلَّ الشيءُ يُضِلُّ ضَلَالًا، أي ضاع وهلك<sup>(٤)</sup>.

والضلال يدل في أصل معناه على ضياع الشيء، والهلاك والتدمير من الضياع، إلا أن الله سبحانه وتعالى قرن الضلال بالهداية في قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾، وهذا يدل على أن معنى الضلال هنا عكس الهداية.

### ٣-١-٨ النموذج الثامن: ﴿كَلِمَةً (جَعَلْنَا) فِي مَوَاضِعٍ مُخْتَلِفِينَ

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ويتعلق هذا التوجيه كالتوجيهات الثلاثة السابقة بالعدل الإلهي، والذي يتنافى عند الشيعة مع أن يجعل الله سبحانه وتعالى لأنبيائه أعداءً.

يقول الطبرسي: "في معنى قوله وجعلنا هنا وجوه: أحدها: أن المراد كما أمرناك بعداوة قومك من المشركين فقد أمرنا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجن والإنس، ومتى أمر الله رسوله

(١) مجمع البيان للطبرسي-الجزء الأول ص ٨٩

(٢) مقاييس اللغة -الجزء الثالث ص ٣٦٥

(٣) لسان العرب -الجزء ١١ ص ٣٩٠

(٤) الصحاح في اللغة -الجزء الخامس ١٧٤٨

(٥) الأنعام، آية: ١١٢

بمعادة قوم من المشركين فقد جعلهم أعداءً له، وقد يقول الأمير للمبارز من عسكره: جعلتُ فلاناً قرنك في المبارزة، وإنما يعني بذلك أنه أمره بمبارزته، فقد جعل من يبارزه قرناً له.

وثانيها: أن معناه حكمنا بأنهم أعداء وأخبرنا بذلك لتعاملوهم معاملة الأعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم، وهذا كما يقال: جعل القاضي فلاناً عدلاً وفلاناً فاسقاً، إذا حكم بعدالة هذا وفسق ذلك.

وثالثها: أن المراد خليتنا بينهم وبين اختيارهم العداوة لم نمنعهم عن ذلك كرهاً ولا جبراً؛ لأن ذلك يزيل التكليف<sup>(١)</sup>.

ورابعها: أنه سبحانه إنما أضاف ذلك إلى نفسه؛ لأنه سبحانه لما أرسل إليهم الرسل وأمرهم بدعائهم إلى الإسلام والإيمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه (ع) ومثله قوله سبحانه مخبراً عن نوح (ع) ﴿فلم يزدكم دعائي إلا فراراً﴾<sup>(٢)</sup>.

والجعل والجعية: ما يُجعل للإنسان على الأمر يفعلُه. وجعلتُ الشيءَ صنعته. قال الخليل: إلا أن جعلَ أعم، تقول: جعلَ يقول، ولا تقول صنعَ يقول<sup>(٣)</sup>.

وفي اللسان: وجعله يجعلُه جعلاً: صنعه، وجعله صيره. قال سيبويه: جعلتُ متاعكَ بعضُه فوقَ بعضِ ألقيته، وقال مرة: عملته، والرفع على إقامة الجملة مقام الحال؛ وجعل الطينَ خزفاً والقبیحَ حسناً: صيره إياه، وجعل البصرةَ بغداد: ظنَّها إياها، وجعلَ يفعلَ كذا: أقبلَ وأخذ؛ أنشد سيبويه: وقد جعلتُ نفسي تطيبُ لضغمةٍ، لضغمةٍ ماها يقرعَ العظمَ نابها. وقال الزجاج: "جعلتُ زيدا أخاك نسبتَه إليك، وجعلَ عملَ وهياً. وجعلَ خلقاً"<sup>(٤)</sup>.

(١) وهو توجيه الزمخشري نفسه يقول في كشافه: (وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً) وكما خليتنا بينك وبين أعدائك، وكذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء وأعدائهم، لم نمنعهم من العداوة، لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر، وكثرة الثواب والأجر. (الجزء الثاني ص ٥٩)

(٢) مجمع البيان للطبرسي- الجزء الرابع ١٠٦- ١٠٧

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس- الجزء الأول ص ٤٦٠

(٤) لسان العرب - الجزء ١١- ص ١١١

ومع كثرة معاني ﴿جَعَلْنَا﴾ إلا أنَّ تأويل كلمة جعلنا بخلقنا أو حكمنا ضعيف جداً، مع أنَّ تأويله بخلقنا لا تخرج عن معنى أنَّ الله سبحانه وتعالى الفاعل.

أمَّا التوجيه الأول الذي ذكره الطبرسي من أنَّ المراد: كما أمرناك بعداوة قومك من المشركين فقد أمرنا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجن والإنس، ومتى أمر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم أعداء له، فهو لا يخرج عن معنى أنَّ الله صيرهم أعداء للنبي.

أمَّا قول الطبرسي الأخير: "أنه سبحانه إنما أضاف ذلك إلى نفسه كقوله سبحانه مخبراً عن نوح (ع) ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾، فلا تقاس هذه الآية على تلك، من أنَّ عداوتهم أضافها الله لنفسه، كما في قول نوح عليه السلام أنَّ دعاءه قومه زادهم نفوراً.

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.<sup>(١)</sup>

ويتعلق هذا التوجيه بخلق القرآن، والذي يعتقد الشيعة الاثني عشرية أنه مخلوق، موافقين للمعتزلة في ذلك، واستشهدوا بقول الباقر<sup>(٢)</sup> أنه قال<sup>(٣)</sup>: **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَهُ خَلْقٌ مِنْهُ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَا خَلَا اللَّهَ.**<sup>(٤)</sup>

(١) الزخرف، آية: ٣

(٢) محمد الباقر (٥٧ هـ / ٩٧٩ م - ١١٤ هـ / ٧٣٢ م) ويكنى بأبي جعفر من فحول علماء الإسلام، حدث عن أبيه، له عدة أحاديث في الصحيحين وهو من كتاب الحديث عند أهل السنة، وكان من الأخذين عنه أبو حنيفة وابن جريج والاوزاعي والزهري وغيرهم، قال محمد بن مسلم: سألت عن ثلاثين ألف حديث، وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة، ووجه التابعين، ورؤساء فقهاء المسلمين وهو الامام الخامس عند الشيعة الإمامية (الإثنا عشرية) و(إسماعيليون) ولقب بالباقر لبقائه العلوم بقرراً.

(٣) إن لم يكن هذا القول ملفقاً فرمما فهو ليس في خلق القرآن، ولم يكن الباقر ولا غيره من أئمة أهل البيت يقول بخلق القرآن، بل على العكس ففي كتب الشيعة أنفسهم نصوصاً تدل على أنهم لم يقولوا بخلق القرآن، عَنْ الْجَعْفَرِيِّ، قَالَ قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ مُوسَى (عليه السلام): يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ، فَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ مَنْ قَبْلَنَا، فَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ فَقَالَ (عليه السلام): "أَمَّا إِنِّي لَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ مَا يَقُولُونَ، وَلَكِنِّي أَقُولُ إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (انظر بحار الأنوار: ٩٢ / ١١٨) ويقول ابن تيمية: (فليس في أئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق من كان ينكر الرؤية أو يقول بخلق القرآن أو ينكر القدر أو يقول بالنص على علي أو بعصمة الأئمة الاثني عشر أو يسب أباً بكر وعمر) منهاج السنة ٢-٣٦٨، واعتقاد الإمامية بخلق القرآن جاء بعد اختلاطهم بالمعتزلة وأخذهم عنهم.

ومنهم من ابتعد عن الخوض في هذه المسألة في بحار الأنوار، نقلًا عنالقمي (الصدوق) يقول: "حدثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، قال: كتب عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى الرضا عليهم السلام إلى بعض شيعته ببغداد: بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإنّ يفعل فأعظم بها نعمة، وإلاّ يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أنّ الجدال في القرآن بدعةً اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلاّ الله، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسمًا من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم." (٢)

قال الطبرسي في توجيه كلمة جعلنا: "﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أيّ أنزلناه عن السدّي. وقيل: قلناه عن مجاهد ونظيره، وفي هذه الآية دلالة على حدوث القرآن لأنّ المفعول هو المحدث بعينه." (٣) موافقًا بكلامه للمعتزلة، يقول الزمخشري: "﴿جَعَلْنَاهُ﴾ بمعنى صيرناه معدّي إلى مفعولين. أو بمعنى خلقناه معدّي إلى واحد." (٤)

وفي لسان العرب: وَجَعَلَ عَمِلَ وَهَيَّأً. وَجَعَلَ خَلَقَ. وَجَعَلَ قَالَ، ومنه قوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا؛ معناه إِنَّا بَيَّنَّاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا؛ حكاه الزجاج، وقيل قُلْنَاهُ، وقيل صَيَّرْنَاهُ؛ ومن هذا قوله: وجعلني نبيًّا، وقوله عز وجل: وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إِناثًا. قال الزجاج: الجَعْلُ ههنا بمعنى القول والحكم على الشيء كما تقول: قد جعلتُ زيدًا أعلم الناس؛ أيّ قد وصفته بذلك وحكمت به. (١)

(١) الكشف الوافي في شرح -الكافي - محمد هادي بن محمد معين الدين الشيرازي -دار الحديث -قم -١٣٨٨-ص

(٢) بحار الأنوار للمجلسي مجلد ٩٢ ص ١١٨ من طبعة الوفاء

(٣) مجمع البيان للطبرسي - الجزء التاسع ص ٥٢

(٤) الكشف للزمخشري -الجزء الرابع ص ٢٣٦

(١) لسان العرب -الجزء ١١ ص ١١٢

وفي القاموس المحيط: وَجَعَلَ يَفْعُلُ كذا: أَقْبَلَ وأَخَذَ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى سَمَّى، ومنه: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾، وبمعنى التَّبَيَّنَ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، وبمعنى الخَلَقَ: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾، وبمعنى التَّشْرِيفِ: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا﴾، وبمعنى التَّبْدِيلِ: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ وبمعنى الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ: جَعَلَ اللَّهُ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَاتِ خَمْسًا، وبمعنى التَّحْكُمِ الْبِدْعِيِّ: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفسر الطبري جعلناه بأنزلناه<sup>(٢)</sup>. أمّا القرطبي فيقول: "ومعنى: «جَعَلْنَاهُ» أي سَمَّيناه ووصفناه؛ ولذلك تعدّى إلى مفعولين؛ كقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]. وقال السُّدِّي: أي أنزلناه قرآنًا. مجاهد: قلناه. الزجاج وسفيان الثوري: بيّناه"<sup>(٣)</sup>. بينما استبعد الرازي أن يكون معنى جعلناه سَمَّيناه يقول: "فإن قالوا: لم لا يجوز أن يكون المراد أنه سماه عربيًّا؟ قلنا هذا مدفوع من وجهين؛ الأول: أنه لو كان المراد بالجعل هذا لوجب أن من سماه أعجميًّا أن يصير أعجميًّا وإن كان بلغة العرب ومعلوم أنه باطل، الثاني: أنه لو صرف الجعل إلى التسمية لزم كون التسمية مجعولة، والتسمية أيضًا كلام الله، وذلك يوجب أنه فعل بعض كلامه، وإذا صح ذلك في البعض صح في الكل...."<sup>(٤)</sup>

وقد رد الرازي على المعتزلة، ومن وافقهم كالشيعة ردًّا وافيًّا فيما عمدوا إليه من استغلال اللغة لإثبات معتقدهم يقول: "القائلون بحدوث القرآن احتجوا بهذه الآية من وجوه؛ الأول: أن الآية تدل على أن القرآن مجعول، والمجعول هو المصنوع المخلوق.... - الرازي فيقول-..... والجواب: أن هذا الذي ذكرتموه حق؛ وذلك لأنكم إنما استدللتم بهذه الوجوه على الذي ينازعكم فيه، بل كان كلامكم يرجع حاصله إلى إقامة الدليل على ما عرف ثبوته بالضرورة."<sup>(١)</sup>، وهو كافٍ في هذا الباب.

(١) القاموس المحيط - الجزء الأول ص ٩٧٩

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن - الجزء ٢٠ ص ٥٤٥

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الجزء ١٦ ص ٦١

(٤) مفاتيح الغيب للرازي - الجزء ٢٦ ص ٤٤٢

(١) المصدر السابق

### ٣-١-٩ النموذج التاسع (آزر)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أنَّ الأنبياء معصومون؛ بمعنى أنَّهم مَترَهون عن الذنوب والمعاصي صغیرها وكبیرها وعن الخطأ والنسيان.<sup>(٢)</sup>

ومن العصمة عندهم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن أحد من أجداده كافرًا؛ مستدلين على ذلك بأحاديث كحديث "لم يلتق أبواي في سفاح، لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة صافيا مُهذبًا لا تتشعبُ شعبتان إلا كنتُ في خيرهما"، وليس في الحديث - مع أنَّ اسناده واهٍ<sup>(٣)</sup> - ما يدل على أنَّ آباء النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا مشركين.

وبما أنَّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من سلالة سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ فقد أنكروا أنَّ يكون أبو سيدنا إبراهيم مشركًا؛ فوجهوا الآية لغويًا بما يتناسب مع معتقداتهم.

يقول الطبرسي: "﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ أي: واذكر إذ قال ﴿لأبيه آزر﴾ فيه أقوال؛ أحدها: أنه اسم أبي إبراهيم عن الحسن والسدي والضحاك. وثانيها: أنَّ اسم أبي إبراهيم تارخ، قال الزجاج: ليس بين النسبين اختلافٌ في أنَّ اسم أبي إبراهيم تارخ والذي في القرآن يدل على أنَّ اسمه آزر. وقيل: آزر عندهم ذمٌّ في لغتهم؛ كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه: يا مخطيء، فإذا كان كذلك فالاختيار الرفع. وجائز أنَّ يكون وصفًا له كأنه قال لأبيه المخطيء. وقيل: آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب ومجاهد. قال الزجاج: فإذا كان كذلك فموضعه نصب على إضممار الفعل كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه أَتَتَّخِذُ آزر وجعل أصنامًا بدلًا من آزر وأشباهه، فقال

(١) الأنعام، آية: ٧٤

(٢) انظر عقائد الاثني عشرية للزنجاني - مؤسسة الأعلمي - بيروت - الجزء الأول ص ٤٠

(٣) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ) - زهير الشاويش - المكتب

الإسلامي - بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٨٥ م - الجزء السادس ص ٣٣١

بعد أن قال أتتخذ آزر إلهاً أتتخذ أصناماً آلهة؟ وهذا الذي قال الزجاج يقوي ما قاله أصحابنا أن آزر كان جدّ إبراهيم لأمه أو كان عمه، من حيث صح عندهم أن آباء النبي إلى آدم كلهم كانوا موحدين واجتمعت الطائفة على ذلك. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية" ولو كان في آباءه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله تعالى.

وفي المقاييس: الهمزة والباء والواو يدلّ على التربية والغدو. أبوت الشيء أبوه أبواً إذا غدوته، وبذلك سمي الأب أباً، ويقال في النسبة إلى أبٍ أبويّ.<sup>(١)</sup>

ورجح معظم المفسرين أن آزر هو أبو إبراهيم عليه السلام.<sup>(٢)</sup>

ولا أجد في هذا التوجيهات دليلاً لما أراده الطبرسي وأصحابه الاثنا عشرية، فقلوه تعالى ﴿أَبِيهِ﴾ بما فيه من ضمير عائد إلى إبراهيم عليه السلام، لا يتأثر بأن اسم أبيه آزر أو أنه اسم صنم، أو أنه ذم بمعنى مخطئ؛ فهو على كل التأويلات قول إبراهيم لأبيه، وهي كلها تصب في المعنى نفسه، فإن كان آزر بمعنى آثم فإن قال له آثم فهو على أنه يريد أن يعبد الأصنام فهو إذاً مشرك.

وإن أخذنا بالقول الذي يبدو أن الطبرسي رجحه وهو قول الزجاج<sup>(٣)</sup> من أن آزر اسم صنم وكأنه قال: وإذا قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر وجعل أصناماً بدلاً من آزر وأشباهه، واعتباره مما يقوي دليل أصحابه الاثنا عشرية من أن آزر كان جد أمه أو عمه، فهو أيضاً مشرك، فالخطاب له على كل وجه، مع ضعف هذه الأقوال وحاجتها إلى تأويل.

### ٣-١-١٠ النموذج العاشر (وليكم)

<sup>(١)</sup> المقاييس - الجزء الأول - ص ٤٤

<sup>(٢)</sup> الكشف للزمخشري الجزء الثاني ص ٤٠ ومفاتيح الغيب للرازي جزء ١٣ ص ٢٩ ما بعدها

<sup>(٣)</sup> معاني القرآن وإعرابه - الزجاج - الجزء الثاني ص ٢٦٥

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وسبب توجيه هذه الآية هو رغبة الطبرسي إثبات الولاية لعلّي رضي الله عنه؛ مما دفعه إلى مشابهة أصحابه في تأويل قوله تعالى ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، بأن المقصود هنا علي رضي الله عنه، وذلك بناءً على روايات تفيد أن علياً رضي الله عنه تصدق بخاتمه لسائل دخل المسجد وهو راکع؛ وذلك بالإشارة إليه بأن يأخذ الخاتم من يده. وقد ذكر الطبرسي عدة روايات منها قوله: ﴿وفي حديث إبراهيم بن الحكم بن ظهير " أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله مع رهط من قومه يشكون إلى رسول الله ما لقوا من قومهم فبينما هم يشكون إذ نزلت هذه الآية، وأذن بلال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد وإذا مسكين يسأل فقال (ع): "ماذا أعطيت؟" قال: خاتم من فضة. قال: "مَنْ أعطاك؟" قال: ذلك القائم فإذا هو علي. قال: "على أي حال أعطاك؟" قال: أعطاني وهو راکع، فكبر رسول الله وقال: ﴿ومن يتول الله﴾ ورَسُولُهُ﴾".<sup>(٢)</sup> وذكر الطبري روايات تدل على أنها نزلت في علي رضي الله عنه دون تأويل الولاية بالإمامة؛ منها: " عن السدي، قال: ثم أخبرهم بمن يتولاهم، فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ هؤلاء جميع المؤمنين، ولكن علي بن أبي طالب مرّ به سائل وهو راکع في المسجد، فأعطاه خاتمته".<sup>(٣)</sup>، وذكر الطبري سابقاً كما ذكر معظم المفسرين أن هذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت في تبريه من ولاية يهود بني قَيْنُقَاع وحلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، كما ذكر معظم المفسرين، القول بأنها نزلت في علي رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>، على معنى الولاية الأصلي من أنها تدل على القرب والتناصر، وليس على ما سأذكره لاحقاً إن شاء الله من توجيه الطبرسي، لمعنى الولاية بالإمامة، وذكر ابن كثير عدداً من الأحاديث، مبيناً عدم صحتها جميعها، ونفى نفياً قاطعاً أن تكون الآية نزلت بعلي رضي الله

(١) المائدة، آية: ٥٥

(٢) مجمع البيان للطبرسي الجزء الثالث ص ٢٩٦

(٣) تفسير الطبري - الجزء الثامن - ص ٥٣٠

(٤) انظر تفسير الزمخشري الجزء الأول ص ٦٤٨، وتفسير الرازي الجزء ١٢ ص ٣٧٨، وتفسير القرطبي الجزء ٦ ص ٢٢١.



عنه، وأكد على أنها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه حين تبرأ من حلف اليهود، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين.<sup>(١)</sup>

أمّا الطبرسي، فقد تمسك بهذه الرويات للاستدلال على إمامة علي رضي الله عنه، وحاول أن يبرهن باللغة براهين كثيرة، تدل على حصر الولاية بعلي رضي الله عنه، ونفي أن يكون في معاني الآيات ما ينافي ذلك.

### ومن أمور اللغة التي ذكرها الطبرسي:

معنى ﴿وليكم﴾ يقول الطبرسي: "الولي هو الذي يلي النصرة والمعونة والولي هو الذي يلي تدبير الأمر، يقال: (فلان ولي المرأة) إذا كان يملك تدبير نكاحها، وولي الدم من كان إليه المطالبة بالقود، والسلطان ولي أمر الرعية. ويقال لمن يرشحه لخلافته عليهم بعده ولي عهد المسلمين..... قال المبرد في كتاب العبارة عن صفات الله: "أصل الولي الذي هو أولى أي أحق ومثله المولى..... وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل، والوجه فيه أنه إذا ثبت أن لفظة وليكم تفيد من هو أولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم، وثبت أن المراد بالذين آمنوا علي ثبت النص عليه بالإمامة ووضح."<sup>(٢)</sup>

والواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب. من ذلك الولي: القرب. يقال: تباعد بعد ولي، أي قُرب.

وجلس مما يليني، أي يُقاربني، والولي المطر يجيء بعد الوسمي، سمي بذلك لأنه يلي الوسمي. ومن الباب المولى: المعتق والمعتق، والصاحب، والحليف، وابن العم، والناصر، والجار؛ كل هؤلاء من الولي وهو القرب.

وكل من ولي أمر آخر فهو وليه..... ثم يقول في آخر كلامه والباب كله راجع إلى القرب<sup>(١)</sup>.

<sup>(١)</sup> تفسير ابن كثير - الجزء الثالث ١٢٥ - ١٢٦

<sup>(٢)</sup> مجمع البيان للطبرسي الجزء الثالث - ص ٢٩٥

<sup>(١)</sup> مقاييس اللغة - الجزء السادس ١٤١

وفي المحيط: وَوَلِيَ الشَّيْءَ، وولي عليه ولايةٌ وولايةٌ، أو هي المصدرُ، وبالكسر: الخطَّةُ، والإمارةُ، والسلطانُ.<sup>(١)</sup>

ويظهر أنَّ لمعنى الولاية معنى أصلياً بمعنى القرب، ومعنى فرعياً بمعنى الإمارة والسلطان، والأرجح - والله أعلم - حمل اللفظ على معناه الأساسي، والدليل على ذلك أنَّ السياق الدلالي للآيات السابقة واللاحقة يدل على ذلك، وسأكتفي بما ذكره الرازي في هذا، يقول الرازي: "الذي يدل على أنَّ حمله على الناصر أولى من وجوه؛ الأول: أنَّ اللائق بما قبل هذه الآية وبما بعدها ليس إلا هذا المعنى، أمّا ما قبل هذه الآية فلأنه تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١] وليس المراد: لا تتخذوا اليهود والنصارى أئمة متصرفين في أرواحكم وأموالكم؛ لأنَّ بطلان هذا كالمعلوم بالضرورة، بل المراد لا تتخذوا اليهود والنصارى أحبباً وأنصاراً، ولا تخالطوهم ولا تعاضدوهم، ثم لما بالغ في النهي عن ذلك قال: إنما وليكم الله ورسوله والمؤمنون والموصوفون، والظاهر أنَّ الولاية المأمور بها ههنا هي المنهي عنها فيما قبل، ولما كانت الولاية المنهي عنها فيما قبل هي الولاية بمعنى النصره كانت الولاية المأمور بها هي الولاية بمعنى النصره، وأمّا ما بعد هذه الآية فهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧] فأعاد النهي عن اتخاذ اليهود والنصارى والكفار أولياء، ولا شكَّفي أنَّ الولاية المنهي عنها هي الولاية بمعنى النصره، فكذلك الولاية في قوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ يجب أن تكون هي بمعنى النصره، وكل من أنصف وترك التعصب وتأمل في مقدمة الآية وفي مؤخرها قطع بأنَّ الولي في قوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ ليس إلّا بمعنى الناصر والحب، ولا يمكن أن يكون بمعنى الإمام؛ لأنَّ ذلك يكون إلقاء كلام أجنبي فيما بين كلامين مسوقين لغرض واحد، وذلك يكون في غاية الركاكة والسقوط، ويجب تترية كلام الله تعالى عنه.<sup>(١)</sup>

واستند الطبرسي إلى هذا التوجيه بعد ذلك بعدة توجيهات تتعلق باللغة، منها:

<sup>(١)</sup> القاموس المحيط - الجزء الأول - ص ١٣٤

<sup>(١)</sup> مفاتيح الغيب - الجزء ١٢ ص ٣٨٤

١- أنه عدَّ الجمع <sup>(١)</sup> في قوله تعالى المؤمنون للتعظيم على أن الولاية من حق علي رضي الله عنه، وذلك في معرض الدفاع عن توجيهه لكلمة ﴿وليكم﴾، يقول: "وليس لأحد أن يقول إن لفظ الذين آمنوا لفظ جمع؛ فلا يجوز أن يتوجه إليه على الانفراد، وذلك أن أهل اللغة قد يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم، وذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه." <sup>(٢)</sup>

ويقول الزمخشري: "وقيل: هو حال من يؤتون الزكاة، بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، وأنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راکع في صلاته فطرح له خاتمه. كأنه كان مرجاً في خنصره، فلم يتكلف لخلعه كثيراً مما تفسد بمثله صلاته، فإن قلت: كيف صحَّ أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟ قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً؛ ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء، حتى إن لزم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة، لم يؤخروه إلى الفراغ منها." <sup>(٣)</sup>

وما ذكره الزمخشري لا علاقة له بتأويل الولاية بالإمامة، وقوله "جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه"، لا يدل على أن الجمع أتى للدلالة على مفرد، بل هو في بابه من حيث الدلالة على الجمع.

وأقول: نعم، إنَّ التعبير عن بلفظ الجمع عن الواحد أكثر من أن يستدل عليه، ولكن كيف استدللنا على أنه يدل على مفرد في هذا الكثير، أليس لوجود قرينة في السياق تدل على ذلك؟ وهذه القرينة غير موجودة في السياق الحالي، بل العكس؛ فسبحانه ذكر رسوله مفرداً "وكان أحق صلى الله عليه وسلم بالتعظيم من علي رضي الله عنه" ومضافاً إلى الضمير العائد إلى الذات

<sup>(١)</sup> وكان من حق هذا التوجيه أن يدرج في المستوى الصرفي، باعتبار الجمع من أبواب الصرف ولكني أدرجتها لاحقة بمعنى

الولاية، لن الطبرسي اعتمد على ما ققره من معنى الولاية بالإمامة.

<sup>(٢)</sup> مجمع البيان - الجزء الثالث ص ٢٩٨

<sup>(٣)</sup> الكشاف للزمخشري - الجزء الأول - ص ٦٤٩

الإلهية، فلماذا لم يأت ذكر وليه مفرداً، مضافاً إليه سبحانه وتعالى؟ وحمل ألفاظ الجمع وإن جاز على الواحد على سبيل التعظيم مجاز لا حقيقة، والأصل حمل الكلام على الحقيقة.

٢- والأكثر من ذلك، أنَّ الطبرسي استند إلى النقطة السابقة ذاتها واعتبرها مسلّمة، من أنَّ لفظ الجمع في قوله تعالى ﴿الذين آمنوا﴾ يدل على مفرد وبني عليها استدلال آخر، يقول الطبرسي: "ثم الذي يدلّ على أنّها في الآية تفيد ذلك دون غيره أنّ لفظة إنّما على ما تقدم ذكره تقتضي التخصيص ونفي الحكم عمّن عدا المذكور كما يقولون إنّما الفصاحة للجاهلية يعنون نفي الفصاحة عن غيرهم، وإذا تقرر هذا لم يُجز حمل لفظة الولي على الموالاتة في الدين والمحبة لأنّه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر والمؤمنون كلهم مشتركون في هذا المعنى كما قال سبحانه ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة: ٧١] وإذا لم يُجز حمله على ذلك لم يبق إلا الوجه الآخر وهو التحقق بالأمر وما يقتضي فرض الطاعة على الجمهور لأنّه لا محتمل للفظه إلا الوجهان؛ فإذا بطل أحدهما ثبت الآخر."<sup>(١)</sup>

فاستدل بـ﴿إنّما﴾ على أنّها تفيد الحصر وبما أنّ لفظ ﴿الذين آمنوا﴾ يدل على مفرد، والموالاتة في الدين واجبة بين كل المؤمنين فلا بد أن يكون معنى الولاية هنا الإمامة، لأنّ الذين آمنوا تدل على واحد فقط.

وأقول: إنّ هذه حجة عليه لا حجة له، فالآية لا تدل على تخصيص مؤمن دون آخر، فقولته تعالى: ﴿الذين آمنوا﴾ تدل على الجمع، وكل المؤمنين مشتركون في هذا المعنى، وهذا يدل على أنّ المعنى محمول على القرب والمناصرة لا على الولاية، ولو كانت بمعنى الولاية لكانت خاصة. وقد استدلل الرازي بالجمع، على أنّ المعنى المناصرة يقول: "إنّ الولي في اللغة قد جاء بمعنى الناصر والحب، كما في قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] وجاء بمعنى المتصرف. قال عليه الصلاة والسلام: "أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنقول: ههنا وجهان؛ الأول: أنّ لفظ الولي جاء بهذين المعنيين ولم يعين الله مراده، ولا منافاة بين المعنيين، فوجب حمله عليهما، فوجب دلالة الآية على أنّ المؤمنين المذكورين في الآية متصرفون في الأمة. الثاني: أنّ نقول: الولي في هذه الآية لا يجوز أن يكون بمعنى الناصر، فوجب أن يكون

<sup>(١)</sup> مجمع البيان للطبرسي الجزء الثالث ص ٢٩٨

بمعنى المتصرف، وإنما قلنا: إنه لا يجوز أن يكون بمعنى الناصر، لأنَّ الولاية المذكورة في هذه الآية غير عامة في كل المؤمنين، بدليل أنه تعالى ذكر بكلمة ﴿إِنَّمَا﴾ وكلمة [إِنَّمَا] للحصر، كقوله: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١] والولاية بمعنى النصرة عامة لقوله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ وهذا يوجب القطع بأنَّ الولاية المذكورة في هذه الآية ليست بمعنى النصرة، وإذا لم تكن بمعنى النصرة كانت بمعنى التصرف، لأنه ليس للولي معنى سوى هذين، فصار تقدير الآية: إنما المتصرف فيكم أيها المؤمنون هو الله ورسوله والمؤمنون الموصوفون بالصفة الفلانية، وهذا يقتضي أنَّ المؤمنين الموصوفين بالصفات المذكورة في هذه الآية متصرفون في جميع الأمة، ولا معنى للإمام إلا الإنسان الذي يكون متصرفاً في كل الأمة، فثبت بما ذكرنا دلالة هذه الآية على أنَّ الشخص المذكور فيها يجب أن يكون إمام الأمة.<sup>(١)</sup>

٣- كما استدل الطبرسي بوجوب التغاير بين المعطوفات<sup>(٢)</sup> على أنَّ ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ هو حال علي رضي الله عنه وقت إيتاء الزكاة يقول: "وليس لهم أن يقولوا إنَّ المراد بقوله ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ أنَّ هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالاً لإيتاء الزكاة؛ وذلك لأنَّ قوله: ﴿يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ قد دخل فيه الركوع فلو لم يحمل قوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ على أنه حال من يؤتون الزكاة وحملناه على من صفتهم الركوع كان ذلك كالتكرار غير المفيد والتأويل المفيد أولى من البعيد الذي لا يفيد."<sup>(٣)</sup>

ولابدَّ أنَّ لمعنى ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ معنى مغايراً، عن معنى قوله تعالى: ﴿يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، وذكر المفسرون عدة تفسيرات لقوله تعالى ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ منها أنها صلاة النفل. وقيل: أفرد الركوع بالذكر تشريفاً. وقيل: المؤمنون وقت نزول الآية كانوا بين مُتَمِّ للصلاة وبين راکع والخشوع والتذلل<sup>(١)</sup>، والأرجح - والله أعلم - حملها على معنى الخشوع ومداومة الطاعة؛ فهم لا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فقط، بل إنهم مداومون على الطاعة والخشوع، ومما يؤيده من

(١) تفسير الرازي- الجزء ١٢ ص ٣٨٣

(٢) وكان من حق هذا التوجيه أن يذكر في المستوى النحوي، ولكن فضلت أن أدرجه هنا، لأنَّ أصل اعتماده فيه على توجيهه لمعنى الولاية بالإمامة.

(٣) مجمع البيان - الجزء الثالث - ص ٢٩٨

(١) انظر تفسير الرازي الجزء ١٢ ص ٣٧٩، والقرطبي الجزء ٦ ص ٢٢١

وجهة لغوية، أن قوله تعالى ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ أتى على شكل جملة اسمية لا فعلية كما في قوله تعالى ﴿يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ و﴿يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، يدل على خلاف الفعل يدل على الثبوت فصفتهم أنهم دائمو الخشوع، واسم الفاعل ﴿راكعون﴾ يدل على من اتصف بالفعل على جهة الثبات.<sup>(١)</sup>

٤- وآخر ما استدل به الطبرسي على ولاية علي رضي الله عنه قوله: "وجه آخر في الدلالة على أن الولاية في الآية مختصة أنه سبحانه قال ﴿إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ﴾ فخاطب جميع المؤمنين ودخل في الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيره ثم قال ورسوله؛ فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فوجب أن يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية، وإلا أدى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه، وإلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه وذلك محال."<sup>(٢)</sup>

وجه استدلال الطبرسي هو أنه إذا أخرج الرسول، وجب إخراج الفئة الثانية وهي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقد اعتمد الطبرسي في هذا على ما استقر عنده من معنى الولاية بأنها بمعنى الإمامة "فوجب أن يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية"، فإذا ما حملنا الولاية على معنى القرب والتناصر، ارتفع هذا اللبس.

ومن المعلوم أن الخطاب القرآني موجه للناس كافة، وهذا يشمل المؤمنين فكل منهم ولي الآخر، فإذا قال أحدهم لتلامذة في مدرسة: (إنما صديقكم المعلمون والذين يدرسون في المدرسة)، فهذا يعني أن كلاً منهم صديق الآخر، وهو معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، أمّا إذا قال أحدهم لهؤلاء التلامذة: (إنّ مديركم فلان والذين يدرسون)، فهذا -لاشكاً - خللٌ بالنص، إذا كانوا هم من يدرسون أنفسهم، وهذا دليلٌ آخر على أن المقصود جميع المؤمنين.

(١) النحو الوافي نحو الوافي - الجزء الثالث ص ٣٨٣

(٢) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثالث ٢٩٨

(١) التوبة، آية: ٧١

ومن الواضح أنَّ التوجيهات في هذه الآية نتجت عن توجيه الطبرسي لمعنى الولاية بالإمامة؛ مما دفعه إلى توجيه قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بأنها تدل على مفرد، ثم الاستناد إلى أنها مفردة في أنَّ الحصر المستفاد من كلمة ﴿إِنَّمَا﴾ يفيد التخصيص؛ وبالتالي لا يجوز حمل اللفظ على معنى الموالاتة في الدين، لأنه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر، والمؤمنون كلهم مشتركون في هذا المعنى.

ثم الاستدلال بتغاير المعطوفات على أنَّ ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ لها معنى مغاير لـ ﴿الَّذِينَ يقيمُونَ الصلاة﴾، وتخصيصها بعلي رضي الله عنه دون غيره، والاستدلال بالعطف أيضاً على أنَّ إخراج الرسول من جملة المخاطبين يقتضي إخراج الذين آمنوا، وهذا كله نابغ من توجيهه بداية للولاية بمعنى الإمامة.

### ٣-١-١١ النموذج الحادي عشر (يرثني)

قال تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾<sup>(١)</sup>

يرى الشيعة أنَّ أرض فدك من حق السيدة فاطمة كميراث شرعي<sup>(٢)</sup>، ويستشهدون لذلك بما يسمونه الخطبة الفدكية<sup>(٣)</sup> التي استشهدت فاطمة رضي الله عنها على زعمهم بهذه الآية ردًّا<sup>(٤)</sup> على الحديث الذي رواه أبو بكر رضي الله عنه: «لا نورث، ما تركنا صدقة»<sup>(٥)</sup>

(١) مريم، آية: ٦

(٢) الحقيقة أنَّ في هذه القصة إشكالية كبرى حتى في كتب أهل السنة، فأرض فدك حسب الروايات وهبها الرسول صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها في حياته، فكيف يمكن اعتبارها ورثاً؟

(٣) انظر مناقب علي بن أبي طالب (ع) وما نزل من القرآن في علي لأبي بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني (٤١٠ جمعهورته وقدم له: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين. الطبعة: الثانية ١٤٢٤: .: المطبعة: دار الحديث.. وهي خطبة موضوعة لا شك والأدلة على ذلك كثيرة ابتداء من أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعط فدك لفاطمة رضي الله عنها إلى مطالبتها بها وليس هنا موضع مناقشة هذا الأمر لاتساعه.

(٤) تهذيب الأحكام للطوسي - تحقيق الموسوي - دار الكتب الإسلامية ١٣٦٥ - الجزء الرابع ص ١٤٩

(٥) صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - كتاب: الفرائض، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا نورث ما تركناه صدقة"، الجزء الثامن ١٤٩.

مع أنَّ الشيعة لا يورثون المرأة وقد بَوَّب الكليني باباً مستقلاً في الكافي بعنوان: (إنَّ النساء لا يرثنَ من العقار شيئاً)، روى فيه عن أبي جعفر قوله: «النساء لا يرثنَ من الأرض ولا من العقار شيئاً»<sup>(١)</sup>.

يقول الطبرسي: "اختلف في معناه، قيل: معناه يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة عن أبي صالح. وقيل: معناه يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب عن الحسن ومجاهد. واستدل أصحابنا بالآية على أنَّ الأنبياء يورثون المال وأنَّ المراد بالإرث المذكور فيها المال دون العلم والنبوة بأنَّ قالوا: إنَّ لفظ الميراث في اللغة والشريعة لا يُطْلَق إلاَّ على ما ينتقل من الموروث إلى الوارث كالأموال، ولا يُستعمل في غير المال إلاَّ على طريق المجاز والتوسع، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة أيضاً فإنَّ زكريا (ع) قال في دعائه: ﴿واجعله رب رضيعاً﴾ أي: اجعل يا رب ذلك الولي الذي يرثني مرضياً عندك ممثلاً لأمرك. ومتى حملنا الإرث على النبوة لم يكن لذلك معنى، وكان لغواً عبثاً ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحد: اللهم ابعث لنا نبياً واجعله عاقلاً مرضياً في أخلاقه؛ لأنه إذا كان نبياً فقد دخل الرضا وما هو أعظم من الرضا في النبوة.

ويقوي ما قلناه أنَّ زكريا صرَّح بأنه يخاف بني عمه بعده بقوله: ﴿وإني خفتُ الموالي من ورائي﴾ وإنما يطلب وارثاً لأجل خوفه، ولا يليق خوفه منهم إلاَّ بالمال دون النبوة والعلم لأنه (ع) كان أعلم بالله تعالى من أنَّ يخاف أن يبعث نبياً من ليس بأهل للنبوة، وأنَّ يورث علمه وحكمته من ليس لهما بأهل، ولأنَّه إنما بُعث لإذاعة العلم ونشره في الناس، فكيف يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته. فإنَّ قيل: إنَّ هذا يرجع عليكم في وراثة المال لأنَّ في ذلك إضافة الضن والبخل إليه. قلنا: معاذ الله أن يستوي الأمران؛ فإنه قد يرزق المؤمن والكافر والصالح والطالح، ولا يمتنع أن يأسى على بني عمه إذا كانوا من أهل الفساد أن يظفروا بماله فيصرفوه فيما لا ينبغي، بل في ذلك غاية الحكمة فإنَّ تقوية الفساد وإعانتهم على أفعالهم المذمومة محظورة في الدين؛ فمن عدَّ ذلك بخلاً وضناً فهو غير منصف.<sup>(١)</sup>

(١) انظر: فروع الكافي - للكليني - دار الكتب الإسلامية ١٣٦٧ - الجزء السابع ص ١٢٧

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء السادس ص ٣٠٦ - ٣٠٧



كما استشهد الطبرسي بقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾<sup>(١)</sup> على الأمر نفسه، يقول: "وورث سليمان داود" في هذا دلالة على أن الأنبياء يورثون المال كتوريث غيرهم وهو قول الحسن. وقيل: معناه أنه ورثه علمه ونبوته وملكه دون سائر أولاده، ومعنى الميراث هنا أنه قام مقامه في ذلك فأطلق عليه اسم الإرث كما أطلق على الجنة اسم الإرث عن الجبائي، وهذا خلاف للظاهر، والصحيح عند أهل البيت (ع) هو الأول.<sup>(٢)</sup>

وفي مقاييس اللغة: الواو والراء والشاء: كلمة واحدة، هي الورث، والميراث أصله الواو. وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنسب أو سبب.<sup>(٣)</sup>

وفي لسان العرب: وقال الله تعالى إخباراً عن زكريا ودعائه إياه: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾؛ أي يبقى بعدي فيصير له ميراثي؛ قال ابن سيدة: إنما أراد يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة، ولا يجوز أن يكون خاف أن يرثه أقرباؤه المال، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - "إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا، فهو صدقة"؛ وقوله عز جل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾؛ قال الزجاج: جاء في التفسير أنه ورثه نبوته وملكه، وروي أنه كان لداود، عليه السلام، تسعة عشر ولداً، فورثه سليمان، عليه السلام، من بينهم، النبوة والملك.<sup>(٤)</sup>

ورجح الطبري القرطبي والزمخشري وابن كثير أن الوراثة للنبوة والملك<sup>(١)</sup>، استناداً للحديث الشريف "إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا، فهو صدقة".

(١) النمل، آية: ١٦

(٢) مجمع البيان للطبرسي - الجزء السابع ص ٢٦٨

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس - الجزء السادس ص ١٠٥

(٤) لسان العرب لابن منظور - الجزء الثاني ص ٢٠٠

(١) انظر تفسير الطبري الجزء ١٩ ص ٣٦٧، وتفسير الزمخشري الجزء الثالث ص ٦١٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي

الجزء ٤ ص ٣٤٥

وأقول: إنَّ الوراثة في أصل معناها شاملة لكل ما يورث، ولا يوجد في الآية دليل على تخصيصها بشيء دون آخر، ويمكننا الاستدلال في تخصيص هذه الدلالة بالحديث الشريف "إنَّا معاشرَ الأنبياءِ لا نُورثُ ما تركنا، فهو صدقة".

### ٣-٢-١٢ النموذج الثاني عشر (أكاد)

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾<sup>(١)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿أكاد أخفيها﴾ أي أريد أن أخفيها عن عبادي؛ لئلا تأتيهم إلا بغتة. قال تغلب: هذا أجودُ الأقوال، وهو قول الأخفش. وفائدة الإخفاء التهويل والتخويف؛ فإنَّ الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت. وروى ابن عباس: أكاد أخفيها من نفسي وهي كذلك في قراءة أبي، وروي ذلك عن الصادق (ع) والمعنى أكاد لا أظهر عليها أحدًا وهو قول الحسن وقتادة، والمقصود من ذلك تباعد الوصول إلى علمها وتقديره إذ كدت أخفيها من نفسي فكيف أظهرها لك. قال المبرد: هذا على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء قال: كتمته حتى عن نفسي، أي لم أطلع عليه أحدًا؛ فبالغ سبحانه في إخفاء الساعة وذكره بأبلغ ما تعرفه العرب. وقال أبو عبيدة: معنى أخفيها أظهرها ودخلت أكاد تأكيدًا والمعنى يوشك أن أقيمها."<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> طه، الآية: ١٥

<sup>(١)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء السابع ص ١١

كاد: وَضِعَتْ لمقاربة الشيء، فَعِلَ أَوْ لَمْ يُفْعَلْ، فمجردة تنبئ عن نفي الفعل، ومقرونة بالحاء تنبئ عن وقوع الفعل. قال بعضهم في قوله تعالى: أكاد أخفيها؛ أريد أخفيها. قال: فكما جاز أن توضع أريد موضع أكاد في قوله تعالى: جداراً يريد أن ينقض، فكذلك أكاد.<sup>(١)</sup>

وقال الأنباري<sup>(٢)</sup> ويجوز أن يكون معنى قول الرجل: ما كاد فلان يقوم: ما يقوم فلان. ويكون "كاد" صلة للكلام. أجاز ذلك الأخفش وقطرب والسجستاني، واحتج بعدد من الشواهد على أن كاد تأتي صلة للكلام منها قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا﴾<sup>(٣)</sup>، يقولفمعناه: لم يرها، ولم يقارب ذلك.<sup>(٤)</sup>

أما كلمة أخفيها:

ففي لسان العرب: خفا البرقُ خَفَوْا وخُفُوا: لَمَعَ. وخفا الشيء خَفَوْا: ظَهَرَ. وخَفِيَ الشيء خَفِيَاً وخُفِيَاً: أَظْهَرَ واستخرجه، وقرئ قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾، أي أَظْهَرُهَا؛ حكاه اللحياني عن الكسائي، عن محمد بن سهل، عن سعيد ابن جبير. وخَفِيََتُ الشيءَ أَخْفَيْتُهُ: كَتَمْتُهُ. وفي التتيل: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾؛ أي أَسْتُرُهَا وَأُوَارِيهَا؛ قال اللحياني: وهي قراءة العامة. وفي حَرْفِ أَبِي: أَكَادُ أُخْفِيهَا من نفسي؛ وقال ابن جني: أُخْفِيهَا يكون أزيل خفاءها أي غطاءها، كما تقول أشكيتها إذا زُلَّتْ له عَمَّا يَشْكُوهُ؛ قال الأخفش: وقرئت أكاد أخفيها أي أظهرها لأنك تقول: خَفَيْتُ السَّرَّ أي أَظْهَرْتَهُ، وفي الحديث: أنه كان يَخْفِي صَوْتَهُ بآمين؛ رواه بعضهم بفتح الياء من خَفَى يَخْفِي إذا أَظْهَرَ كقوله تعالى: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا، على إحدى القراءتين.<sup>(٥)</sup>

(١) لسان العرب - الجزء الثالث ص ٣٨٢

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس - محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (٣٢٨هـ) المحقق: د. حاتم صالح

الضامن - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة: الأولى ١٩٩٢ الجزء الثاني ص ٨٥

(٣) النور ٤٠

(٤) وأرى أن كاد في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكْذِبْهَا﴾ لم يكذب يراها تفيد المقاربة كما هي كاد في بابها وذلك أن الرؤيا في معناها تفيد الرؤيا بالنظر والرؤيا القلبية وهي الشعور ولذلك قال سبحانه لم يكذب يراها لأن الشعور متبقي والله أعلم.

(٥) لسان العرب الجزء ١٤ ص ٢٣٤

**وأقول:** إِنَّ الآيَةَ تفيد - والله أعلم - أَنَّ خفاء الساعة خفاء جزئي، وهي موشكة على الظهور، وهذا يتوافق مع ما جاء في السُّنة النبوية من قرب الساعة وظهور أشراتها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بُعْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ كَهَاتَيْنِ. وَقَرْنَ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى" <sup>(١)</sup>، وكاد هنا على معناها في مقاربة الشيء.

هذا إذا أخذنا معنى الخفاء على عدم الظهور، أمّا إذا أخذناه بمعنى الظهور، وقد ذكرت المعاجم هذا المعنى، وذكر النحويون أَنَّ من معاني أفعال السلب والإزالة، ويحتمل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ مضارع أخفى بمعنى ستر والهمزة للإزالة أي أزلت الخفاء وهو الظهور <sup>(٢)</sup>، فيكون المعنى ﴿أكاد أظهرها﴾ يعني أيضاً قاربت على الظهور.

### النموذج الثالث عشر: كلمة (نجس)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ <sup>(٣)</sup>

يتخذ الشيعة من هذه الآية دليلاً على أَنَّ نجاسة المشركين نجاسة حقيقية، يقول: "إنه لا إشكال ولا شك في نجاسة المشركين، بل نجاستهم من الضروريات عند الشيعة ولا نعهد فيها مخالفاً من الأصحاب." <sup>(٤)</sup>

أمّا عامة المسلمين، فإنَّ الآدمي عندهم طاهرٌ حيّاً وميتاً، سواء كان مسلماً أو مشركاً، وصرح بهذا عدد من الفقهاء <sup>(٥)</sup> منهم الشريبي يقول: "الحيوان كلّ طاهر العين حال حياته إلّا

<sup>(١)</sup> صحيح البخاري - الجزء السابع ص ٥٣ حديث رقم ٥٣٠١

<sup>(٢)</sup> بحث في صيغة أفعل بين النحويين واللغويين واستعمالها في العربية - مصطفى أحمد النماس الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ٥٣ ص ٢٣٣

<sup>(٣)</sup> التوبة، آية: ٢٨

<sup>(٤)</sup> التنقيح في شرح العروة الوثقى تقرير البحث اية الله العظمى السيد أبو القاسم تأليف الميرزا علي التبريزي الغروي الجزء

الثاني - مطبعة الآداب - النجف الاشرف - الطبعة الثالثة ١٤١٠ - ص ٤٢

<sup>(٥)</sup> ونقل عن الزمخشري عن ابن عباس أن أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير (انظر الكشاف في موضع الآية)، ومن صرح بالنجاسة ابن حزم في المحلى يقول: (وَلَا عَجَبَ فِي الدُّنْيَا أَعْجَبُ مِمَّنْ يَقُولُ فِيمَنْ نَصَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ نَجَسٌ إِنَّهُمْ طَاهِرُونَ)

الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما." (١).... قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾  
فَالْمُرَادُ بِهِ نَجَاسَةُ الْإِعْتِقَادِ أَوْ اجْتِنَابُهُمْ كَالنَّجَسِ لَا نَجَاسَةُ الْأَبْدَانِ." (٢)

يقول الطبرسي: "يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس" معناه أن الكافرين  
أنجاس. واختلف في نجاسة الكافر؛ فقال قوم من الفقهاء إن الكافر نجس العين، وظاهر الآية يدل  
على ذلك. وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب: امنعوا اليهود والنصارى من دخول  
مساجد المسلمين وأتبع فيه قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ وعن الحسن قال: لا  
تصافحوا المشركين؛ فمن صافحهم فليتوضأ، وهذا يوافق ما ذهب إليه أصحابنا من أن من  
صافح الكافر ويده رطبة وجب أن يغسل يده، وإن كانت أيديهما يابستين مسحهما بالخائط،  
وقال آخرون: إنما ستمهم الله نجسًا لحث اعتقادهم وأفعالهم وأقوالهم وأجازوا للذمي دخول  
المساجد. قالوا: إنما يمتنعون من دخول مكة للحج. قال قتادة سماهم نجسًا لأنهم يجنبون ولا  
يغتسلون ويحدثون ولا يتوضؤون فمنعوا من دخول المسجد لأن الجنب لا يجوز له دخول  
المسجد." (٣)

النون والجيم والسين أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الطَّهارة. وشيءٌ نجسٌ ونَجَسٌ:  
قَذِرَ، والنَّجَسُ القَذَرُ. (٤)

والنجاسة اصطلاحًا: النجاسة عين مستقذرة شرعًا. (١)

---

المحلى بالآثار - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٤٥٦هـ) - الناشر: دار الفكر - بيروت  
(بدون طبعة وبدون تاريخ) - ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٠، وممن صرح أيضًا الرازي كما ذكرت لاحقًا  
(١) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع - شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (٩٧٧هـ) - المحقق: مكتب  
البحوث والدراسات - دار الفكر - الناشر: دار الفكر - بيروت الجزء الأول - ص ٩١  
(٢) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع - ص ٢٩  
(٣) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الخامس ص ٣١ - ٣١  
(٤) مقاييس اللغة الجزء الخامس ص ٣٩٣  
(١) رد المختار على الدر المختار - ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى:  
١٢٥٢هـ) - الناشر: دار الفكر - بيروت - الطبعة: الثانية ١٩٩٢م الجزء الأول ص ٨٥

واتفق الفقهاء على أنَّ النجس "بالفتح" لما كان نجسًا لذاته، فلا يصح إطلاقه على ما كانت نجاسته عارضة، وأمّا النجس "بالكسر" فإنه يطلق عندهم على ما كانت نجاسته عارضة أو ذاتية، فالدم يقال له: نجس ونجس "بالفتح والكسر"، والثوب المتنجس يقال له: نجس "بالكسر" فقط.<sup>(١)</sup>

يقول الرازي: واعلم أنَّ ظاهر القرآن يدل على كونهم أنجاسًا فلا يرجع عنه إلا بدليل منفصل، ولا يمكن ادعاء الإجماع فيه لما بينا أنَّ الاختلاف فيه حاصل<sup>(٢)</sup>، أمّا الزمخشري والقرطبي فقد ذكرا الخلاف دون ترجيح.<sup>(٣)</sup>

وأوافق الرازي في هذا؛ فاللفظ على ظاهره وهو غير مخصص ولا مبرر للعدول عنه إلا بالخبر الصادق، خصوصًا أنَّ السياق الدلالي يدعم هذا، فقوله تعالى إنما هي أداة حصر حصرت الرجس بالمشركين، وتجردها من أيّ تخصيص بتعريف أو إضافة.

### ٣-١-١٢ النموذج الرابع عشر: (الليل)

قال تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَشِّرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

ووقت الصيام عند الشيعة الاثني عشرية من الفجر الصادق، وهو ما لم يخالفوا فيه، أمّا وقت الإفطار فحدوده بظهور الحمرة من جهة المغرب، يقول محمد بن يعقوب: "عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن ابن أبي عمير، عن ذكره، عن

(١) الكتاب: الفقه على المذاهب الأربعة-عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: ١٣٦٠هـ) الناشر: دار الكتب العلمية،

بيروت - لبنان - الطبعة: الثانية- ٢٠٠٣ م الجزء الأول -ص ١٢

(٢) مفاتيح الغيب للرازي-الجزء ١٦ -ص ٢١

(٣) انظر تفسير الزمخشري الجزء الثاني ص ٢٦١ ما بعدها ، وانظر تفسير القرطبي الجزء ٨ ص ١٠٣ وما بعدها.

(٤) البقرة، آية: ١٧٨

أبي عبد الله عليه السلام قال: وقت سقوط القرص ووجوب الإفطار من الصيام أن تقوم بجذاء القبلة، وتتفقد الحمرة التي ترتفع من المشرق، فإذا جازت قمة الرأس إلى ناحية المغرب فقد وجب الإفطار وسقط القرص.

وعن محمد بن عليّ بن الحسين بإسناده عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: يحل لك الإفطار إذا بدت ثلاثة أنجم، وهي تطلع من غروب الشمس.

محمد بن إدريس في آخر (السرائر) نقلًا من كتاب أبي عبد الله السيارى صاحب موسى والرضا عليهما السلام: عن محمد بن سنان، عن رجل سماه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَأَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (١) قال: سقوط الشفق".<sup>(١)</sup>

والشفق محرقة الحمرة في الأفق من المغرب إلى العشاء الآخرة أو إلى قربها، أو إلى قرب العتمة.<sup>(٢)</sup>

ويقول الطبرسي: "ثم أتموا الصيام إلى الليل" أي من وقت طلوع الفجر الثاني وهو المستطيل المعترض الذي يأخذ الأفق وهو الفجر الصادق الذي يجب عنده الصلاة، إلى وقت دخول الليل وهو بعد غروب الشمس، وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق وإقبال السواد منه، وإلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق في الأرض المبسوطة وعدم الجبال والروابي فقد دخل الليل.<sup>(٣)</sup>

واللَّيْلُ: عقيب النهار ومَبْدُؤُهُ من غروب الشمس.<sup>(١)</sup> وفي القاموس المحيط: اللَّيْلُ وَاللَّيْلَةُ: من مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ الصَّادِقِ أَوْ الشَّمْسِ.<sup>(٢)</sup>

(١) وسائل الشيعة - العاملي - الجزء العاشر ١٢٦

(٢) القاموس المحيط - الجزء الأول ص ٨٩٧

(٣) مجمع البيان لطبرسي الجزء الثاني ص ٢٠

(١) لسان العرب - الجزء ١١ ص ٦٠٧

(٢) القاموس المحيط - الجزء الأول ص ١٠٥٥، وانظر التوقيف على مهمات التعاريف - محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ)

هـ)، دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة الأولى، الجزء الأول ص ٦٣٠. وهو لم يخرج عن هذا التعريف

أَمَّا ﴿إِلَى﴾ فهي لانتهاء الغاية، فإذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها فهو داخل في حكمه؛ كقولك: أَشْتَرَيْتُ الْفَدَانَ إِلَى حَاشِيَتِهِ، أو أَشْتَرَيْتُ مِنْكَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ — والمبيع شجر؛ فَإِنَّ الشَّجَرَةَ دَاخِلَةٌ فِي الْمَبْعِ. بخلاف قولك: أَشْتَرَيْتُ الْفَدَانَ إِلَى الدَّارِ؛ فَإِنَّ الدَّارَ لَا تَدْخُلُ فِي الْمَحْدُودِ إِذْ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِهِ.

وبما أَنَّ اللَّيْلَ يَبْدَأُ بِغُرُوبِ الشَّمْسِ، وهو ليس من جنس النهار، فَإِنَّ نَهَايَةَ الصِّيَامِ هُوَ غُرُوبُ الشَّمْسِ.

## ٢-١-١٣ النموذج الخامس عشر: (وجوهكم)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وحدُّ الوجه عند الشيعة الاثني عشرية من قصاص شعر الرأس إلى محاذر شعر الذقن طولًا وما دخل بين الإبهام والوسطى عرضًا، "يقول الحلبي في حد الوجه: وحده طولًا من قصاص شعر الرأس - وهو مبدأ تسطيح الجبهة، لأنَّ ميل الرأس إلى التدوير، ومن أول الجبهة يأخذ الموضع في التسطيح، ويقع به المواجهة، فما فوق التسطيح من الرأس - إلى محاذر شعر الذقن. وأمَّا الترعتان - وهما البياضان المكتنفان للناصية أعلى الجبينين - فخارجان عنه؛ لأنهما في سمت الناصية، وهنَّ جميعًا في حد (جملة) التدوير. كذا يخرج موضع الصلغ؛ لأنه فوق ابتداء التسطيح، فيغسل ما يغسله مستوى الخلقعة، ولا عبرة بانحسار الشعر عنه. ويخرج الصدغانأيضًا، وهما في جانبي الأذن متصلان بالعذارين من فوق الأذن، ولا عبرة بالأغم، فيدخل في الحد موضع الغمم، لأنه في تسطيح الجبهة. ولا عبرة بنبات الشعر على خلاف الغالب، وهو من الوجه، سواء استوعب الغمم الجبهة أو لا. وأمَّا حده عرضًا: فما دارت عليه الإبهام والوسطى

(١) المائدة، آية: ٦



من مستوى الحلقة فلا عبرة بطويل الأصابع حتى يتجاوز العذار، ولا لمن قصرت عنه، بل يرجع  
كمنهم إلى مستوى الحلقة، فيغسل ما يغسله، لأنَّ اسم الوجه إنما يصدق عليه. والعذار والبياض  
المتخلل بينه وبين الأذن خارجان عن حد الوجه لخروجهما عن المواجهة.<sup>(١)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿فاغسلوا وجوهكم﴾ هذا أمرٌ منه - سبحانه - بغسل الوجه، والغسل هو  
إمرار الماء على المحل حتى يسيل، والمسح أن يبيل المحل بالماء من غير أن يسيل، واختُلف في حدّ  
الوجه؛ فالمروي عن أئمتنا عليهم السلام أنه من قصاص شعر الرأس إلى محادر شعر الذقن طولاً  
وما دخل بين الإبهام والوسطى عرضاً. وقيل: حدّه ما ظهر من بشرة الإنسان من قصاص شعر  
رأسه منحدرًا إلى منقطع ذقنه طولاً وما بين الأذنين عرضاً دون ما غطاه الشعر من الذقن وغيره  
أو كان داخل الفم والأنف والعين، فإنَّ الوجه عندهم ما ظهر لعين الناظر ويواجهه دون غيره  
كما قلناه وهو المروي عن ابن عباس وابن عمر والحسن وقتادة والزهري والشعبي وغيرهم،  
وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه. وقيل: الوجه كل ما دون منابت الشعر من الرأس إلى منقطع  
الذقن طولاً ومن الأذن إلى الأذن عرضاً ما ظهر من ذلك لعين الناظر من منابت شعر اللحية  
والعارض وما بطن وما كان منه داخل الفم والأنف وما أقبل من الأذنين على الوجه، عن أنس  
بن مالك وأم سلمة وعمار ومجاهد وسعيد بن جبير وجماعة، وإليه ذهب الشافعي.<sup>(٢)</sup>

وفي المقاييس: الواو والجيم والهاء: أصلٌ واحد يدلُّ على مقابلةٍ لشيءٍ، والوجه مستقبلٌ لكلِّ  
شيءٍ. يقال وَجَّهَ الرَّجُلُ وَغَيْرَهُ<sup>(١)</sup>، وفي الوسيط: الْوَجْهُ ما يَواجهُك من الرَّأس، وفيه العينان  
والفم والأنف.<sup>(٢)</sup>

وفي مفاتيح الغيب: حدُّ الوجه من مبدأ سطح الجبهة إلى منتهى الذقن طولاً، ومن الأذن إلى  
الأذن عرضاً، ولفظ الوجه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل كل ذلك.<sup>(١)</sup>

(١) نهاية الأحكام في معرفة الأحكام - للحلي ص ٣٥-٣٦ - مؤسسة اسماعيليان - قم الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ -

(٢) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثالث ٢٣٤

(١) مقاييس اللغة الجزء السادس ص ٨٨

(٢) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) - دار

الدعوة - الجزء الثاني ١٠١٥

ويقول القرطبي: والوجه في اللغة مأخوذ من المواجهة، وهو عضو مشتمل على أعضاء وله طول وعرض؛ فحدّه في الطول من مبتدأ سطح الجبهة إلى منتهى اللّحيين، ومن الأذن إلى الأذن في العرض.<sup>(٢)</sup>

وما قاله علماؤنا في تحديدهم لحدود الوجه من أنه يشمل بداية الجبهة إلى الذقن، ومن الأذن إلى الأذن هو الصحيح استناداً إلى تعريف اللغويين له على أنه ما استقبل من الشيء، وإذا أخذنا صورة لما يستقبل من الوجه فستظهر بهذا الشكل، من الجبهة إلى الذقن ومن الأذن إلى الأذن.



### ٣-١-١٦ النموذج السادس عشر: الصيد

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾<sup>(٣)</sup>

ولا تجيز الشيعة الاثنا عشرية الصيد؛ سواء كان مما يحل أكله أو لا، يقول السيستاني: "لا يجوز للمُحَرَّم استحلال شيء من صيد البر، سواء في ذلك اصطياده وقتله وجرحه وكسر عضو منه، بل ومطلق إيدائه، كما لا يجوز ذلك للمحل في المحرم أيضاً، والمراد بالصيد الحيوان الممتنع بالطبع وإن تأهل لعارض، ولا فرق فيه بين أن يكون محلل الأكل أم لا على الأظهر."<sup>(١)</sup>

ويقول الطبرسي: "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾ اختُلف في معنى الصيد؛ ف قيل: هو كل الوحش أكل أو لم يؤكل وهو قول أهل العراق، واستدلوا بقول عليّ (ع): صَيْدُ الْمُلُوكِ

(١) مفاتيح الغيب للرازي-الجزء ١١ ص ٣٠٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي الجزء السادس ص ٨٣

(٣) المائدة، آية: ٩٥

(١) مناسك الحج للسيستاني ص ١٠٣ الطبعة الأولى ١٤١٣

أَرَانِبٌ وَتَعَالَيْفًا إِذَا رَكِبْتَ فَصَيْدِي الْأَبْطَالُ، وهو مذهب أصحابنا رضي الله عنهم. وقيل: هو كل ما يؤكل لحمه وهو قول الشافعي.<sup>(١)</sup>

وفي مقاييس اللغة: الصاد والياء والذال أصلٌ صحيح يدلُّ على معنى واحد، وهو ركوبُ الشيء رأسه ومُضِيَّه غير ملتفتٍ ولا مائل. من ذلك الصَّيْدُ، وهو أن يكون الإنسانُ ناظرًا أمامه. قال أهل اللغة: الأَصِيدُ: المَلِكُ، وجمعه الصَّيْدُ. قالوا: وسميَ بذلك لقلَّة التفاتِهِ. ومن الناس مَنْ يكونُ أَصِيدَ خَلْقَةٍ. واشتقاق الصَّيْد من هذا، وذلك أنَّه يمرُّ مرًّا لا يعرِّج، فإذا أُخِذَ قيل قد صيد.<sup>(٢)</sup>

والصيد اصطلاحًا: هو الاصطياد ويطلق على ما يصاد مجازًا إطلاقًا لاسم المصدر على المفعول، وهو المتوحش الممتنع بأصل الخلقة عن الآدمي مأكولًا كان أو غير مأكول.<sup>(٣)</sup>

ويقول ابن كثير: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ" وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام، ونهي عن تعاطيه فيه، وهذا إنما يتناول من حيث المعنى: المأكول، وما يتولد منه ومن غيره، فأما غير المأكول من حيوانات البر، فعند الشافعي يجوز للمحرم قتلها، والجمهور على تحريم قتلها أيضًا، ولا يُستثنى من ذلك إلا ما ثبت في الصحيحين من طريق الزهري عن عروة، عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور".<sup>(٤)</sup>

ورجح الرازي قول الشافعي في جواز صيد ما لا يؤكل.<sup>(٥)</sup>

والأرجح - والله أعلم - أن الصيد كلمة تدل على العموم، ولا دليل على تخصيص معناها في الآية، إلا ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: "خمسٌ ليسَ على المحرم في قتلهنَّ جناحٌ: الغُرابُ، والحدأةُ، والعقربُ، والفأرةُ، والكلبُ العقورُ".<sup>(٦)</sup>

(١) مجمع البيان للطبرسي-الجزء الثالث ٣٤٣-٣٤٤

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس-الجزء الثالث ص ٣٢٥

(٣) البحر الرائق شرح كتر الدقائق- لابن نجيم -دار الكتب العلمية بيروت- الطبع الأولى -١٩٧٧-الجزء الثامن ص ٤٠٦

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الجزء الأول ص ١١٨

(٥) الجزء ١٢ ص ٤٣٠

### ٣-١-١٧ النموذج السابع عشر: التقية

قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup>

توسّع الشيعة الاثنا عشرية في مفهوم التقية فقد ورد في الكافي للكليني: "قال جعفر الصادق - كما يزعمون -: "إنّ تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له والتقية في كل شيء إلّا في شرب النبيذ والمسح على الخفين"<sup>(٣)</sup>، وينسبون إلى الصادق كذلك أنه قال: "التقية ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له."<sup>(١)</sup>، بل تجب التقية مع أهل السنة خصوصاً حين ظهور الإمام مع أهل السنة خصوصاً، فقد بوّب الحر العاملي باباً في "وسائله" بعنوان: "باب وجوب عشرة العامة (أهل السنة بالتقية)."<sup>(٢)</sup>

يقول الطبرسي: "وقوله ﴿ومن يفعل ذلك﴾ معناه من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿فليس من الله في شيء﴾ أي ليس هو من أولياء الله والله بريء منه. وقيل: ليس هو من ولاية الله تعالى في شيء. وقيل: ليس من دين الله في شيء، ثم استثنى فقال: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ والمعنى إلا أن يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن إن لم يظهر

<sup>(١)</sup> سنن النسائي - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الطبعة: الأولى - سنة الطبع: 1409 هـ - حديث صحيح رقم

١٣٥٦١

<sup>(٢)</sup> آل عمران، آية: ٢٨

<sup>(٣)</sup> الخصال للصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي - صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري - مؤسسة

النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - بقم - ص ٢٢

<sup>(١)</sup> الاصول من الكافي - لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي - دار الكتب الإسلامية - نوبت چاپ: چهارم

زمستان ١٣٦٥ - الجزء الثاني ص ٢١٧

<sup>(٢)</sup> وسائل الشيعة - للحر العاملي الجزء ١٦ ص ٢١٩

موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم فعند ذلك يجوز له إظهار مودتهم بلسانه ومداراتهم تقية منه ودفعاً عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك. وفي هذه الآية دلالة على أن التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس وقال أصحابنا: إنها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن، ولأن يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد في الدين. قال المفيد: إنها قد تحدث أحياناً وتكون فرضاً ويجوز أحياناً من غير وجوب وتكون في وقت أفضل من تركها، وقد يكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذوراً ومعوفاً عنه متفضلاً عليه بترك اللوم عليها، وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي (قده) ظاهر الروايات تدل على أنها واجبة عند الخوف على النفس. وقد روي رخصة في جواز الإفصاح بالحق عنده. وروى الحسن أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أفتشهد أني رسول الله؟ فقال: نعم، ثم دعا بالآخر فقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. ثم قال: أفتشهد أني رسول الله؟ فقال: إني أصم، قالها ثلاثاً، كل ذلك يجيبه بمثل الأول؛ فضرب عنقه. فبلغ ذلك رسول الله فقال أما ذلك المقتول فمضى على صدقه ويقينه وأخذ بفضلته فهنيئاً له. وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه؛ فعلى هذا تكون التقية رخصة والإفصاح بالحق فضيلة.<sup>(١)</sup>

**وأقول:** إن اتخاذ مفسري الشيعة الاثني عشرية - ومنهم الطبرسي - من هذه الآية دليلاً على التقية هو من باب التوسع في الدلالة، من غير مبرر، بل على العكس ففي الآية أدلة كثيرة لتخصيص دلالة التقية، فالآية اشتملت على نهي بقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم شرط يتضمن ما يترتب على موالاتهم من براءة الله بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ ثم استثناء<sup>(٢)</sup> ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ ثم تحذير بقوله تعالى

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثاني ٢٢١

(٢) «إلا» أداة حصر، والمصدر المؤول مفعول لأجله أي: لا يتخذ المؤمن الكافر ولياً لشيء من الأشياء إلا اتقاءً ظاهراً، والمستثنى مفرغ للمفعول لأجله، وعامله (لا يتخذ) أنظر مشكل إعراب القرآن الكريم - أحمد بن محمد الخراط - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة - 1426 هـ - الجزء الأول ص ١١٤.

﴿ويحذرکم الله نفسه﴾، فالاستثناء في هذه الآية سبق بنفي وشرط واتبع بتحذير؛ فلا يجوز التوسع.

### ٣-١-١٨ النموذج الثامن عشر: الكبيرة

يقول تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾<sup>(١)</sup>

تعتقد الشيعة الاثنا بأن المعاصي كلها كبيرة، ولا يوجد كبائر وصغائر. يقول النراقي في مستنده: "وقد اختلفوا أولاً في تقسيم الذنوب إلى الكبائر والصغائر، فحكي عن جماعة منهم: المفيد والطبرسي والشيخ في العدة والقاضي والحلي إلى عدم التقسيم: بل الذنوب كلها كبائر، ونسبه الثاني في تفسيره إلى أصحابنا، مؤذناً بدعوى الاتفاق، وكذلك الحلي، حيث قال بعد نقل القول بالتقسيم إلى الكبائر والصغائر وعدم قبح الثاني نادراً في قبول الشهادة عن المبسوط: ولا ذهب إليه أحد من أصحابنا؛ لأنه لا صغائر عندنا في المعاصي إلا بالإضافة إلى غيرها.... ثم إنه استدلل على كون الجميع كبائر باشتراك الجميع في مخالفة أمره تعالى ونهيه، ولذلك جاء في الحديث: "لا تنظر إلى ما فعلتَ ولكن انظر إلى ما عصيت..." وذهب طائفة - منهم: الشيخ في النهاية والمبسوط وابن حمزة والفاضلان والشهيدان، بل أكثر المتأخرين كما في المسالك، بل عامتهم كما قيل، ونسب إلى الإسكافي والديلمي أيضاً - إلى انقسام المعاصي إلى الكبائر والصغائر، بل يستفاد من كلام الصيمري وشيخنا البهائي في الحبل المتين على ما حكي عنهما الإجماع عليه."<sup>(١)</sup>

(١) النساء، آية: ٣١

(١) مستند الشيعة لأحمد النراقي - الجزء ١٨ ص ١٢٢.

ويتبع فيقول: "وهو الحق ؛ لظاهر قوله سبحانه: ﴿إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾"<sup>١</sup>

ويقول الطبرسي: "﴿كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾" اختلف في معنى الكبيرة ف قيل: كل ما أوعده الله تعالى عليه في الآخرة عقاباً، وأوجب عليه في الدنيا حداً فهو كبيرة، وهو المروي عن سعيد بن جبير، ومجاهد. وقيل: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة عن ابن عباس، وإلى هذا ذهب أصحابنا فإنهم قالوا: المعاصي كلها كبيرة من حيث كانت قبائح لكن بعضها أكبر من بعض، وليس في الذنوب صغيرة وإنما يكون صغيراً بالإضافة إلى ما هو أكبر منه ويستحق العقاب عليه أكثر والقولان متقاربان. وقالت المعتزلة: الصغيرة ما نقص عقابه عن ثواب صاحبه، ثم إنَّ العقاب اللازم عليه ينحبط بالاتفاق بينهم وهل ينحبط مثله من ثواب صاحبه. فعند أبي هاشم ومن يقول بالموازنة ينحبط. وعند أبي عليّ الجبائي لا ينحبط، بل يسقط الأقل، ويبقى الأكثر بحاله، والكبيرة عندهم ما يكبر عقابه عن ثواب صاحبه. قالوا: ولا يعرف شيء من الصغائر ولا معصية إلا ويجوز أن يكون كبيرة، فإنَّ في تعريف الصغائر إغراء بالمعصية، لأنه إذا علم المكلف أنَّه لا ضرر عليه في فعلها ودعته الشهوة إليها فعلها. وقالوا عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر ولا يحسن معه المؤاخذه بها، وليس في ظاهر الآية ما يدلُّ عليه؛ فإنَّ معناه على ما رواه الكلبي عن ابن عباس إنَّ تحتنبوا الذنوب التي أوجب الله فيها الحد، وسمي فيها النار نكفر عنكم ما سوى ذلك، من الصلاة إلى الصلاة، ومن الجمعة إلى الجمعة، ومن شهر رمضان إلى شهر رمضان."<sup>(١)</sup>

والكاف والباء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خلاف الصَّغَر<sup>(٢)</sup>. وفي اللسان: وفي التثريل العزيز: الذين يَحْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ. وفي الأحاديث ذكر الكبائر في غير موضع، واحدها كبيرة، وهي الفعلُ القبيحُ من الذنوب المنهي عنها شرعاً، العظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف وغير ذلك، وهي من الصفات الغالبة.

<sup>١</sup> المصدر السابق

<sup>(١)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثالث ص ٥٩

<sup>(٢)</sup> مقاييس اللغة - الجزء الخامس ص ١٥٣

وفي الحديث عن ابن عباس: أَنَّ رجلاً سألَه عن الكبائر: أَسْبَعُ هي؟ فقال: هي من السبعمئة أَقْرَبُ؛ إلا أَنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار. وروى مَسْرُوقٌ قال: سئلَ عبد الله عن الكبائر فقال: ما بين فاتحة النساء إلى رأس الثلاثين.<sup>(١)</sup>

ويقول القرطبي: "لما نهي تعالى في هذه السورة عن آثامٍ هي كبائر، وعَدَّ على اجتنبها التخفيف من الصغائر، ودلَّ هذا على أَنَّ في الذنوب كبائرٌ وصغائرٌ. وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء، وأنَّ اللَّمسَةَ والنظرة تُكفِّرُ باجتناب الكبائر قطعاً بوعده الصدق وقوله الحق، لا أَنه يجب عليه ذلك."<sup>(٢)</sup>

وفصَّلَ الرازي الأقوال كلها في الصغائر والكبائر مرجحاً أَنَّ من الذنوب صغارها وكبارها محتجاً بعدد من الحجج<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا معظم المفسرين.

وبالنظر إلى التعريفات اللغوية وتفسير المفسرين؛ نجد أَنه لا بد من المقابلة بين الكبيرة والصغيرة؛ فلو لا أَنه يوجد صغيرة لما سميت الكبيرة كبيرة.

### ٣-١-١٩ النموذج التاسع عشر: كلمة (فراشاً)

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

سبب توجيه هذه الآية هو اعتقاد الطبرسي بأنَّ الأرض منبسطة وليست كروية، لم يجمع أئمة الشيعة الاثني عشرية على الاعتقاد بعدم كروية الأرض مع تأثرهم بالمعتزلة الذين يعتقدون بذلك كما قال الجبائي. يقول المفيد في أوائل المقالات: "إنَّ الأرض على هيئة كرة في وسط فلك وهي ساكنة لا تتحرك وعلة سكونها أَنها في المركز."<sup>(٢)</sup> أمَّا المجلسي في بحار الأنوار فيقول: "والفراش

(١) لسان العرب - الجزء الخامس ١٢٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الجزء الخامس ١٥٨

(٣) انظر مفاتيح الغيب للرازي الجزء العاشر ص ٦٣ وما بعدها

(١) البقرة، آية: ٢٢

(٢) أوائل المقالات للمفيد ص ١٩٩



اسم لما يفرش كالبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراض أن يكون سطحاً مستوياً كالفرش على ما ظن؛ فسواء كانت كذلك وعلى شكل الكرة فالافتراض غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد أطرافها.<sup>(١)</sup>

ويقول الطبرسي في توجيه هذه الآية: "فقال سبحانه: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ أي: بساطاً يمكنكم أن تستقروا عليها وتفرشوها وتتصرفوا فيها؛ وذلك لا يمكن إلا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون."<sup>(٢)</sup>

أمّا علماؤنا؛ فلم يفسرها أحدهم بكروية الأرض يقول ابن تيمية في هذا: "وكذلك أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة. قال: ويدل عليه أن الشمس والقمر والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد، بل على المشرق قبل المغرب."<sup>(٣)</sup>

وفي القاموس المحيط: فَرَشَ فَرَشًا وفَرَشًا: بَسَطَهُ.<sup>(٤)</sup>

في لسان العرب: فَرَشَ الشيءَ يَفْرِشُهُ وَيَفْرِشُهُ فَرَشًا وفَرَشَهُ فَاثْرَشَ وَاثْرَشَهُ: بَسَطَهُ. الليث: الْفَرَشُ مصدر فَرَشَ يَفْرِشُ وَيَفْرِشُ وهو بسط الفراش، وَاثْرَشَ فلان ثَرَابًا أو ثوبًا تحته. وقوله تعالى: الذي جعل لكم الأرض فراشاً؛ أي وطاءً لم يجعلها حَزَنَةً غَلِيظَةً لا يمكن الاستقرار عليها.<sup>(١)</sup>

وفسرها الطبري بالمهاد<sup>(٢)</sup>، وكذلك الزمخشري<sup>(٣)</sup> قال إنه لا يوجد دليل في الآية يدل على كروية الأرض<sup>(١)</sup>، وكذلك القرطبي: يقول: "﴿فَرَشًا﴾ أي وطاءً يفرشونها ويستقرون عليها.

(١) بحار الأنوار للمجلسي - الجزء ٦٠ ص ٣٩٧ - من طبعة دار إحياء التراث

(٢) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الأول - ص ٨٠

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٥/١٩٥

(٤) القاموس المحيط - الجزء الأول ص ٦٠٠

(١) لسان العرب

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - الجزء الأول ٣٨٧

(٣) عل أنه معتزلي لكن لم يوافق الشيعة.

وما ليس بفراشٍ كالجبال والأوعار والبحار فهي من مصالح ما يفترش منها؛ لأنَّ الجبال كالأوتاد؛ كما قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾.<sup>(٢)</sup>

وأقول: إنَّ فراشًا تدل على انبساط الأرض؛ فالفراش كما هو في المعاجم البساط وهذا ينطبق ولا يتعارض مع كون الأرض كروية لاتساعها، وهذا رأي معظم المفسرين، قال تعالى: ﴿الْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾<sup>(٣)</sup>

### ٣-٢ المبحث الثاني: تخصيص الدلالة:

والتخصيص لغة: الأفراد ومنه الخاصة. واصطلاحًا: قال ابن السمعاني: تمييز بعض الجملة بالحكم، وتخصيص العام ببيان ما لم يرد بلفظ العام. وقال ابن الحاجب: قصر العام على بعض مسمياته، ورد بأنَّ لفظ القصر يحتمل القصر في تناول أو الدلالة أو الحمل أو الاستعمال. وذكر ابن الحاجب أنَّ التخصيص يطلق على قصر اللفظ على بعض مسمياته، وإنَّ لم يكن عامًا، كما يطلق العام على اللفظ بمجرد تعدد مسمياته.<sup>(١)</sup>

### ٣-٢-١ النموذج الأول: (العالمين)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>

---

(١) الكشف للزمخشري- الجزء الأول ص ٩٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن- الجزء الأول ص ٢٢٢

(٣) النازعات، آية: ٣٠

(١) البحر المحيط- بدر الدين بن محمد بهادر الزركشي -دار الكتيبي -سنة النشر: ١٤١٤هـ-الطبعة الأولى - الجزء الرابع

٣٢٦

(٢) آل عمران، الآية ٤٢

(٣) آل عمران، الآية: ٣٤

لجأ مفسرو الشيعة - ومنهم الطبرسي - إلى توجيه الآيتين، على اعتبار أن اصطفاء عادم وتوحيًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين في الآية الثانية، يدل في ظاهره على اصطفائهم على آل محمد، أما في الآية الأولى فاصطفاء السيدة مريم، يدل في ظاهره على تفضيلها على السيدة فاطمة رضي الله عنها، وقد لقبها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بسيدة نساء العالمين<sup>(١)</sup>؛ لذلك وجه مفسرو الشيعة هذه الآية بعيداً عن هذه التأويلات.

ويقول الطبرسي في توجيه الآية الأولى: "﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾ أي: على نساء زمانك؛ لأن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها سيدة نساء العالمين، وهو قول أبي جعفر (ع). وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "فُضِّلْتُ خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين"، وقال أبو جعفر معنى الآية: اصطفاك من ذرية الأنبياء وطهرتك من السفاح واصطفاك لولادة عيسى (ع) من غير فحل.<sup>(١)</sup> ويقول الطبرسي في توجيه الآية الثانية يقول: "أي على عالمي زمانهم أن جعل الأنبياء منهم."<sup>(٢)</sup>

ثم يذكر عدة آراء لم ينسبها لنفسه؛ منها أنه اختار دينهم، أو أنه اختارهم للنبوّة، وغيرها من الأمور الجليلة التي رتبها الله لهم.

وبعد هذا التوجيه الذي استند به على اللغة يقول: "وفي قراءة أهل البيت وآل محمد (ع) على العالمين وقالوا أيضاً إن آل إبراهيم هم آل محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم أهله ويجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين مترهين عن القبائح؛ لأنه تعالى لا يختار ولا

<sup>(١)</sup> عن عائشة رضي الله عنها، قالت: أَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِيكَانَ مَشْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهَا عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسْرَأَ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسْرَأَ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكْتُ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ؟ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَتْ؟ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَقْبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: أَسْرَأَ إِلَيَّ إِنْ جِيرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي، وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي، فَبَكَيتُ، فَقَالَ: أَمَّا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ (صحيح البخاري - الجزء الرابع ص ٢٠٢)

<sup>(١)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثاني ص ٢٣٥

<sup>(٢)</sup> المصدر السابق.

يصطفي إلا من كان كذلك ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة. فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوماً من آل إبراهيم وآل عمران سواء كان نبياً أو إماماً.<sup>(١)</sup>

ثم يقول: "وفي هذه الآية دلالة على تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم أجمعين الصلاة والسلام؛ لأنّ العالمين يعم الملائكة وغيرهم من المخلوقين، وقد فضلهم سبحانه واختارهم على الكل."<sup>(٢)</sup>

وهذا الكلام موجود في معظم تفاسير الشيعة من زيادة (آل محمد) على الآية<sup>(٣)</sup>، وهو غير موجود عند غيرهم، أمّا اشتغال آل إبراهيم على آل محمد، فممن ذكر ذلك واختاره من مفسري أهل السنة ابن كثير يقول: "واصطفى آل إبراهيم، ومنهم سيد البشر وخاتم الأنبياء على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم وآل عمران."<sup>(٤)</sup>

وللوقوف على دلالة كلمة ﴿العالمين﴾<sup>(١)</sup>، فقد دلت كلمة عالمين في معظم معاجم اللغة على عموم الخلق، وأنها جمع لكلمة عالم.

ففي المقاييس: العالمون، ذلك أنّ كلّ جنسٍ من الخلق فهو في نفسه معلّم وعلم، وقال قوم: العالم سمي لاجتماعه. قال الله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ٤٥، الصافات: ١٨٢]، قالوا: الخلائق أجمعون<sup>(٢)</sup>، وفي الصحاح الخلق، والجمع العوالم. والعالمون: أصناف الخلق<sup>(٣)</sup>.

(١) مجمع البيان للطبرسي-الجزء الثاني ص ٢٣٥

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر تفسير القمي، التبيان الجامع لعلوم القرآن للطوسي في تفاسيرهم موضع الآية

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الجزء الثاني ص ٢٧

(١) العالمون ملحق بجمع المذكر السالم: هو لفظ دل على اثنين أو أكثر بزيادة واو ونون أو ياء ونون، ويشترط في جمع المذكر السالم في الاسم الجامد أن يكون علماً لمذكر عاقل خالياً من التاء ومن التركيب، ويشترط في الاسم المشتق أن يكون صفة لمذكر عاقل خالية من تاء التأنيث، وليست على وزن أفعل الذي مؤنثه فعلاء ولا على وزن فعلاء الذي مؤنثه فعلى، وليس في ما يستوى فيه المذكر والمؤنث، فإذا فقد أحد الشروط الواجب توافرها في جمع المذكر السالم، عندها تسمى ملحقا بجمع المذكر السالم مثل ألفاظ العقود وكلمة سنون وبنون وعلمون وعليون.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس -الجزء الرابع ص ١١٠

(٣) الصحاح في اللغة -الجزء الخامس ص ١٩٩١

وفي لسان العرب العالمون: أصناف الخلق. والعالم: الخلق كله، والجمع عالمون، ولا يجمع شيء على فاعلٍ بالواو والنون إلا هذا. وقيل: جمع العالم الخلق العوالم. وفي التتريل: الحمد لله رب العالمين؛ قال ابن عباس: ربّ الجن والإنس، وقال قتادة: رب الخلق كلهم. قال الأزهري: الدليل على صحة قول ابن عباس قوله عز وجل: تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً؛ وليس النبي، صلى الله عليه وسلم، نذيراً للبهايم ولا للملائكة وهم كلهم خلق الله، وإنما بُعث محمد، صلى الله عليه وسلم، نذيراً للجن والإنس. وقال الزجاج: معنى العالمين كل ما خلق الله، كما قال: وهو ربُّ كل شيء<sup>(١)</sup>، وفي الوسيط: العالم: الخلق كله، وقيل: كلُّ ما حواه بطن الفلك. وكلُّ صنف من أصناف الخلق، كعالم الحيوان، وعالم النبات. (ج) عوالم، وعالمون.<sup>(٢)</sup>

فهي تدل على عموم الخلق في معظمها، إلّا ما ذكر في اللسان من تخصيص ابن عباس رضي الله عنه لها بالجن والإنس.

أمّا المفسرون، فقد اختلفوا في توجيه الآية لغوياً، وخصص معظمهم مدلول كلمة العالمين بعالمي زمانهم، يقول القرطبي: "ومعنى قوله: «عَلَى الْعَالَمِينَ» أي على عالمي زمانهم." ونقلنا لترمذي الحكيم أبو عبد الله محمد ابن علي: جميع الخلق كلهم. وقيل «عَلَى الْعَالَمِينَ»: على جميع الخلق كلهم إلى يوم الصور، وذلك أنّ هؤلاء رُسُلُ وأنبياء فهم صفوة الخلق؛ فأما محمد صلى الله عليه وسلم فقد جازت مرتبته الاصطفاء لأنه حبيب ورحمة.<sup>(١)</sup> ويقول الرازي معللاً لتخصيص لفظة العالمين بعالمي زمانهم: "إنّ حملنا هذه الآية على تفضيل المذكورين فيها على كل العالمين أدى إلى التناقض؛ لأنّ الجمع الكثير إذا وصفوا بأنّ كلّ واحد منهم أفضل من كل العالمين يلزم كون كل واحد منهم أفضل من كل العالمين، ويلزم كون كل واحد منهم أفضل من الآخر وذلك محال، ولو حملناه على كونه أفضل عالمي زمانه أو عالمي جنسه لم يلزم

(١) لسان العرب الجزء ١٢ ص ٤٢١

(٢) المعجم الوسيط الجزء الثاني ٦٢٤

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الجزء الرابع ص ٦٣

التناقض.<sup>(١)</sup>، ومنهم من جعل لفظة العالمين عامة باعتبار أن آل إبراهيم تشمل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يقول ابن كثير: "إنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض."<sup>(٢)</sup>

وهناك رأي للباحث عمرو الشاعر<sup>(٣)</sup> يقول فيه إن ﴿العالمون﴾ هم الأمم أو الجماعات أو المجتمعات البشرية المختلفة. في زمانٍ ما وليس مطلقاً معللاً لذلك بقوله: إن هذه الكلمة تُجمع على "عوالم"، فإذا جُمعت على هذا الوزن كانت بالمعنى الذي ذكره المفسرون، ولكن الله تعالى لم يجمعها على عوالم، وإنما جمعها على "عالمون".

وكما نرى، فإنَّ الكلمة مما انتهت بالواو والنون، وهما لا يكونان في الجمع إلا مع العاقل! فيكون هذا دليلاً على أن الحديث عن عوالم عاقلة! وبهذا يمكننا استبعاد الجمادات والدواب وكل ما عدا العاقل.

وهذا الرأي ليس غريباً، فابن عباس حدد كلمة العالمين بالإنس والجن فقط، كما ذكر سابقاً.

أمّا تعليله لتحديد هذه الكلمة بزمان معين فقد استضاء بقول الرازي<sup>(١)</sup> في تفسيره للآية رقم ٤٧ من سورة البقرة<sup>(٢)</sup>، يقول عمرو الشاعر: "إنَّ المراد من العالمين هو المجتمعات البشرية فقط، ولا يدخل الجن فيها، لأنَّ الجن والملائكة لا يسمون عالماً؛ لأنَّ العالم لا يكون إلا لمن له أثر ويُرى."، وذكر قول الإمام الرازي: "وهذا ضعيف؛ لأنَّ لفظ العالم مشتق من العلم وهو الدليل، فكل ما كان دليلاً على الله تعالى كان عالماً، فكان من العالم."<sup>(٣)</sup>

(١) مفاتيح الغيب للرازي-الجزء الثامن ص ١٩٩

(٢) تفسير القرآن الكريم لابن كثير-الجزء الثاني ص ٢٧

(٣) موقع عمرو الشاعر على الشبكة العنكبوتية

(١) مفاتيح الغيب للرازي-الجزء الثالث ص ٤٩٢

(٢) قال تعالى: (يٰٓيٰۤاَيُّهَا اِسْرَآئِيْلُ اذْكُرُوْا نِعْمَتِيَ الَّتِيْ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَنِّيْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعٰلَمِيْنَ)

(٣) مفاتيح الغيب للرازي-الجزء الثالث ص ٤٩٢

يقول عمرو الشاعر: "والعالم مشتق من العلم وهو ترك الأثر! ومن المعلوم أننا لا نرى لا الملائكة ولا الشياطين، ولا أثر مباشر لهم، لذا لا يُسمون ﴿عالم﴾! فلا يدخلون في هذا المصطلح، كما إن الأوصاف المذكورة في حقهم تحتم أن يكونوا بشرًا."<sup>(١)</sup>

وأرى أن تحديد دلالة كلمة العالمين بأنها تدل على المجتمعات البشرية في زمان معين صحيح، ومما يستدل به لغويًا على صحته:

١- جمعها جمع مذكر سالم، كما ذكر الباحث عمرو الشاعر، وإن كان هذا الجمع ملحقاتًا بجمع المذكر لأنه جمع لكلمة عالم، وهو اسم جنس جامد وليس علمًا، وجمع المذكر السالم جمع للعاقل، فهو دليل على أن كلمة عالمون يُستثنى منها غير العاقل من أصناف الخلق.

٢- اشتقاقها من كلمة علم ومعناها العلامة، وفي اللسان: العَلَمُ العلامة، والجبل الطويل، وهذا دليل على أنها تدل على من يترك أثر ومن المعلوم أننا لا نرى الملائكة ولا الشياطين، ولا أثر مباشر لهم، لذا لا يُسمون عالما، وهو رأي للرازي.

٣- دخول أل التعريف على الكلمة؛ مما يفيد معناها معنى التعريف والعهد، فكلمة العالمين تدل على العالمين المعروفين عند الناس، والملائكة والجن غير معروفين عند الناس، كما إن الأمم اللاحقة غير معروفة أيضًا.

إن تحديد معنى العالمين بهذا المدلول ينطبق على جميع السياقات القرآنية التي وردت بها كلمة عالمين وهي واحد وستون موضعًا<sup>(١)</sup>، دون الحاجة إلى توجيهها في كل مرة ترد فيها، كما في قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وغيرها من المواضع التي في كل منها سعى علماء اللغة والتفسير إلى تأويلها بما يتناسب مع النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله.

<sup>(١)</sup> بحث لعمرو الشاعر على الموقع الخاص به

<sup>(١)</sup> المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - ص ١٨٠ - ١٨١

<sup>(٢)</sup> البقرة، الآية ٤٧

وأما تأويله لآل إبراهيم بأنه يشمل آل محمد، فلا داعي له في ضوء ما عرضنا لمعنى كلمة عالين.

### ٣-٢-٢ النموذج الثاني: (القربى)

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(١)</sup>

ويرجع توجيه هذه الآية إلى رغبة الشيعة الاثني عشرية بتوجيه معاني آيات نحو آل البيت، فما كان مدحاً فهو فيهم، وما كان ذمّاً فهو بأعدائهم.

يقول الطبرسي: "﴿لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾" اختلف في معناه على أقوال؛ أحدها: لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً إلا التوادد والتحاب فيما يقرب إلى الله تعالى من العمل الصالح، عن الحسن والجبائي وأبي مسلم قالوا: هو التقرب إلى الله تعالى والتودد إليه بالطاعة. وثانيها: أن معناه إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتحفظوني لها، عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة قالوا وكل قريش كانت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة وهذا لقريش خاصة، والمعنى إن لم تودوني لأجل النبوة فودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم. وثالثها: أن معناه إلا أن تودوا قرابتي وعترتي<sup>(١)</sup> وتحفظوني فيهم عن علي بن الحسين

<sup>(١)</sup> الشورى، الآية: ٢٣

<sup>(١)</sup> سئل أمير المؤمنين عليه السلام: من العترة؟ قال: "أنا والحسن والحسين عليهما السلام، والأئمة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديهم وقائمهم. لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه.



(ع) وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وجماعة وهو المروي عن ابن جعفر وأبي عبد الله (ع).<sup>(١)</sup>

وتأويل ذي القربى<sup>(٢)</sup> بآل البيت شائع في تفاسير الشيعة.<sup>(٣)</sup>

وفي لسان العرب: القرب نقيض البعد قرب الشيء، بالضم، يَقْرُبُ قُرْبًا وقُرْبَانًا وقُرْبَانًا أي دنا، فهو قريب، والقريبُ والقريبة ذو القرابة، والجمع من النساء قَرَائِبُ، ومن الرجال أَقَارِبُ، ولو قيل قربي لجاز.

والقَرَابَةُ والقربى الدُّنُو في النسب، والقربى في الرَّحِم، وهي في الأصل مصدر.<sup>(١)</sup>

وفي القاموس المحيط: قَرَبَ منه، كَكَرَّم، وقَرَبَهُ، كَسَمِعَ، قُرْبًا وقُرْبَانًا وقُرْبَانًا: دنا، فهو قريب، للواحد والجمع والمقربةُ مُثَلَّثَةُ الرَّاءِ، والقربةُ، (والقربةُ) والقربى: القَرَابَةُ. وهو قَرِيبِي وذو قَرَابَتِي، ولا تَقُلْ: قَرَابَتِي. وأقرباؤك وأقاربك وأقربوك: عَشِيرَتُكَ الْأَدْنَوْنَ.<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> مجمع البيان للطبرسي ص ٣٧

<sup>(٢)</sup> ومن الآيات أيضًا التي وردت فيها كلمة القربى ووجهها الطبرسي بنفس المعنى:

قوله تعالى: (وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ نَبْذِيرًا)<sup>(٢)</sup>  
وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)<sup>(٣)</sup>

يقول الطبرسي في تأويل القربى بآية الاسراء: ((وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) معناه وأعطِ القرابات حقوقهم التي أوجبها الله لهم في أموالكم عن ابن عباس والحسن، وقيل إن المراد قرابة الرسول عن السدي قال إن علي بن الحسين (ع) قال لرجل من أهل الشام حين بعث به (ع) عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أمّا قرأت (وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) قال: وإنكم ذو القربى الذي أمر الله أن يؤتى حقه قال: نعم. وهو الذي رواه أصحابنا عن الصادقين (ع).<sup>(٢)</sup>  
وفي آية النحل يقول الطبرسي: (وإيتاء ذي القربى) أي ويأمركم بإعطاء الأقارب حقهم بصلتهم وهذا عام وقيل المراد بذوي القربى قرابة النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرادهم الله بقوله (فإن الله خمسته وللرسول ولذي القربى) [الأنفال: ٤١] على ما مر تفسيره وهو المروي عن أبي جعفر (ع) قال نحن هم<sup>(٣)</sup>.

فالطبرسي يؤكد بالآيتين على تخصيص دلالة ذي القربى بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومعظم مفسري أهل السنة على أن ذي القربى هم الأرحام، وليست خاصة بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

<sup>(٣)</sup> انظر الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن للعسال ص ٢٥٦

<sup>(١)</sup> لسان العرب - الجزء الأول ص ٦٢٢

ويقول الفراء: "لا أسألكم على الرسالة أجراً إلا المودة في قرابتي بكم". وقال ابن عباس: «لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» في قرابتي من قريش<sup>(٢)</sup>، ويمثله قال الزجاج<sup>(٣)</sup>.

وذكر النحاس أربعة توجيهات لهذه الآية، ولم يرجح أحداً منها، وهي التوجيهات الثلاثة التي ذكرها الطبرسي، ورأي رابع للضحاك من أن هذه الآية منسوخة بقوله جل وعز ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم﴾ فالذي سئلوه أن يودوه بقرابته ثم رده الله إلى ما كان عليه الأنبياء كما قال نوح وهود ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾، ويذكر النحاس رواية عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال: "لما نزلت ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ إلا المودة في القربى﴾ قالوا يا رسول الله، من هؤلاء الذين نودهم؟<sup>(٤)</sup> قال: علي وفاطمة وولدها.<sup>(٥)</sup>

ويقول السمين: "وأحسن ما سمعت في معنى هذه الآية حكاية الشعبي قال: أكثر الناس علينا في هذه الآية فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عنها. فكتب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوسط الناس في قريش، ليس بطن من بطونهم إلا قد ولدته، فقال الله تعالى: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تؤدوني في قرابتي منكم فارغوا ما بيني وبينكم فصددوني."<sup>(١)</sup> وهو ما اختاره ابن كثير<sup>(٢)</sup>.

**وأغلب الظن - والله أعلم - أن المقصود من قوله تعالى: ﴿إلا المودة في القربى﴾ مودة رسول الله لقرابته منهم، ومما يستدل به على ذلك:**

أن (في) تفيد معنى التعليل أو السببية، قال أبو علي الفارسي في ﴿في﴾: "وفي معناها الوعاء وذلك نحو: المال في الكيس، واللص في الحبس، ويتسع فيها فيقال: زيد ينظر في العلم وأنا في

(١) القاموس المحيط - الجزء الأول ص ١٢٣

(٢) معاني القرآن - الجزء الثالث ص ٢٣

(٣) معاني القرآن وإعرابه الزجاج - الجزء الرابع ص ٣٩٨

(٤) وهذا الحديث ساقط الإسناد كما قال الحافظ ابن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر أبو

الفضل العسقلاني الشافعي - دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩ - الجزء الثامن ص ٥٦٤

(٥) معاني القرآن - أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد - الجزء السادس ص ٣٠٨

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون - للحلي - الجزء التاسع ص ٥٥١

(٢) تفسير ابن كثير - الجزء السابع ص ١٨٣

حاجتك " وقد تخرج عن هذا المعنى إلى مرادفة ﴿اللام﴾ فتفيد معنى التعليل أو السببية نحو قوله تعالى ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢] أي: لمتني لأجله. وقوله تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ [النور: ١٤] أي: لأجل إفاضتكم فيه، ومن ذلك حديث الرسول عظيم: "دخلت امرأة النار في هرة حبستها" ٢ أي لأجل هرة فاهرة هي العلة والسبب في دخول المرأة النار. <sup>(١)</sup> يقول ابن عاشور: "في للظرفية المجازية لآئنه مجرورها وهو القربى لا يصلح لأن يكون مظهروفاً فيه، ومعنى الظرفية المجازية هنا: التعليل، وهو معنى كثير العروض لحرف في كقولهِ: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ [الحج: ٧٨]." <sup>(٢)</sup>

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿في القربى﴾ أتت مصدراً معرّفاً بأل العهدية <sup>(٣)</sup>، وعهد المشركين به قرابته منهم، وليس أن يطلب منهم ود قرابته، وهذا الاستدلال ذكره ابن تيمية في كتابه منهاج السنة ولكن لمن قال إن ﴿القربى﴾ هم عليّ وفاطمة والحسن والحسين، يقول: "إنَّ الْقُرْبَى مُعَرَّفَةٌ بِاللَّامِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ الَّذِينَ أُمِرَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ لَمْ يَكُنْ قَدْ خُلِقَ الْحَسَنُ وَلَا الْحُسَيْنُ، وَلَا تَزَوَّجَ عَلِيٌّ بِفَاطِمَةَ. فَالْقُرْبَى الَّتِي كَانَ الْمُخَاطَبُونَ يَعْرِفُونَهَا يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ، بِخِلَافِ الْقُرْبَى الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَإِنَّهَا مَعْرُوفَةٌ عِنْدَهُمْ." <sup>(٤)</sup>

واستدل ابن تيمية أيضاً بدليلين لغويين آخرين يقول: "إنه قال: لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى. ولم يقل إلا المودة للقربى ولا المودة لذوي القربى، فلو أراد المودة لذوي القربى لقال: المودة لذوي القربى، كما قال: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول

<sup>(١)</sup> ظاهرة التقارض في النحو العربي - أحمد محمد عبد الله - الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - الجزء ٥٩ ص ٢٧٨

<sup>(٢)</sup> التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر - 1984 - هـ - الجزء ٢٥ ص ٨٢

<sup>(٣)</sup> "أل" الداخلة على الاسم يقسمها النحويون ثلاثة أقسام، لأنها أمّا للعهد أولتعريف الجنس أو للاستغراق، والعهد قد يكون عهداً ذكرياً وقد يكون عهداً ذهنيّاً وقد يكون عهداً حضورياً، والعهد الذكري فهو لا بد أن يكون سبق لما دخلت عليه ذكره في الكلام السابق، أمّا "أل" التي للعهد الذهني فنحو قولك مثلاً جاء الأستاذ تصلح لكل أستاذ لكن إذا كان بينك وبين المخاطب عهد في أستاذ معين فإنه لا ينصرف الذهن إلا إليه هذه "أل" المسماة بـ "أل" التي للعهد الذهني لأنه مخزون في الذهن أمّا العهد الحضورى فمنه قول الله عزّ وجلّ؟ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ؟ [المائدة: ٣] فإن "أل" في اليوم للعهد الحضورى يعني اليوم الذي نحن فيه الآن هذه "أل" العهدية. (انظر شرح الآجرومية - حسن بن محمد الحفظي ص ٢٠٥

ولذوي القربى ﴿﴾ وهكذا في غير موضع. فجميع ما في القرآن من التوصية بحقوق ذوي قربي النبي صلى الله عليه وسلم وذوي قربي الإنسان إنما قيل فيها ذوي القربى، ولم يقل في القربى. فلما ذكر هنا المصدر دون الاسم دل على أنه لم يرد ذوي القربى. <sup>(١)</sup>

والدليل الآخر الذي ذكره قوله: "أَنَّهُ لَوْ أُريدَ الْمَوَدَّةُ لَهُمْ ؛ لَقَالَ: الْمَوَدَّةُ لِذَوِي الْقُرْبَى، وَلَمْ يَقُلْ: فِي الْقُرْبَى. فَإِنَّهُ لَا يَقُولُ مِنْ طَلَبِ الْمَوَدَّةِ لِغَيْرِهِ: أَسْأَلُكَ الْمَوَدَّةَ فِي فُلَانٍ، وَلَا فِي قُرْبَى فُلَانٍ، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ الْمَوَدَّةَ لِفُلَانٍ وَالْمَحَبَّةَ لِفُلَانٍ. فَلَمَّا قَالَ: الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى، عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ لِذَوِي الْقُرْبَى."

والقربى جمع قريب وقريب صفة مشبهة، من قرب والصفة المشبهة تحمل في معناها الثبوت، ولا تحمل أي تخصيص للمعنى ليدل على قرابة رسول الله خاصة.

كما إِنَّ الخطاب موجه في قوله تعالى: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ﴾ لمشركي قريش <sup>(٢)</sup>، فكيف يطلب منهم مودة أقاربه، وهم لم يؤمنوا بما جاء به؟

### ٣-٢-٣ النموذج الثالث: (أهل الذكر)

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ <sup>(١)</sup>

ولابد للطبرسي وشيعته من تخصيص دلالة أهل الذكر بآل البيت؛ حفاظاً على المرجعية المطلقة لهم، مشايخين لليهود والنصارى في حصر العلم بالأخبار بالرهبان.

يقول الطبرسي: "﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ فيه أقوال؛ أحدها: أن المعنى بذلك أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم سواء أكانوا مؤمنين أو كفاراً. وسمى العلم ذكراً لأن الذكر منعقد بالعلم، فإن الذكر هو ضد السهو؛ فهو بمنزلة السبب المؤدي إلى العلم في ذكر الدليل فحسن أن

<sup>(١)</sup> منهاج السنة - الجزء السابع ص ١٠١

<sup>(٢)</sup> انظر تفسير الطبري الجزء ١٧ ص ٩٠ والقرطبي الجزء ١٦ ص ٢١

<sup>(١)</sup> النحل، الآية: ٤٣

يقع موقعه وينبىء عن معناه إذا تعلق به هذا التعلق عن الرماني والزجاج والأزهري، وثانيها: أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب عن ابن عباس ومجاهد، أي: فاسألوا أهل التوراة والإنجيل ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يخاطب مشركي مكة وذلك أنهم كانوا يصدقون اليهود والنصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم لأنهم كانوا يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له، وثالثها: أن المراد بهم أهل القرآن؛ لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد ويقرب منه ما رواه جابر ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) أنه قال: نحن أهل الذكر وقد سمى الله رسوله ذكراً في قوله: (ذكرًا رسولًا) على أحد الوجهين.<sup>(١)</sup>

والذكر: الحفظُ للشيء تذكُّره..... والذكرُ الكتاب الذي فيه تفصيل الدين ووضع الملل، وكلُّ كتاب من الأنبياء، عليهم السلام، ذكرٌ.<sup>(٢)</sup>

وقد ذكر الطبري جميع التأويلات التي ذكرها الطبرسي بما فيها قول محمد بن مسلم بن جعفر<sup>(٣)</sup> ويفسر الزمخشري أهل الذكر بأنهم أهل الكتاب يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ وهم أهل الكتاب.<sup>(٤)</sup>

ويقول الرازي: "المراد بأهل الذكر وجوه: الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل التوراة، والذكر هو التوراة. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] يعني التوراة. الثاني: قال الزجاج: فاسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى، فإنهم يعرفون أن الأنبياء كلهم بشر، والثالث: أهل الذكر أهل العلم بأخبار الماضين، إذ العالم بالشيء يكون ذاكرًا له. والرابع: قال الزجاج: معناه سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق<sup>(١)</sup>، وذكر القرطبي<sup>(٢)</sup> الوجوه نفسها التي ذكرها الرازي من دون ترجيح، أمّا ابن كثير

(١) مجمع البيان للطبرسي-الجزء السادس ١٢١

(٢) لسان العرب -الجزء الرابع-ص ٣١٠

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري-الجزء ١٤ ص ٢٢٦

(٤) الكشف -الجزء الثاني ص ٦٠٧

(١) مفاتيح الغيب للرازي الجزء العشرين ص ٢١١

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي -الجزء العاشر ص ١٠٨

فقد رجح أن أهل الذكر هم أهل الكتاب مستبعداً أن المراد بهم أهل القرآن أو قول الباقر بأهم أهل بيت رسول الله.<sup>(١)</sup>

وأغلب الظن أن المقصود هم أهل الكتب السابقة، ويؤيده السياق اللغوي للآية في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ فالوحي هو الكتب السماوية، وأهل الذكر هم أهل هذه الكتب مثل اليهود والنصارى.

ومن الآيات التي وجهها الطبرس التوجيه نفسه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

### ٣-٢-٤ النموذج الرابع: (أولي الأمر)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>

ويرجع توجيه هذه الآية إلى رغبة الإثني عشرية في جمع أكبر عدد من النصوص التي تثبت الولاية للأئمة من آل البيت.

يقول الطبرسي: "وقوله: ﴿وأولي الأمر منكم﴾ للمفسرين فيه قولان؛ أحدهما: أنهم الأمراء عن أبي هريرة وابن عباس في إحدى الروايتين وميمون بن مهران والسدي واختاره الجبائي والبلخي والطبري. والآخر: أنهم العلماء عن جابر بن عبد الله وابن عباس في الرواية الأخرى ومجاهد والحسن وعطاء وجماعة. وقال بعضهم: لأنهم الذين يرجع إليهم في الأحكام ويجب الرجوع إليهم عند التنازع دون الولاية، وأمّا أصحابنا فإنهم رَوَوْا عن الباقر والصادق (ع) أن أولي الأمر هم الأئمة من آل محمد أوجب الله طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته وطاعة رسوله، ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته، وعلم أن باطنه

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الجزء الرابع ص ٤٩٢

(٢) الأنبياء، الآية : ٨

(٣) النساء، الآية ٥٩

كظاھرہ وأَمِنَ منه الغلط والأمر بالقبيح، وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم جَلَّ الله عن أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل، لأنه محال أن يطاع المختلفون، كما إنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه، ومما يدل على ذلك أيضاً أن الله تعالى لم يقرن طاعة أولي الأمر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته إلا وأولو الأمر فوق الخلق جميعاً، كما إنَّ الرسول فوق أولي الأمر، وفوق سائر الخلق، وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وسلم الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم واتفقت الأمة على علو رتبهم وعدالتهم." (١)

الْوَأُو وَاللَّامُ وَالْيَاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قُرْبٍ. مِنْ ذَلِكَ الْوَلِيُّ: الْقُرْبُ. يُقَالُ: تَبَاعَدَ بَعْدَ وَلِيٍّ، أَيْ قُرْبٍ. وَجَلَسَ مِمَّا يَلِينِي، أَيْ يُقَارِبُنِي..... وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا آخَرَ فَهُوَ وَلِيُّهُ (٢)، الْوَلِيُّ: وَلِيُّ الْيَتِيمِ الَّذِي يَلِي أَمْرَهُ وَيَقُومُ بِكَفَايَتِهِ. وَوَلِيُّ الْمَرْأَةِ: الَّذِي يَلِي عَقْدَ النِّكَاحِ عَلَيْهَا وَلَا يَدْعُهَا تَسْتَبْدُّ بِعَقْدِ النِّكَاحِ دُونَهُ (٣)

أما (الأمر) الهمزة والميم والراء أصول خمسة: الأمر من الأمور، والأمر ضد النهي. (٤)

وذكر المفسرون عدة تفسيرات لقوله تعالى ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ في الآيتين؛ كأن يكون المراد أولي الأمر الخلفاء الراشدون، أو المراد أمراء السرايا، وذكر الرازي قول الشيعة يقول: "ونقل عن الروافض أن المراد به الأئمة المعصومون، ولما كانت أقوال الأمة في تفسير هذه الآية محصورة في هذه الوجوه، وكان القول الذي نصرتموه خارجاً عنها كان ذلك بإجماع الأمة باطلاً." (١)

وأقول: إنه لا داعي لتخصيص أول الأمر بجماعة أو أفراد معينين؛ فهو يشمل كل من ولي الأمر، وتخصيصه بالأئمة من أهل البيت أو سواهم هو مما لا يدعمه السياق.

(١) مجمع البيان للطبرسي-الجزء الثالث ص ٩٦

(٢) مقاييس اللغة الجزء السادس ص ١٤١

(٣) لسان العرب الجزء ١٥ ص ٤٠٧

(٤) مقاييس اللغة -الجزء الأول ص ١٣٧

(١) مفاتيح الغيب للرازي-الجزء العاشر ص ١١٣

ومن الآيات التي وجهها الطبرسي التوجيه نفسه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ  
الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ  
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>

### ٣-٢-٥ النموذج الخامس: (أهل البيت)

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ  
الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ  
تَطْهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>

ويرجع توجيه هذه الآية عند الشيعة الاثني عشرية إلى أن الشيعة يحصرون دلالة أهل البيت  
بأصحاب الكساء<sup>(٣)</sup>، محمد صلى الله عليه وسلم، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله  
عنهم جميعاً، فقط دون نساء النبي وبناته وأقاربه.

وما حصرهم هذا إلا لغايات تتعلق معظمها بالإمامة؛ فقد جعلوا هذه الآية دليلاً على وجوب  
إمامة عليّ بن أبي طالب وأبنائه من بعده وأولادهم، باعتبار أن الإمام يجب أن يكون معصوماً،  
وقد عصم سبحانه وتعالى أصحاب الكساء المعنيين بالآية.<sup>(٤)</sup>

ورغم أن الطبرسي من أكبر اللغويين عندهم في زعمهم، إلا أنه لم يخرج عن حدود شيعته في  
تحدي دلالة أهل البيت، مستدلاً بداية بعدد من الروايات الخاصة بحديث الكساء<sup>(٥)</sup> منها "ذكر

(١) النساء، الآية : ٨٣

(٢) الأحزاب، الآية: ٢٢

(٣) سلسلة المعارف الإسلامية رقم ٤١-حقوق آل البيت -مركز الرسالة -ص ١٦

(٤) آية التطهير شبهات وردود (رد على الشيخ عثمان الخميس) -حسن عبد الله-ص ٦٣

(٥) وفي مسند أحمد «عن أم سلمة أن النبي كان في بيتهما فأتت فاطمة بريمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه فقال لها: ادعي

زوجك وابنيك، قالت: فجاء عليّ والحسن والحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على  
دكان تحته كساء خيري — قالت — وأنا أصلي في الحجرة، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية: (... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ  
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ) قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها السماء ثم قال: اللهم إن



أبو حمزة الثمالي في تفسيره: حدثني شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت: "جاءت فاطمة (ع) إلى النبي صلى الله عليه وسلم تحمل حريرة لها فقال: "ادعي زوجك وابنيك" فجاءت بهم؛ فطعموا ثم ألقى عليهم كساءً له خيرياً فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً" فقلتُ يا رسول الله، وأنا معهم؟ قال: "أنتِ إلى خير".<sup>(١)</sup>

ثم يستدل باللغة على صحة ذلك فيقول: "واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة (ع) بأن قالوا إنّ لفظة إنما محققة لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت فإن قول القائل إنما لك عندي درهم، وإنما في الدار زيد، يقتضي أنه ليس عنده سوى الدرهم وليس في الدار سوى زيد، وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس، ولا يجوز الوجه الأول لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة؛ فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق، ولأنّ هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا مدح في الإرادة المجردة، فثبت الوجه الثاني، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعيّنين بالآية من جميع القبائح. وقد علمنا أنّ من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته فثبت أنّ الآية مختصة بهم لبطلان تعلّقها بغيرهم ومتى قيل: إنّ صدر الآية وما بعدها في الأزواج فالقول فيه أنّ هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم؛ فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه والقرآن من ذلك مملوء وكذلك كلام العرب وأشعارهم."<sup>(١)</sup>

وإن كان الاستدلال بالحصص ممكناً في هذه الآية، فيستدل به على أنها خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وليس على أنهم أصحاب الكساء. والاستدلال بالحصص غير جائز، فالحصص للغاية وليس للأشخاص.

---

هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت: فأدخلتُ رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: "إنك إلى خير إنك إلى خير". «الجزء

أمّا قوله إنه: "ومتى قيل: إن صدر الآية وما بعدها في الأزواج، فالقول فيه أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء وكذلك كلام العرب وأشعارهم."، فهو أقبح من قوله في حصر الولاة، وأبعد عن اللغة، وهذا يدل على أنه لا يعرف من عادة العرب في كلامهم شيئاً، فما قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ إلا حصر للغرض وليس للأشخاص، من الأوامر والنواهي التي ذكرها سبحانه وتعالى في بداية الآية والآيات السابقة عليها <sup>(١)</sup>، وهو ذهاب الرجس <sup>(٢)</sup> عنهم آل البيت رضوان الله عليهم، بل وتطهيرهم ذلك التطهير الذي لا رجس بعده، كما هو واضح من ذكره سبحانه وتعالى للمفعول المطلق <sup>(٣)</sup> ﴿تَطْهِيراً﴾.

وأهل الرجل عشيرته وذوو قريبه، والجمع أهلون وأهال. وأهل القرآن حفظته والعاملون به. وأهل المذهب من يدين به. وأهل البيت سكانه. وأهل الرجل أخص الناس به. <sup>(١)</sup>

وفي المقاييس: أهل البيت من يسكنه... وأهل بيت النبي، صلى الله عليه وسلم: أزواجه وبناته وصهره، أعني علياً، عليه السلام، وقيل: نساء النبي، صلى الله عليه وسلم، والرجال الذين هم آله. <sup>(٢)</sup>

أمّا حديث الكساء، فهو على قول معظم المفسرين يدل على اشتماهم رضي الله عنهم في أهل البيت، وليس تخصيص دلالة أهل البيت بهم.

<sup>(١)</sup> قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَفْعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَا تَخْصَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)) الأحزاب من آية ٢٨ إلى ٣٣

<sup>(٢)</sup> الرِّجْسُ: القَذَرُ، وقيل: الشيء القَذِرُ..... قال الزجاج: الرِّجْسُ في اللغة اسم لكل ما استقذر من عمل فبالغ الله تعالى في

ذم هذه الأشياء وسماها رجساً. لسان العرب - الجزء السادس ص ٦٤

<sup>(٣)</sup> إعراب القرآن وبيانه لحبي الدين درويش - الجزء الثامن ص ١٠

<sup>(١)</sup> لسان العرب - الجزء ١١ ص ٢٧

<sup>(٢)</sup> مقاييس اللغة - الجزء الأول ص ١٥٠

وإن كان المفسرون اختلفوا في تحديد دلالة أهل البيت ومن يشملهم، فمما لاشك فيه أن أزواج النبي من أهل البيت، لقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>، فهي صريحة في أن زوجته من أهله، والأرجح - والله أعلم - أن دلالة أهل البيت هي من يسكن البيت، فهم يأهلون البيت أي يسكنونه، قال الشاعر:

وقدماً كان مأهولاً وأمسى مرثع العفر<sup>(٢)</sup>.

### ٣-٢-٦ النموذج السادس: (كلمات)

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن الكرامات التي منحها الشيعة الاثنا عشرية لعلی وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، أن أسماءهم هي الكلمات التي تلقاها آدم عن ربه فتاب عليه! ففي بحار الأنوار للمجلسي، ذكر رواية "عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، وهو أنه قال: يارب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ثبت علي، فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم."<sup>(١)</sup>

يقول الطبرسي: "واختلف في الكلمات ما هي؟ فقليل: هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ عن الحسن وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبیر، وإن في ذلك اعترافاً بالخطيئة؛ فلذلك وقعت أنفسنا الآية عن الحسن وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبیر. وقيل فيرواية تختص بأهل البيت عليهم السلام أن آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء معظمة مكرمة فسأل عنها فقليل له هذه أسماء أجل الخلق

(١) هود، الآية: ٧٣

(٢) لسان العرب - الجزء ١١ ص ٢٨

(٣) البقرة ٣٧

(١) بحار الأنوار للمجلسي الجزء ٢٦ ص ٣٣ من طبعة الوفاء.

مترلة عند الله تعالى، والأسماء: محمد وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين؛ فتوسلَّ آدم (ع) إلى ربِّه بهم في قبول توبته ورفع مترلته.<sup>(١)</sup>

والكلمة لغةً: الكاف واللام والميم، الكلام. تقول: كلمته تكلمة تكليماً؛ وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته ثمَّ يتَّسعون فيسمُّون اللفظة الواحدة المفهمة كلمة والقصة كلمة والقصيدة بطولها كلمة، ويجمعون الكلمة كلمات وكلم.<sup>(٢)</sup>

وقد اختلف المفسرون في تأويل الكلمات التي تلقاها سيدنا آدم عليه السلام على أقوال عديدة؛ منها: أنها ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وهو ما تفسره الآية الثالثة والعشرون من سورة الأعراف، ومنهم من أوَّلها: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فارحمني؛ إنك أنت خير الراحمين. ومنهم من قال أولها بالخصال العشر التي في البدن والرأس.<sup>(٣)</sup>

ووجدتُ في الدر المنثور للسيوطي إثباتاً لرواية من بين روايات كثيرة أثبتتها في تأويل الكلمات التي تلقاها آدم من ربه. يقول السيوطي: "وأخرج ابن النجار عن ابن عباس قال: "سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال: سأل بحق محمد، وعليٍّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، إلا تبتَ عليٍّ؛ فتاب عليه."<sup>(١)</sup>

وكما هو معلوم، فإنَّ السيوطي لا يلتزم بالأخبار الصحيحة، وقد عدتُ إلى ثلاثة وعشرين تفسيراً من تفاسير أهل السنة فلم أجد هذا الكلام عند أحد منهم.

وأرى أنَّ كلمة ﴿كلمات﴾ جاءت معمة غير مخصصة، واكتسبت هذا التعميم من تنكيرها، وهي لا تدل بذاتها على ماهية الكلمات التي تلقاها آدم، وكل ما تأوله أهل السنة والشيعه بما فيهم الطبرسي ليس عليه أيُّ دليل لغويٍّ، وربما كان هذا التعميم هو ما ساعدهم على

(١) مجمع البيان للطبرسي-الجزء الأول ص ١٢٠

(٢) مقاييس اللغة -الجزء الخامس ص ١٣١

(٣) أنظر تفسير الرازي وابن كثير والطبري، موضع الآية.

(١) الدر المنثور -عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) - دار الفكر - بيروت -الجزء الأول ص ١٤٣

التأويل. وإن كانت بعض تأويلات أهل السنة أقرب لاستنادها إلى آيات أخرى في القرآن؛ كآية الثالثة والعشرين في سورة الأعراف<sup>(١)</sup>، أو الآية السادسة عشر من سورة القصص<sup>(٢)</sup>.

### ٣-٢-٧ النموذج السابع: ﴿يَتَكَلَّمُونَ﴾

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾<sup>(٣)</sup>

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أنَّ الأئمة يشفعون لشيعتهم يوم القيامة، نُقل عن جعفر بن محمد<sup>(٤)</sup> أقوال كثيرة؛ منها أنه قال: «والله لنشفعن لشيعتنا، والله لنشفعن لشيعتنا، حتى يقول الناس فما لنا من شافعين ولا صديق حميم»

يقول الطبرسي: "﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن﴾ وهم المؤمنون والملائكة ﴿وقال﴾ في الدنيا ﴿صواباً﴾ أي شهد بالتوحيد وقال: لا إله إلا الله. وقيل: إنَّ الكلام ها هنا الشفاعة أي لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن أن يشفع عن الحسن والكلبي. وروى معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (ع) قال: سئل عن هذه الآية فقال: نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون. قال: جُعِلْتُ فداك! ما تقولون؟ قال: نمجِّد ربنا ونصلِّي على نبيِّنا صلى الله عليه وسلم ونشفع لشيعتنا؛ فلا يردنا ربنا. رواه العياشي مرفوعاً.<sup>(١)</sup>

وفي المقاييس: الكاف واللام والميم أصلاً: أحدهما يدلُّ على نطق مُفهِم، والآخر على جراح. فالأوّل الكلام. تقول: كلّمته أكلّمه تكليماً؛ وهو كليمي إذا كلّمك أو كلّمته. ثمَّ يتسعون

(١) (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

(٢) (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين)

(٣) النبأ، آية: ٣٨

(٤) عبد الله جعفر بن محمد الصادق لُقِبَ بالصادق، يعتبر الإمام السادس لدى الشيعة الإمامية، والخامس عند الإسماعيلية، وينسب إليه انتشار مدرستهم الفقهية والكلامية ولذلك تُسمّى الشيعة الإمامية بالجعفرية أيضاً.

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء العاشر ص ١٩٠

فيسمُّون اللفظة الواحدة المفهَمة كلمة، والقِصَّة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة. ويجمعون الكلمة كلماتٍ وكَلِمًا.<sup>(١)</sup>

وفي الصحاح: الكلامُ: اسم جنسٍ يقع على القليل والكثير. والكَلِم لا يكون أقلّ من ثلاث كلمات؛ لأنَّه جمع كَلِمَةٍ، مثل نَبَقَةٍ وَنَبَقٍ؛ ولهذا قال سيبويه: هذا بابُ علم ما الكَلِم من العربية، ولم يقل: ما الكلامُ، لأنَّه أراد نفس ثلاثة أشياء: الاسم والفعل والحرف، فجاء بما لا يكون إلا جمعا، وترك ما يمكن أن يقع على الواحد والجماعة.<sup>(٢)</sup>

وتأويل الكلام بالشفاعة هو قول عدد من المفسرين<sup>(٣)</sup>، كالقرطبي يقول: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي لا يشفعون ﴿إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الشفاعة ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ يعني حقًا.<sup>(٤)</sup>

وأقول: ليس في الآية دليلٌ لغويٌّ على أن المقصود بالكلام الشفاعة خاصة؛ فجنس الكلام كله غير مأذون به، ناهيك عن تخصيصها بالشيعة خاصة.

ويؤيده أن الضمير في يتكلمون عائد على الروح والملائكة والتي في أغلب تفسيراتها لا تشمل الإنس، يقول الطبري: "وآختلف في الروح على أقوال ثمانية؛ الأوّل: أنه ملك من الملائكة، قال ابن عباس: ما خلق الله مخلوقاً بعد العرش أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاء، وقامت الملائكة كلهم صفاء، فيكون عِظَمُ خَلْقِهِ مثل صفوفهم... الثاني: أنه جبريل عليه السلام. والثالث: روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الروح في هذه الآية جنّدٌ من جنود الله تعالى، ليسوا ملائكة، لهم رؤوس وأيد وأرجل، يأكلون الطعام" ثم قرأ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾، فإن هؤلاء جنّد، وهؤلاء جنّد. وهذا قول أبي صالح ومجاهد، وعلى هذا هم خلق على صورة بني آدم، كالناس وليسوا بناس. الرابع: أنهم أشراف الملائكة؛ قاله مقاتل بن حيان. الخامس: أنهم حفظة على الملائكة؛ قاله ابن أبي نجيح. السادس: أنهم بنو آدم، قاله الحسن وقتادة، فالمعنى ذوو الروح، وقال العوفي والقرطبي: هذا مما كان يكتمه ابن عباس؛

(١) مقاييس اللغة لابن فارس الجزء الخامس ص ١٣١

(٢) الصحاح في اللغة - الجزء الخامس ص ٢٠٢٣

(٣) انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي وفتح القدير للشوكاني موضع الآية.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الجزء ١٩

قال: الرُّوح: خلق من خلق الله على صور بني آدم، وما نَزَلَ مَلَكٌ من السماء إلا ومعه واحد من الرُّوح. السابع: أرواح بني آدم تقوم صَفًّا، فتقوم الملائكة صَفًّا، وذلك بين النفختين، قبل أن تردَّ إلى الأجساد؛ قاله عَطِيَّة. الثامن: أنه القرآن؛ قاله زيد بن أسلم، وقرأ ﴿وكذلك أوحينا إليك رُوحًا مِن أَمْرِنَا﴾. <sup>(١)</sup>

ويقول الطبري بعد ذكره لهذه الآراء: "والصواب من القول أن يُقال: إنَّ الله تعالى ذكره أخبر أنَّ خلقه لا يملكون منه خطابًا، يوم يقوم الرُّوح، والرُّوح: خَلَقَ من خلقه. وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله أعلم أيُّ ذلك هو؟ ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعنيُّ به دون غيره، يجب التسليم له، ولا حجة تدلُّ عليه، وغير ضائر الجهل به." <sup>(٢)</sup>

ومما يؤيدها أيضًا قوله تعالى: ﴿وقال صوابًا﴾ فقد استثنى عز وجل من عدم الكلام من أذن له سبحانه وقال صوابًا. والصواب يدلُّ على نزول شيء واستقراره قَرَارَه. من ذلك الصَّوَابُ في القول والفعل، كآته أمرٌ نازلٌ مستقرٌّ قَرَارَه. <sup>(٣)</sup>

ولكي يؤيد الطبرسي قوله؛ فقد اختار في تأويل الروح بعد عرضه لمجموعة من التأويلات أنها بمعنى الناس، ثم أوَّل قوله تعالى: ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ يقول: "والكلي وروى معاوية بن عمار عن أبي عبد الله (ع) قال: سئل عن هذه الآية فقال: نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون قال: جُعِلَتْ فداك! ما تقولون؟ قال: نمجِّد ربنا ونصلِّي على نبيِّنا صلى الله عليه وسلم ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا رواه العياشي مرفوعًا" ١

### ٣-٢-٨ النموذج الثامن: (منها)

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ <sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> المصدر السابق - ص ١٨٦

<sup>(٢)</sup> جامع البيان في تفسير القرآن للطبري-الجزء ٢٤ ص ٥٠

<sup>(٣)</sup> مقاييس اللغة - الجزء الثالث - ص ٣١٧

<sup>(١)</sup> البقرة، آية: ٤٨

وهذه الآية كالأية السابقة تتعلق بالشفاعة، وبما أن ظاهر الآية يدل على أنه لا تقبل الشفاعة من نفس، فقد سعى مفسرو أهل السنة إلى توجيه هذه الآية بما يتناسب مع ما ورد في الأحاديث الشريفة، أمّا الشيعة الاثنا عشرية فهم أحق بتوجيه هذه الآية، فهم الشفعاء للناس يشفعون لشيعتهم. وفي كتاب بشارة المرتضى يورد الطبري حديثاً يقول: "حدثنا موسى بن بكر، عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لا تستخفوا بفقراء شيعة عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وعترته من بعده، فإنّ الرجل منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر".<sup>(١)</sup>

يقول الطبرسي: "ولا يقبل منها شفاعة" قال المفسرون: حكم هذه الآية مختص باليهود؛ لأنهم قالوا نحن أولاد الأنبياء وآباؤنا يشفعون لنا، فأياسهم الله عن ذلك، فخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص. ويدل على ذلك أن الأمة اجتمعت على أن للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعة مقبولة وإن اختلفوا في كيفيتها، فعندنا هي مختصة بدفع المضار وإسقاط العقاب عن مستحقه من مذنب المؤمنين. وقالت المعتزلة: هي في زيادة المنافع للمطيعين والتأثين دون العاصين وهي ثابتة عندنا للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه المنتجبين والأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالح المؤمنين وينجي الله تعالى بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين، ويؤيده الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول، وهو قوله: "ادخرتُ شفاعةي لأهل الكبائر من أمتي"، وما جاء في روايات أصحابنا رضي الله عنهم مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إني: "أشفع يوم القيامة فأشفع عليّ فيشفع ويشفع أهل بيتي فيشفعون وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه كلُّ قد استوجب النار" وقوله تعالى مخبراً عن الكفار عند حسراتهم على الفاتئ لهم مما حصل لأهل الإيمان من الشفاعة: ﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ [الشعراء: ١٠١]<sup>(١)</sup>

(١) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى - عماد الدين الطبري - تحقيق جواد الأصفهاني - مؤسسة النشر الإسلامي

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الأول ص ١٤٠



وخصصها الطبري والرازي والقرطبي وابن كثير وغيرهم بعدم قبول الشفاعة من النفس الكافرة وليس كل نفس<sup>(١)</sup>؛ مستندين في ذلك على نصوص أخرى من القرآن والسنة، كقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، والحديث عن عبدالله بن عمر: "ما زلنا نُمسِكُ عن الاستغفارِ لأهلِ الكبائرِ حتَّى سَمِعْنَا مِن فِي نَبِينَا يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَغْفِرُ أَنْ يَشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ قَالَ: فَإِنِّي أَخَرْتُ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَأَمْسَكْنَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانَ فِي أَنْفُسِنَا."<sup>(٥)</sup>.

والشفاعة لغة: الشين والفاء والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مقارنة الشيئين. من ذلك الشَّفْعُ خلاف الوَثْر، وشَفَعَ فلانٌ لفلانٍ إذا جاء ثانياً ملتصقاً بطلبه ومُعِيناً له<sup>(٦)</sup>، ولا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ: نَفْيٌ لِلشَّافِعِ، أي: مَالَهَا شَافِعٌ فَتَنْفَعُهَا شَفَاعَتُهُ.<sup>(٧)</sup>

وإذا عدنا للغة؛ فإنَّ السياق اللغوي للآية لا يدل على تخصيصها بالكافرين، أو اليهود كما أولها الطبرسي؛ فالضمير في قوله تعالى ﴿مِنْهَا﴾ عائِدٌ إلى كلمة ﴿نَفْسٍ﴾ والتي أتت عامة لم تخصص بتعريف أو إضافة أو غيرها، كما أتت كلمة الشفاعة أيضاً عامة من غير تخصيص.

ومن الآيات التي وجهها الطبرسي التوجيه نفسه، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٨)</sup>.

### ٣-٢-٩ النموذج التاسع: (استمتعتم)

(١) انظر في تفاسيرهم موضع الآية.

(٢) مريم، آية: ٨٧

(٣) المدثر، آية: ٤٨

(٤) الشعراء، آية: ١٠١

(٥) كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني) - أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن

عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (٢٨٧هـ) - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - الجزء الثاني ص ٣٩٨

(٦) مقاييس اللغة - الجزء الثالث ص ٢٠١

(٧) القاموس المحيط - الجزء الأول ص ٧٣٤

(٨) البقرة، آية: ٢٥٤

قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(١)</sup>

يبیح الشيعة الاثنا عشرية زواج المتعة، وهو الزواج لأجل محدد. وفي وسائل الشيعة ينقل عددًا من الأخبار كقوله: "عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن المتعة؟ فقال: نزلت في القرآن ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾"<sup>(٢)</sup>، وأن الله عوضهم بها عن الشراب "عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إنَّ الله تبارك وتعالى حرم على شيعتنا المسكر من كل شراب وعوضهم من ذلك المتعة."<sup>(٣)</sup>، وحثوا عليها واعتبروها من كمال إيمان المرء، وفي ذلك أحاديث كثيرة منها: "وروي أنَّ المؤمن لا يكمل حتى يتمتع، قال أبو جعفر (عليه السلام): إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) لما أسري به إلى السماء قال: لحقني جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمد (صلى الله عليه وآله)، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: إني قد غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء."<sup>(٤)</sup>، بل إنهم ادَّعوا أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم تمتع أيضًا! يروي الحر العاملي: "وروى الفضل الشيباني بإسناده إلى الباقر (عليه السلام) أنَّ عبد الله بن عطاء المكي سأله عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَسْرَ النِّبِيُّ﴾ (١) الآية؟ فقال: إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) تزوج بالحرمة متعة فاطلع عليه بعض نساءه فاتهمته بالفاحشة، فقال: "إنه لي حلال"، إنه نكاح بأجلٍ فاكتميه!" فأطلعت عليه بعض نساءه." <sup>(١)</sup>، وجعلوا لزواج المتعة أحكامًا لا حاجة لذكرها.

يقول الطبرسي: "﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ قيل: المراد بالاستمتاع هنا درك البغية، والمباشرة، وقضاء الوطر من اللذة عن الحسن، ومجاهد، وابن زيد، والسدي.

<sup>(١)</sup> النساء، آية: ٢٤

<sup>(٢)</sup> وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة - للحر العاملي الجزء ٢١ ص ٥.

<sup>(٣)</sup> نفس المصدر ص ٧

<sup>(٤)</sup> نفس المصدر ص ١١

<sup>(١)</sup> نفس المصدر ص ١٠ وتناقلت جميع كتب الشيعة بلا استثناء هذه الروايات أو روايات مشابهة. أنظر الكافي للكليني

فمعناه على هذا فما استمتعتم أو تلذذتم من النساء بالنكاح فآتوهن مهورهنّ، وقيل: المراد به النكاح المتعة وهو النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم. عن ابن عباس، والسدي، وابن سعيد، وجماعة من التابعين وهو مذهب أصحابنا الإمامية، وهو الواضح لأنّ لفظ الاستمتاع والتمتع وإن كان في الأصل واقعاً على الانتفاع والالتذاذ فقد صار يعرف الشرع مخصوصاً بهذا العقد المعين لا سيما إذا أضيف إلى النساء فعلى هذا يكون معناه: فمتى عقدتم عليهنّ هذا العقد المسمى متعة فآتوهنّ أجورهنّ، ويدلّ على ذلك أنّ الله علّق وجوب إعطاء المهر بالاستمتاع، وذلك يقتضي أنّ يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لأن المهر لا يجب إلا به. هذا وقد روي عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود أنهم قرؤوا: فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى ﴿فآتوهن أجورهنّ﴾ وفي ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة، وقد أورد الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن أبي ثابت قال: أعطاني ابن عباس مصحفاً فقال: هذا على قراءة أبي؛ فرأيت في المصحف فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى وبإسناده عن أبي نضرة قال: سألت ابن عباس عن المتعة فقال: أما تقرأ سورة النساء؟ قلت: بلى. فقال: فما تقرأ ﴿فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى﴾ قلت: لا أقرأها هكذا! قال ابن عباس: والله هكذا أنزلها الله تعالى (ثلاث مرات). وبإسناده عن سعيد بن جبير أنه قرأ ﴿فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى﴾ وبإسناده عن شعبة عن الحكم بن عتيبة قال: سألته عن هذه الآية ﴿فما استمتعتم به منهنّ﴾ أمسوخة هي؟ قال الحكم: قال علي بن أبي طالب: لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي.

وبإسناده عن عمران بن الحصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم تنزل آية بعدها تنسخها فأمرنا بها رسول الله وتمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات ولم ينهنا عنها فقال بعد رجل برأيه ما شاء.

ومما أورده مسلم بن حجاج في الصحيح قال: حدثنا الحسن الحلواني قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن جريج قال: قال عطاء: قدم جابر بن عبد الله معتمراً، فجنّاه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة، فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر، ومما يدلّ أيضاً على أنّ لفظ الاستمتاع في الآية لا يجوز أن يكون المراد به الانتفاع والجماع أنه

لو كان كذلك لوجب أن لا يلزم شيء من المهر من لا ينتفع من المرأة بشيء، وقد علمنا أنه لو طَلَّقَهَا قبل الدخول لزمه نصف المهر ولو كان المراد به النكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الآية جميع المهر بنفس العقد؛ لأنه قال: ﴿فَاتَوْهِنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهنَّ، ولا خلاف في أن ذلك غير واجب، وإنما تجب الأجرة بكماله بنفس العقد في نكاح المتعة ومما يمكن التعلق به في هذه المسألة. الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالاً وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، فأخبر بأن هذه المتعة كانت على عهد رسول الله أضاف النهي عنها إلى نفسه لضرب من الرأي؛ فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم نسخها أو نهي عنها أو أباحها في وقت مخصوص دون غيره لأضاف التحريم إليه دون نفسه. وأيضاً فإنه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء في النهي، ولا خلاف في أن متعة الحج غير منسوخة ولا محرمة، فوجب أن يكون حكم متعة النساء حكمها.

وقوله: ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتُم به من بعد الفريضة﴾ من قال: إنَّ المراد بالاستمتاع: الانتفاع والجماع. قال: المراد به لا حرج، ولا إثم عليكم فيما تراضيتُم به من زيادة مهر أو نقصانه، أو حطّ، أو إبراء، أو تأخير. وقال السدي: معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتُم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الأجل المضروب في عقد المتعة يزيدُها الرجل في الأجر وتزيده في المدة، وهذا قول الإمامية وتظاهرت به الروايات عن أئمتهم.<sup>(١)</sup>

وهذا النموذج أقرب إلى نقل الدلالة منه إلى تخصيصها، ولكن الطبرسي اعتبره من تخصيص الدلالة.

والمتعة لغّة: الميم والتاء والعين أصلٌ صحيح يدلُّ على منفعة وامتدادٍ مُدَّةٍ في خيرٍ. منه استمتع بالشَّيء.<sup>(٢)</sup>

وفي اللسان: التُّمُّعُ: التمتعُ بالمرأة لا تريد إدامتها لنفسك، ومتعة التزويج بمكة منه، وأما قول الله عز وجل في سورة النساء بعقب ما حرم من النساء فقال: ﴿وَأَحَلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن

(١) مجمع البيان للطبرسي-الجزء الثالث ص ٥٠ - ٥١

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس-الجزء الخامس ص ٢٩٣

تبتغوا بأموالكم مُحْصِينَ غير مُسَافِحِينَ ﴿١﴾! أي عاقدى النكاح الحلال غير زناة! فما استمتعتم به منهن فاتوهن أُجورهنَّ فريضة؛ فإنَّ الزَّحَّاج ذكر أنَّ هذه آية غلط فيها قوم غلطاً عظيماً لجهلهم باللغة؛ وذلك أنَّهم ذهبوا إلى قوله فما استمتعتم به منهنَّ من المتعة التي قد أجمع أهل العلم أنَّها حرام. وإنما معنى فما استمتعتم به منهنَّ: فما نكحتم منهنَّ على الشريطة التي جرى في الآية أنه الإحصان أنَّ تبتغوا بأموالكم محصين، أي عاقدين التزويج أي فما استمتعتم به منهنَّ على عقد التزويج الذي جرى ذكره فاتوهنَّ أُجورهنَّ فريضة أي مهورهنَّ، فإنَّ استمتع بالدخول بها أتى المهر تاماً، وإنَّ استمتع بعقد النكاح أتى نصف المهر؛ قال الأزهري: المتاع في اللغة كل ما انتفع به فهو متاع، وقوله: وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَعِّقِ قَدْرُهُ، ليس بمعنى زودوهنَّ المتع، إنما معناه أعطوهنَّ ما يَسْتَمْتِعْنَ؛ وكذلك قوله: وللمطلقات متاع بالمعروف، قال: ومن زعم أنَّ قوله فما استمتعتم به منهنَّ التي هي الشرط في التمتع الذي يفعله الرافضة، فقد أخطأ خطأ عظيماً لأنَّ الآية واضحة بيّنة. <sup>(١)</sup>

وعلماء التفسير الذين تكلموا عن هذه الآية قالوا: إنَّ الآية في النكاح الشرعي وليست في المتعة، وهذا قول الطبري، والقرطبي، وابن العربي، وابن الجوزي، وابن عطية، والنسفي، واليسابوري، والزجاج، والألوسي، والشنقيطي، والشوكاني وغيرهم. <sup>(١)</sup>

ولم يجد الطبرسي حجة للاستدلال على مقصوده بالمتعة إلا قوله: "لأنَّ لفظ الاستمتاع والتمتع وإنَّ كان في الأصل واقعاً على الانتفاع والالتذاذ فقد صار بعرف الشرع مخصوصاً"، والسؤال الذي نسأله للطبرسي: بما أنه قال بعرف الشرع، معرّفاً إياه بأل التعريف التي تفيد العهد: أيَّ شرع تقصد؟

أمّا استدلاله بأنَّ الله علق وجوب المهر على الاستمتاع؛ فالمهر واجب في كلِّ نكاح؛ لقوله تعالى ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ <sup>(٢)</sup>، فقد قيّد الإحلال به، إلّا أنَّ ذكر المهر في العقد ليس شرطاً لصحة النكاح، فيجوز إخلاء النكاح عن تسميته باتفاق الفقهاء؛

<sup>(١)</sup> لسان العرب الجزء الثامن ص ٣٢٩

<sup>(١)</sup> انظر في تفاسيرهم موضع الآية

<sup>(٢)</sup> النساء، آية ٢٤

لقله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾<sup>(١)</sup> فحكم بصحة الطلاق مع عدم التسمية. ولا يكون الطلاق إلا في النكاح الصحيح. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "واتفق العلماء على أن من تزوج امرأة ولم يقدّر لها مهرًا: صح النكاح، ووجب لها المهر إذا دخل بها، وإن طلقها قبل الدخول: فليس لها مهر، بل لها المتعة بنص القرآن."<sup>(٢)</sup>، وبالتالي فالمهر واجب سميّ أو لم يسم.

ومما يستدل به أيضًا على أن المقصود بالزواج هو الزواج الشرعي المعروف، قوله تعالى ﴿محصنين غير مسافحين﴾ والإحصان لا يتحقق بمثل هذا الزواج، يقول ابن الجوزي: "قد تكلف قوم من مفسري القراء فقالوا: المراد بهذه الآية نكاح المتعة، ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن متعة النساء... وهذا تكلف لا يحتاج إليه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز المتعة ثم منع منها، فكان قوله منسوخ بقوله وأما الآية فإنها لمتضمن جواز المتعة أبدًا، لأنه تعالى قال فيها ﴿أن تبغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾ فدل ذلك عن النكاح الصحيح"<sup>(٣)</sup>.

أضف إلى ذلك أمرًا مهمًا جدًّا، وهو أن السياق الدلالي للآيات لا يدعم تخصيص معنى الآية بزواج المتعة؛ فبعد بيانه - سبحانه وتعالى - لأصناف المحرمات من النساء في الآية السابقة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّن الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

(١) البقرة، آية: ٢٣٦

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية - الجزء ٣٢ - ص ٦٢

(٣) زاد المسير في علم التفسير - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق

المهدي - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ - الجزء الأول ص ٣٩٢

غَفُورًا رَحِيمًا<sup>(١)</sup>، يَبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ مَا وَرَاءَ هَذِهِ الْأَصْنَافِ بِشَرَطِ أَنْ يَكُنَّ مُحَصِّنَاتٍ غَيْرِ مَسَافِحَاتٍ، وَعَلَى قَوْلِ الشَّيْعَةِ الْإِثْنِي عَشَرِيَّةٍ فَاللَّهُ أَحَلَّ زَوَاجَ الْمُتْعَةِ فَقَطْ!

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْأَحَادِيثِ وَالْأَخْبَارِ الَّتِي اسْتَشْهَدَ بِهَا الطَّبْرَسِيُّ، فَهِيَ لَيْسَتْ مَحَلَّ بَحْثِنَا، وَلَكِنْ أَقُولُ بِاخْتِصَارٍ: إِنَّ اسْتِشْهَادَهُ بِتَجْوِيزِ ابْنِ عَبَّاسٍ لَجَوَازِ الْمُتْعَةِ فِيهِ كَلَامٌ كَثِيرٌ مِنْهُ رَجُوعُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، وَهُوَ قَوْلُ عَدَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ الْبَغَوِيُّ يَقُولُ: "رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ شَيْءٌ، جَوَازُ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ مُطْلَقًا، وَقِيلَ عَنْهُ بِجَوَازِهَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَالْأَصَحُّ عَنْهَا الرُّجُوعُ إِلَى تَحْرِيمِهَا، وَاتَّفَقَ عَلَى تَحْرِيمِهَا سَائِرُ فَقَهَاءِ الْأَمْصَارِ."<sup>(٢)</sup>

وَمِنْهُمْ مَنْ نَفَى رَجُوعَهُ عَنْهُ كَالْأَلْبَانِيِّ يَقُولُ: "وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَى عَنْهُ فِي الْمُتْعَةِ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ: الْأَوَّلُ: الْإِبَاحَةُ مُطْلَقًا. الثَّانِي: الْإِبَاحَةُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ. وَالْآخِرُ: التَّحْرِيمُ مُطْلَقًا وَهَذَا مِمَّا لَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ صَرَاحًا، بِخِلَافِ الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ فَهُمَا ثَابِتَانِ عَنْهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ."<sup>(٣)</sup>، وَسِوَاءِ تَرَاجُعِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِهِ أَوْ لَا فَهَذَا لَيْسَ دَلِيلًا عَلَى جَوَازِهِ.

أَمَّا اسْتِشْهَادُهُ بِأَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ مَنْ حَرَّمَ زَوَاجَ الْمُتْعَةِ بِقَوْلِهِ: "مُتْعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَنَا أَهْمَى عَنْهُمَا: مُتْعَةُ النِّسَاءِ وَمُتْعَةُ الْحُجِّ."<sup>(٤)</sup>؛ فَسَأُكْتَفَى بِجَوَابِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي كِتَابِهِ مِنْهَا جَوَابُ السُّنَّةِ يَقُولُ: "وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ الرَّافِضِيُّ مِنْ نَهْيِ عُمَرَ عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ، حَيْثُ قَالَ الرَّافِضِيُّ: اسْتَمَرَّتْ - أَيْ الْمُتْعَةُ - زَمَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُدَّةَ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَبَعْضَ خِلَافَةِ عُمَرَ إِلَى أَنَّهُ صَعِدَ الْمَنْبَرُ وَقَالَ: مُتْعَتَانِ كَانَتَا مُحْلَلَتَيْنِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَهْمَى عَنْهُمَا، فَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَنَّهُ حَرَّمَ مُتْعَةَ النِّسَاءِ بَعْدَ الْإِحْلَالِ). هَكَذَا رَوَاهُ الثَّقَاتُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَغَيْرُهُمَا عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَسَنِ ابْنِي مُحَمَّدٍ بَنِي مُحَمَّدٍ بَنِي الْحَنْفِيَّةِ، عَنْ أَبِيهِمَا مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ (عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) النساء، آية: ٢٣

(٢) شرح السُّنَّة - محيي السُّنَّة، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِ بْنُ مَسْعُودَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَاءِ الْبَغَوِيِّ الشَّافِعِيِّ (٥١٦هـ) - تحقيق: شعيب

الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت - الطبعة: الثانية (١٩٨٣م) - الجزء التاسع ص ١٠٠

(٣) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - الجزء السادس ٣١٩

(٤) السنن الكبرى - للبيهقي - الطبعة الأولى - الجزء السابع ص ٢٠٦

أنه قال لابن عباس رضي الله عنه لما أباح المتعة: إنك امرؤ تائه؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم المتعة، ولحوم الحمر الأهلية عام خبير) رواه عن الزهري أعلم أهل زمانه بالسنة وأحفظهم لها أئمة الإسلام في زمنهم مثل مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وغيرهما ممن اتفق على علمهم وعدلهم وحفظهم، ولم يختلف أهل العلم بالحديث في أن هذا حديث صحيح متلقى بالقبول، ليس في أهل العلم من طعن فيه. وكذلك ثبت في الصحيح أنه حرمها في غزوة الفتح إلى يوم القيامة" واستمر. (١)

### ٣-٢-١٠ النموذج العاشر: (طعام)

يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾. (١)

لا يجوز عند الشيعة الاثني عشرية الأكل من ذبائح أهل الكتاب؛ لأنهم يعتبرونهم من المشركين. (٢) يقول المفيد: "وأما قولي في ذبائح أهل الكتاب فإنني أحرمها؛ لقول الله تعالى ذكره: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾" (٣)

يقول الطبرسي: "وقيل: المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم وغيرها من الأطعمة عن أبي الدرداء، وعن ابن عباس وإبراهيم وقتادة والسدي والضحاك ومجاهد، وبه قال الطبري والجبائي

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، الجزء الرابع ١٨٩

(٢) المائة، آية: ٥

(٣) انظر الشيعة في عقائدهم وأحكامهم - الكاظم القزويني - دار الزهراء - بيروت - ص ٢٦٨، وانظر الشيعة الاثني عشرية

ومنهجهم في تفسير القرآن ص ٩٦

(٣) ذبائح أهل الكتاب - المفيد - تحقيق الشيخ مهدي - النجف الطبعة الثانية ١٩٩٣ - ص ٦



والبلخي وغيرهم. وقيل: إنه مختص بالحبوب وما لا يحتاج فيه إلى التذكية وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وبه قال جماعة من الزيدية فأما ذبائحهم فلا تحل<sup>(١)</sup>.

وكذلك قال القمي في تحليل طعام أهل الكتاب دون الذبائح يقول في تفسيره: ﴿أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ قال: عني بطعامهم الحبوب والفاكهة غير الذبائح التي يذبحونها؛ فإنهم لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم، ثم قال: والله ما استحلوا ذبائحكم فكيف تستحلون ذبائحهم؟<sup>(٢)</sup>

وفي المقاييس: الطاء والعين والميم أصل مطرد منقاس في تذوق الشيء. يقال طعمت الشيء طعمًا. والطعام هو المأكول.<sup>(٣)</sup>

وفي لسان العرب: الطعام: اسم جامع لكل ما يؤكل، وقد طعم يطعم طعمًا، فهو طاعم إذا أكل أو ذاق، مثال غنم يغنم غنمًا، فهو غنم.<sup>(١)</sup>

ومعظم المفسرين على أن الآية تميز أكل ذبائح أهل الكتاب، وسأكتفي بما قاله الرازي؛ لأنه جامع للأقوال كلها، يقول الرازي: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾ وفي المراد بالطعام ههنا وجوه ثلاثة؛ الأول: أنه الذبائح، يعني أنه يحل لنا أكل ذبائح أهل الكتاب، وأما الجوس فقد سنّ فيهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم، وعن علي رضي الله عنه أنه استثنى نصارى بني تغلب، وقال: ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر، وبه أخذ الشافعي رحمه الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس به، وبه أخذوا أبو حنيفة رحمه الله.

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثالث - ص ٢٣١-٢٣٢

(٢) تفسير القرآن للقمي - الجزء الأول ص ١٦٥

(٣) مقاييس اللغة - الجزء الثالث ص ٤١٠

(١) لسان العرب - الجزء ١٢ ص ٣٦٣

والوجه الثاني: أنَّ المراد هو الخبز والفاكهة وما لا يحتاج فيه إلى الذكاة، وهو منقول عن بعض أئمة الزيدية. والثالث: أنَّ المراد جميع المطعومات، والأكثر على القول الأول ورجحوا ذلك من وجوه: أحدها: أنَّ الذبائح هي التي تصير طعاماً بفعل الذابح، فحمل قوله ﴿وَوَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ على الذبائح أولى، وثانيها: أنَّ ما سوى الذبائح فهي محللة قبل أن كانت لأهل الكتاب وبعد أن صارت لهم، فلا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة، وثالثها: ما قبل هذه الآية في بيان الصيد والذبائح، فحمل هذه الآية على الذبائح أولى<sup>(١)</sup>.

وأقول: إنَّ طعام لفظ عام غير مخصص بنفسه ولا بنعت أو إضافة أو تعريف، فهو شامل لكل أنواع الطعام، وإن أردنا تخصيصه فتخصيصه بالذبائح أولى لوجود قرينة عليه، وهي أنَّ هذه الآية لاحقة بآية الصيد، كما قال الرازي في تفسيره.

كما أنَّ الله عزَّ وجلَّ أتبع بقوله: ﴿وَوَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ﴾ قول ﴿وَوَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ﴾ وإطعامهم من ذبائحنا ليس حراماً؛ فقياساً على ذلك العكس ليس بجرام أيضاً.

ومما يستدل به أيضاً على جواز أكل ذبائحهم: أنَّ الله أباح الزواج من النساء الكتابيات شرط كونهنَّ محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان، ولم يحل زواج المسلمة من الكتابي، وهو زواجنا منهم وهذا مما نبه إليه الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوَطَعَامُكُمْ حَلَّ لَهُمْ﴾، حيث قال الرازي: "فالفائدة في ذكر ذلك أنَّ إباحة المناكحة غير حاصلة في الجانين، وإباحة الذبائح كانت حاصلة في الجانين، لا جرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيهاً على التمييز بين النوعين."<sup>(١)</sup>

وأخيراً، فإنَّ سياق الآية يدل على أنَّ جواز الأكل من ذبائحهم يأتي بالمرتبة الثانية؛ فالله عزَّ وجلَّ أحل بداية الطيبات ثم طعامهم، كما أحل المحصنات من المؤمنات ثم نساء أهل الكتاب بشروط كما قلتُ سابقاً، وإنَّ كانت الواو رابطة بين الجمل إلا أنَّ سبق الطيبات والمحصنات

(١) مفاتيح الغيب للرازي - الجزء ١١ ص ٢٩٤

(١) المصدر السابق

المؤمنات يدل على تفضيلها، وترتيب الآية بهذا الشكل يعزز أن يكون المعنى طعامهم عامة أو ذبائحهم خاصة، وأن الذبائح غير مستثناة.<sup>(١)</sup>

### ٣-٢-١١ النموذج الحادي عشر<sup>(٢)</sup>: (المشركات) و (كوافر)<sup>(٣)</sup>

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

اختلف فقهاء الشيعة في مسألة زواج المسلم من الكتابية؛ فقال بعض فقهاءهم الأقدمين بالحرمة وأنه لا يجوز للمسلم أن يتزوج بغير المسلمة كتابية أو غيرها<sup>(١)</sup>، ومن أبرز القائلين بهذا الرأي المرتضى، واستدلوا بروايات عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تفيد التحريم والمنع، أما الآية الكريمة ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فأولوها بأن المراد: اللاتي أسلمنَ منهنَّ في مقابل المحصنات من المؤمنات اللاتي كنَّ في الأصل مؤمنات، وذلك أن قوماً كانوا يتخرجون من الزواج ممن أسلمت من اليهوديات والنصرانيات؛ فبينَ سبحانه أنه لا حرج في ذلك، فلهذا أفردهنَّ بالذكر، وهو ما ذهب إليه الطبرسي، كما سيتبين بعد قليل.

ويرى بعضهم أن الآية ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ منسوخة بالآية التي بين يدينا ، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> هذا من الناحية اللغوية ومن أهل السنة من لم يجز أكل ذبائح أهل الكتاب كالشافعي رضي الله عنه فقد حرّمها، ولكن استنادا لقول سيدنا عليّ بن أبي طالب في نصارى تغلب: ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلّا شرب الخمر.

<sup>(٢)</sup> هذا النموذج والنموذج الذي يليه هو من الدلالة العامة والتي خصصت عن أهل السنة إلا أن الطبرسي تمسك بمعلولها الأساسي العام.

<sup>(٣)</sup> جمعت بين الكلمتين لأن الكلام فيهما متشابه.

<sup>(٤)</sup> البقرة، آية: ٢٢١

<sup>(١)</sup> انظر السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار - محمد بن عليّ الشوكاني - دار ابن حزم - ٢٠٠٤ ص ٣٨٢ ، رد فيه على كتاب حدائق الأزهار.

<sup>(٢)</sup> المائدة، آية: ٥

ويرى بعض فقهاء الشيعة جواز الزواج من الكتابية مطلقاً، انطلاقاً من الآية الكريمة ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ولوجود نصوص مستفيضة او متواترة دالة على جواز نكاح الكتابية<sup>(١)</sup>.

وأغلب فقهاء الشيعة المعاصرين يذهبون إلى هذا الرأي، وأن الزواج من الكتابية جائز على كراهة. ومنهم الشيرازي<sup>(٢)</sup>، والشيخ التبريزي<sup>(٣)</sup>.

ويفصل بعض فقهاء الشيعة بين الزواج الدائم بالكتابية والمنقطع؛ فيرى جواز المتعة من الكتابية فقط، أما الدائم فهو حرام، نظراً لورود نصوص تحصر الجواز بالمؤقت، وهو الرأي الأشهر عند متأخري فقهاء الشيعة، وبه قال السيستاني على سبيل الاحتياط اللازم "الأظهر جواز التزوج بالنصرانية واليهودية متعة، والأحوط لزوماً ترك نكاحها دواماً."<sup>(٤)</sup>

يقول الطبرسي: "لما تقدم ذكر المخالطة بين تعالى من يجوز مخالطته بالنكاح فقال ﴿ولا تنكحوا المشركات﴾ أي: لا تتزوجوا النساء الكافرات ﴿حتى يؤمن﴾ أي: يصدقن بالله ورسوله، وهي عامة عندنا في تحريم مناكحة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة، واختلفوا فيه؛ فقال بعضهم: لا يقع اسم المشركات على أهل الكتاب وقد فصل الله بينهما فقال: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين﴾ [البينة: ١] و﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين﴾ [البقرة: ١٠٥] وعطف أحدهما على الآخر فلا نسخ في الآية ولا تخصيص. وقال بعضهم: الآية متناولة جميع الكفار والشرك يطلق على الكل ومن جحد نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أنكر معجزه وأضافه إلى غير الله، وهذا هو الشرك بعينه؛ لأن المعجز شهادة من الله له بالنبوة. ثم اختلف هؤلاء؛ فمنهم من قال إن الآية منسوخة في الكتاب بالآية التي في المائدة والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب [المائدة: ٥] عن ابن عباس والحسن ومجاهد، ومنهم من قال: إنها مخصوصة بغير الكتابيات عن

(١) جواهر الكلام - محمد حسن النجفي الطبعة الاولى ١٩٩٢م - بيروت - ج ١٠ ص ٦٣٩

(٢) المسائل الإسلامية - محمد الحسيني الشيرازي - الطبعة الثامنة والثلاثون ٢٠٠٠م - ٢٧٣٠م

(٣) المسائل المنتخبة - جواد التبريزي م ٩٨٤.

(٤) منهاج الصالحين - علي الحسيني السيستاني - ج ٣ مسألة ٢٠٥.

قتادة وسعيد بن جبير. ومنهم من قال إنها على ظاهرها في تحريم نكاح كل كافرة كتابية كانت أو مشركة عن ابن عمر وبعض الزيدية، وهو مذهبنا وسيأتي بيان آية المائدة في موضعها إن شاء الله. (١)

والشرك لغة: الشَيْنُ وَالرَّاءُ وَالْكَافُ أَصْلَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةٍ وَخِلَافٍ انْفِرَادٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى امْتِدَادٍ وَاسْتِقَامَةٍ.

فَالأَوَّلُ الشَّرْكَه، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ بَيْنَ اثْنَيْنِ لَا يَنْفَرِدُ بِهِ أَحَدُهُمَا. وَيُقَالُ: شَارَكْتُ فُلَانًا فِي الشَّيْءِ، إِذَا صِرْتَ شَرِيكَهُ. وَأَشْرَكْتُ فُلَانًا، إِذَا جَعَلْتَهُ شَرِيكًا لَكَ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي قِصَّةِ مُوسَى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٣٢]. وَيُقَالُ فِي الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ أَشْرِكْنَا فِي دُعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ اجْعَلْنَا لَهُمْ شُرَكَاءَ فِي ذَلِكَ، وَشَرَكْتُ الرَّجُلَ فِي الْأَمْرِ أَشْرَكُهُ.

وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَالشَّرْكُ: لَقَمُ الطَّرِيقِ، وَهُوَ شِرَاكُهُ أَيضًا. وَشِرَاكُ النَّعْلِ مُشَبَّهٌ بِهَذَا. وَمِنْهُ شَرْكُ الصَّائِدِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِامْتِدَادِهِ (١).

وفي الصحاح: الشَّرِيكُ يَجْمَعُ عَلَى شُرَكَاءَ وَأَشْرَاكِ وَالْمَرْأَةُ شَرِيكَةُ، وَالنِّسَاءُ شَرَائِكُ. وَشَارَكْتُ فُلَانًا: صِرْتُ شَرِيكَهُ. وَاشْتَرَكْنَا وَتَشَارَكْنَا فِي كَذَا. وَشَرَكْتُهُ فِي الْبَيْعِ وَالْمِيرَاثِ أَشْرَكُهُ شِرْكَه، وَالاسْمُ الشَّرْكُ. وَالشَّرْكُ أَيضًا: الْكُفْرُ، وَقَدْ أَشْرَكَ فُلَانٌ بِاللَّهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ وَمُشْرِكِيٌّ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ (٢).

والشرك اصطلاحًا: "هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة" (٣)

ويقول الأصفهاني: "وشرك الإنسان في الدين ضربان: أحدهما: الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال: أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر... والثاني: الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله ﴿شُرَكَاءَ فِي مَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثاني ص ٧٠

(٢) مقاييس اللغة - الجزء الثالث ص ٢٦٥

(٣) الصحاح في اللغة

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - لابن قيم الجوزية - دار المعرفة ١٤١٨ - المغرب - الجزء الأول ص ١٣٦

عما يشركون ﴿﴾ - ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ وقال بعضهم معنى قوله ﴿إلا وهم مشركون﴾ أي واقعون في شرك الدنيا أي حبالتها، قال: ومن هذا ما قال عليه السلام: "الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل على الصفا" قال: ولفظ الشرك من الألفاظ المشتركة وقوله ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ محمول على الشركين وقوله ﴿اقتلوا المشركين﴾ فأكثر الفقهاء يحملونه على الكفار جميعاً لقوله ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾ الآية، وقيل هم من عدا أهل الكتاب لقوله ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا﴾ أفرد المشركين عن اليهود والنصارى. <sup>(١)</sup>

وقريب من هذا النموذج توجيه الطبرسي لكلمة (كافر) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآثُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ <sup>(١)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ أي لا تمسكوا بنكاح الكافرات وأصل العصمة، وسمي النكاح عصمة لأن المنكوحة تكون في حبال الزوج وعصمته، وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت حربية أو ذمية وعلى كل حال؛ لأنه عام في الكوافر وليس لأحد أن يخص الآية بعبادة الوثن لتزولها بسببهن لأن المعتبر بعموم اللفظ. <sup>(٢)</sup>

وفي المقاييس: الكاف والفاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنى واحد، وهو السَّتر والتَّغطية.... والكُفْر: ضدُّ الإيمان، سُمِّيَ لأنَّه تَعْطِيةُ الحقِّ، كذلك كُفْران النِّعمة: جُحودها وسَترُها. <sup>(٣)</sup>

<sup>(١)</sup> مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني الطبعة الثانية ١٤٠٤ ص ٣٥٩ وما بعدها

<sup>(٢)</sup> المتحنة، آية: ١٠

<sup>(٣)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء التاسع - ٣٤٨

<sup>(٤)</sup> مقاييس اللغة مادة ك. ف. ر.

وفي اللسان: وفي التزويل العزيز: **وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ؛ الْكَوَافِرُ النِّسَاءُ الْكَافِرَةُ، وَأَرَادَ**  
**عَقْدَ نِكَاحِهِنَّ<sup>(١)</sup>.**

ويقول الراغب الأصفهاني: الكفر جحود الوجدانية أو الشريعة أو النبوة.<sup>(٢)</sup>

وفي مختصر الصواعق المحرقة يحدد ابن القيم مدلول الكفر اصطلاحاً فيقول: والكفر جحد ما  
علم أنَّ الرسول جاء به، سواء كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية، فمن جحد ما  
جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دق الدين وجله.<sup>(٣)</sup>

يقول الطبري: "حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا  
بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ مشركات العرب اللاتي يأتين الإسلام أمر أن يُخَلَّى سبيلهن." <sup>(١)</sup>

ونظرتُ في عدد من التفاسير كالرازي والقرطبي وابن كثير والسيوطي ولم أجد من ذكر على  
من تشمل كلمة (الكوافر) إلا ما وجدته عند الطبري من أنهم مشركات العرب<sup>(٢)</sup>.

**والظاهر - والله أعلم - أن دلالة كل من المشركات والكوافر لا تشمل أهل الكتاب،**  
**واستدل المفسرون على ذلك بآيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا**  
**وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ**  
**كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(٣)</sup>. فقد ذكر عز وجل اليهود والنصارى وذكر المشركين.**

<sup>(١)</sup> لسان العرب مادة ك. ف. ر.

<sup>(٢)</sup> المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني الطبعة الثانية ص ٤٣٤

<sup>(٣)</sup> مختصر الصواعق المحرقة في الرد على الجهمية والمعتلة لابن القيم ص ٥٩٦ دار الحديث طبعة ٢٠٠١

<sup>(١)</sup> تفسير جامع البيان في تفسير القرآن للطبري

<sup>(٢)</sup> وهناك آية ثالثة وهي الآية الخامسة من سورة المائدة قوله تعالى: ( أَلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ  
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ) وقد  
ناقشتها في المبحث الخاص بالتأويل بالزيادة في هذا الفصل.

### ٣-٢-١٢ النموذج الثاني عشر: (غنمتم) <sup>(١)</sup>

قال تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّنْقِيهِ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ <sup>(٢)</sup>

والخمس عند الشيعة الاثني عشرية هو في عموم الكسب، يقول النراقي في مستنده: "اعلم أنَّ الأصل وجوب الخمس في جميع ما يستفيده الإنسان ويكتسبه ويغنمه." <sup>(٣)</sup>

يقول الطبرسي: "الغنيمة ما أخذ من أموال أهل الحرب من الكفار بقتال وهي هبة من الله تعالى للمسلمين، والفىء ما أخذ بغير قتال وهو قول عطاء ومذهب الشافعي وسفيان وهو المروي عن أئمتنا (ع) وقال قوم: الغنيمة والفىء واحد، وادَّعوا أنَّ هذه الآية ناسخة للتي في الحشر من قوله ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾..... وقال أصحابنا: إنَّ الخمس واجب في كل فائدة تحصل للإنسان من المكاسب وأرباح التجارات وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب، ويمكن أن يُستدل على ذلك بهذه الآية فإنَّ في عُرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة." <sup>(١)</sup>

وفي المقاييس: الغين والنون والميم أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على إفادة شيء لم يُملك من قبل، ثم يختصُّ به ما أُخذ من مال المشركين بقَهْرٍ وَغَلَبَةٍ. قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ <sup>(٢)</sup>، قال الأزهري: الغنيمة ما أَوْجَفَ عليه المسلمون بخيلهم وركابهم من أموال المشركين، ويجب الخمس لمن قَسَمَ الله له، ويُقسَم أربعة أحماسها بين المُوجِفَيْن: للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم واحد، وأمَّا الفَيء فهو ما أفاء الله من أموال

<sup>(١)</sup> هذه الآية مخصصة عندنا معممة عند الشيعة

<sup>(٢)</sup> الأنفال، آية: ٤١

<sup>(٣)</sup> مستند الشيعة للنراقي الجزء العاشر ص ٩

<sup>(١)</sup> مجمع البيان للطبرسي-الجزء الرابع ص ٣٤٥

<sup>(٢)</sup> مقاييس اللغة لابن فارس-الجزء الرابع-٣٩٧



المشركين على المسلمين بلا حرب ولا إيجاف عليه، مثل جزية الرؤوس وما صُولحوا عليه فيجب فيه الخمس أيضًا لمن قسمه الله، والباقي يصرف فيما يسُد الثغور من خيل وسلاح وعُدّة وفي أرزاق أهل الفيء وأرزاق القضاة ومن غيرهم ومن يجري مجراهم، وقد تكرر في الحديث ذكر الغنيمة والمغنم والغنائم، وهو ما أُصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون الخيل والركاب. يقال: غَنِمْتَ غُنْمًا وَغَنِيمَةً، والغنائم جمعها.<sup>(١)</sup>

يقول الرازي: "الغنم: الفوز بالشيء، يقال: غنم يغنم غنمًا فهو غانم، والغنيمة في الشريعة ما دخلت في أيدي المسلمين من أموال المشركين على سبيل القهر بالخيال والركاب."<sup>(٢)</sup>

ويقول القرطبي: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ﴾ الغنيمة في اللغة ما يناله الرجل أو الجماعة بسعي؛ ومن ذلك قول الشاعر:

وقد طوّفتُ في الآفاق حتى رَضِيتُ من الغنيمة بالإياب<sup>١</sup>

وقال آخر:

وَمُطْعَمُ الْغُنْمِ يَوْمَ الْغَنَمِ مُطْعَمُهُائِي تَوَجَّهَ وَالْمَحْرُومُ مُحْرَمٌ<sup>٢</sup>

والمغنم والغنيمة بمعنى؛ يقال غنم غنم القوم غنمًا. وأعلم أن الاتفاق حاصل على أن المراد بقوله تعالى: ﴿غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ﴾ مال الكفار إذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر. ولا تقتضي اللغة هذا التخصيص على ما بيّناه، ولكن عُرف الشرع قيّد اللفظ بهذا النوع.<sup>(٣)</sup>

ويتبين من كلام المفسري واللغويين أن الغنيمة لفظ عام خصص وغلب عليه هذا التخصيص بدلالته على غنيمة الحرب خاصة، والدلال السياقي للآية يؤكد ذلك، كما إن كلمة الغنيمة

(١) لسان العرب - الجزء ١٢ ص ٢٤٦

(٢) مفاتيح الغيب للرازي الجزء ١٥ ص ٤٨٤

<sup>١</sup> البيت لامرء القيس من بحر الطويل (انظر ديوان امرئ القيس ص ٧٩)

<sup>٢</sup> البيت لعقمة الفحل من بحر البسيط (انظر شرح ديوان عقمة الفحل تحقيق حنا نصر الحني - دار الكتاب العربي بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٣ ص ٤٤)

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي الجزء الثامن ص ١

وردت في كتاب الله ست مرات بمعنى غنيمة الحرب<sup>(١)</sup>، أمّا توجيه الشيعة للغنيمة بالكسب العام فهو مما لم يظهر إلّا بالقرن الخامس.

### ٣-٣ المبحث الثالث: الدلالة المجازية

المجاز من جوز، جُزْتُ الطريقَ وِجَازَ الموضعِ جَوَزاً وَجُوُوزاً وَجَوَازاً وَمَجَازاً وَجَازَ بِهِ وَجَاوَزَهُ جَوَازاً وَأَجَازَهُ وَأَجَازَ غَيْرَهُ وَجَازَهُ: سَارَ فِيهِ وَسَلَكَهُ، وَأَجَازَهُ: خَلَفَهُ وَقَطَعَهُ، وَأَجَازَهُ.<sup>(٢)</sup>

وفي الاصطلاح اللغوي: المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له بين المتخاطبين، لعلاقة بينه وبين المعنى الذي وضع له، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي الذي وضع له النص<sup>(٣)</sup>، وعرفه الجرجاني بأنه: اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما<sup>(٤)</sup>. والمجاز من الوسائل البلاغية التي تكثر في كلام الناس، البليغ منهم وغيرهم، ويصنف مع فروع علم البيان.

وبعد شيوع علم الكلام انتشرت مقالة المجاز، وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظٌ تطلب السياقتوجيه معناها بخلاف الظاهر السابق إلى الفهم؛ لأن القرآن يحمل بين ألفاظه الكثير من الوجوه الدلالية، التي يظهرها التأويل والاستنباط.

فالتأويل المجازي وسيلة من وسائل الكشف عن مراد المتكلم، ومعرفة ما تعنيه ألفاظه، وذلك لا يتحقق إلّا بمراعاة أصول اللغة، فلا يكون إلا بدليل أو قرينة توجب صرف المعنى الظاهر الأصلي إلى غيره، وإلّا بطلت الثقة باللغة ومهمتها.<sup>(٥)</sup>

وقد يكون السياق الدلالي هو القرينة الأساسية لما تؤول له الكلمة<sup>(٦)</sup>، ولابدّ للمؤول من النظر إلى اللفظ والدلالة معاً، وإلى المعنى الكلي الذي يؤديه السياق؛ لأنّ الأسلوب يغير من مدلول اللفظ، وكذلك إدراك الحقيقة والمجاز، والحذر من الألفاظ المشتركة.

(١) أنظر المعجم الفهرس للقرآن الكريم مادة غ.ن.م

(٢) لسان العرب - الجزء الخامس ص ٣٢٦

(٣) أصول الفقه الإسلامي - أحمد حسين - الدار الجامعية - ١٩٨٦ - ص ٢٦٥

(٤) التعريفات للجرجاني - ص ٢٠٢

(٥) من محاذير التفسير سوء التأويل - يوسف القرضاوي - مجلة إسلامية المعرفة - العدد (٨)، ١٩٩٧م، ص ١٠٩.

كما يجب عليه ضرورة المعرفة باتجاهات الفرق الكلامية؛ لأنهم في اتجاهاتهم الخاصة يؤثرون في سَيْر الدلالة اللفظية، وتأويلاتهم يترتبُ عليها الوصول إلى أحكام تخدم منهجهم.

وقد أشار الشاطبي إلى ما يجب مراعاته في المؤول إليه ليصح حكمه:

١ - بأن يكون راجعاً إلى معنى صحيح في الاعتبار، متفق عليه في الجملة.

٢ - وأن يكون موضعُ اللفظ قابلاً للمعنى المؤول إليه من الناحية اللغوية، بوجه من وجوه الدلالة، حقيقية، أو مجازية، أو كناية، جرياً على سنن العربية، وما تدلُّ عليه أسباب نزول الآية.<sup>(٢)</sup>

### ٣-٣-١ النموذج الأول: ( كتب )

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وسبب توجيه هذه الآية أن الشيعة قدريون يعتقدون أن كتاب الله على الناس يتعارض مع العدل الإلهي، مشاهين بذلك المعتزلة.

ووجه الطبرسي قوله تعالى كتب بمعنى أثبت يقول الطبرسي: "﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ أي: ثبت في قلوبهم الإيمان بما فعل بهم من الألفاف؛ فصار كالمكتوب، عن الحسن.

<sup>(١)</sup> يرتبط المجاز بالتأويل ارتباطاً وثيقاً حتى إنه قد يلتبس أحياناً تمييز كل منهما عن الآخر لوجود علاقة تربطهما ببعض، بل هناك من أرجع التأويل كله إلى المجاز كما قال الغزالي " ويشبه أن يكون كل تأويل صرفاً للفظ عن الحقيقة إلى المجاز) المستصفي - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٥٠٥هـ) - محمد عبد السلام عبد الشافي - دار الكتب العلمية - الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

<sup>(٢)</sup> الموافقات - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (٧٩٠هـ) - أبو عبيدة مشهور بن حسن آل

سلمان - دار ابن عفان - الطبعة الأولى (١٩٩٧م) - ج ٣، ص ٣٣٠

<sup>(١)</sup> المجادلة، آية: ٢٢

وقيل: كتب في قلوبهم علامة الإيمان ومعنى ذلك أنها سمة لمن يشاهدهم من الملائكة على أنهم مؤمنون، كما إن قوله في الكفار: وطبع الله على قلوبهم علامة يعلم من شاهدها من الملائكة أنه مطبوع على قلبه".<sup>(١)</sup>

وفي المقاييس: الكاف والتاء والباء أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ. من ذلك الكِتَابُ والكتابة. يقال: كتبت الكتابَ أكتبه كِتَبًا<sup>(٢)</sup>، وفي اللسان كتبه: خطه.<sup>(٣)</sup>

وكتبَ اللهُ الشيءَ: قضاه وأوجبه وفرضه، وفي الترتيل العزيز: [البقرة: ١٨٣] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.<sup>(٤)</sup>

وأولُ المفسرون هذه الآية كل بما يتناسب مع معتقدهم؛ فأولها الأشاعرة أنها بمعنى الخلق، يقول الرازي: "وقال جمهور أصحابنا: ﴿كُتِبَ﴾ معناه أثبت وخلق، وذلك لأنَّ الإيمان لا يمكن كتبه، فلا بد من حمله على الإيجاد والتكوين".<sup>(١)</sup>

وأولها المعتزلة كما أولها الطبرسي، بمعنى الإثبات، يقول الزمخشري: "﴿كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ﴾ أثبت فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم".<sup>(٢)</sup>

ولا شكَّ في أنَّ الكتابة مجازية في الآية، والكتابة في أصل معناه الجمع، والمعنى المشهور لها هو الخط، وقد وردت بهذا المعنى في كتاب الله يقول تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ بِهٍ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾.<sup>(٣)</sup>

(١) مجمع البيان - الجزء التاسع ص ٣٢٤

(٢) مقاييس اللغة - الجزء الخامس ص ١٥٨

(٣) لسان العرب - الجزء الأول ٦٩٨

(٤) المعجم الوسيط - الجزء الثاني ٧٧٤

(١) مفاتيح الغيب للرازي - الجزء ٢٩ ص ٤٩٩

(٢) الكشاف للزمخشري - الجزء الرابع ص ٤٩٧

(٣) البقرة، آية: ٧٩ وانظر البقرة، آية: ٢٨٢

كما أتت بمعنى الإثبات كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾<sup>(١)</sup>

والوجوب والقضاء كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

والحكم كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

والجعل كقوله تعالى: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

أمّا الآية التي بين يدينا فحملها على القضاء يجمع بين الخلق والإثبات، والخلق والإثبات لله عز وجل فهو خالق الإيمان في قلوبهم ومُثَبِّتُهُ، يقول الطبري: "وإنما عني بذلك: قضى لقلوبهم الإيمان، ففي بمعنى اللام."<sup>(١)</sup>

### ٣-٣-٢ النموذج الثاني: كلمة (يد)

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

ينفي الشيعة الاثنا عشرية التجسيد عن الله، ويقولون إن الله سبحانه وتعالى ليس بمادة<sup>(٣)</sup>، كما هم المعتزلة والأشاعرة.

(١) آل عمران، آية: ١٨١

(٢) البقرة، آية: ١٨٣

(٣) القلم، آية: ٤٧

(٤) آل عمران، آية ٥٣، المائدة، آية: ٨٣

(٥) الأعراف، آية: ١٥٦

(١) تفسير الطبري - الجزء ٢٢ ص ٤٩٢

(٢) سورة (ص)، آية: ٧٥

(٣) أصول العقائد لرضي الشيرازي - مطبعة دار الرسول الأكرم - الطبعة الأولى ١٤٢٥ ص ١٥١

ويقول ابن تيمية: "حكى غير واحد إجماع السلف: أن صفات الباري - جل وعلا - تجري على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنه، وذلك أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذى حذوه ويتبع فيه مثاله؛ فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فنقول: إن لله سبحانه يداً وسمعاً، ولا نقول: إن معنى اليد القدرة، ومعنى السمع العلم."<sup>(١)</sup>

ووجه الطبرسي كل النصوص القرآنية التي ورد فيها ذكر يد الله<sup>(٢)</sup>، وسأتناول نموذجاً واحداً من هذه النماذج، وهو الآية ٧٥ سورة (ص) لأنه من أكثر النماذج المشككة.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾<sup>(١)</sup>

يقول الطبرسي: ﴿لما خلقت بيدي﴾ يقول: "توليت خلقه بنفسي من غير واسطة، عن الجبائي ومثله: مما عملت أيدينا، وذكر اليمين لتحقيق الإضافة لخلقه إلى نفسه وهو قول مجاهد ومثله قوله ﴿ويبقى وجه ربك﴾ [الرحمن: ٢٧] أي ربك. وقيل: معناه خلقتَه بقدرتي عن أبي مسلم وغيره والعرب، كما تطلق لفظ اليد للقدرة والقوة فقد تطلق لفظة اليدين."<sup>(٢)</sup>

واليد: الكف، وقال أبو إسحق: اليد من أطراف الأصابع إلى الكف، وهي أنثى محذوفة اللام، وزنها فعلٌ يَدِي، فحذفت الياء تخفيفاً فاعتقبت حركة اللام على الدال..... وقوله عز وجل: يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ؛ قال الزجاج: يحتمل ثلاثة أوجه: جاء الوجهان في التفسير؛ فأحدهما يَدُ اللَّهِ فِي الْوَفَاءِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، والآخر يَدُ اللَّهِ فِي الثَّوَابِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، والثالث - والله أعلم - يَدُ اللَّهِ فِي الْمِنَّةِ عَلَيْهِمْ فِي الْهُدَايَةِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فِي الطَّاعَةِ.

<sup>(١)</sup> مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله - عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) أشرف على جمعه وطبعه:

محمد بن سعد الشويعر - الجزء الثالث ص ٨٤

<sup>(١)</sup> سورة ص ٧٥

<sup>(٢)</sup> مجمع البيان للطبرسي الجزء الثامن ص ٢٨٨

وَالْيَدُ الْغَنَى وَالْقُدْرَةُ، تقول: لي عليه يَدٌ أَيْ قُدْرَةٌ. ابن الأعرابي: الْيَدُ النِّعْمَةُ، وَالْيَدُ الْقُوَّةُ، وَالْيَدُ الْقُدْرَةُ، وَالْيَدُ الْمَلِكُ، وَالْيَدُ السُّلْطَانُ، وَالْيَدُ الطَّاعَةُ، وَالْيَدُ الْجَمَاعَةُ، وَالْيَدُ الْأَكْلُ؛ يقال: ضَع يَدَكَ أَيْ كُلْ، وَالْيَدُ النَّدَمُ، ومنه يقال: سَقَطَ فِي يَدِهِ إِذَا نَدِمَ، وَأُسْقِطَ أَيْ نَدِمَ.

وفي التزويل العزيز: ولما سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ؛ أَيْ نَدِمُوا، وَالْيَدُ الْغِيَاثُ، وَالْيَدُ مَنَعُ الظُّلْمِ، وَالْيَدُ الْإِسْتِسْلَامُ، وَالْيَدُ الْكَفَالَةُ فِي الرَّهْنِ؛ ويقال للمعَاتِب: هذه يدي لك.<sup>(١)</sup>

واختلف المفسرون في تفسير هذه الآيات وتوجيهها على حسب مذاهبهم يقول الطبري: "﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾" يقول: "لخلق يدي"، يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه، كما: حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عبيد المكتب، قال: سمعتُ مجاهدًا يحدث عن ابن عمر، قال: خلق الله أربعة بيده: العرش، وعَدَن، والقلم، وآدم، ثم قال لكل شيء كن فكان.<sup>(٢)</sup>

وحملها الزمخشري<sup>(٣)</sup> على أن ذكر اليد على أنها أكثر ما يكون العمل لها يقول: "فإن قلت: ما وجه قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: قلت: قد سبق لنا أن ذا اليمين يباشر أكثر أعماله بيديه، فغلبت العمل باليمين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما، حتى قيل في عمر القلب: هو مما عملت يداك، وحتى قيل لمن لا يدي له: يداك أوكتا وفوك نفخ، وحتى لم يبق فرق بين قولك: هذا مما عملته، وهذا مما عملته يداك."<sup>(٤)</sup>

ويقول الرازي<sup>(٥)</sup> بعد كلام طويل وبيان للكثير من الأدلة تنفي التجسيد عن الله، ذاكراً معظم التأويلات التي أولها المفسرون لهذه الآية: "والذي تلخص عندي في هذا الباب أن السلطان العظيم لا يقدر على عمل شيء بيده إلا إذا كانت غاية عنايته مصروفة إلى ذلك العمل، فإذا

(١) لسان العرب الجزء ١٥ ص ٤٢٣

(٢) جامع البيان للطبري-الجزء العشرون ص ١٤٥

(٣) ووجه الزمخشري جميع النصوص الأخرى التي تتعلق باليد بتوجيهات بعيدا عن إثبات اليد لله

(٤) الكشف للزمخشري-الجزء الرابع ص ١٠٥

(٥) ووجه الرازي جميع النصوص الأخرى التي تتعلق باليد بعيدا عن إثبات اليد لله

كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد أمكن جعله مجازاً عنه عند قيام الدلائل القاهرة.<sup>(١)</sup>، وهو توجيه القرطبي والشوكاني أيضاً.<sup>(٢)</sup>

ويقول ابن تيمية: "إن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يُستعمل في النعمة ولا في القدرة؛ لأن استعمال لفظ الواحد في الاثنين أو الاثنين في الواحد لا أصل له في لغة العرب التي نزل بها القرآن، فقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ لا يجوز أن يراد به القدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد، ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأن نعم الله لا تحصى، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية."<sup>(٣)</sup>

وأقول: إن حمل الآية على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه كما قال الطبري لا يمنعه اعتقاد أو لغة، ولكن وإن حملناها على هذا المعنى، فهو لا يخرج على أن المعنى تخصيص آدم بالعناية الإلهية والتي استدللنا عليه بقوله تعالى ﴿يَدَيَّ﴾، والسياق الدلالي يؤيد هذا المعنى في قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ وقوله تعالى ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، ويؤيد ذلك أيضاً قراءة بيدي مفردة.

كما أن تعميم الظاهر في كل الآيات كما اختار ابن تيمية رحمه الله، يفسد المعنى ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]

ما المعنى في قوله تعالى يد الله مبسطة إلا أنه دلالة على كرمه عز وجل، وهو تعبير شائع في الاستدلال على الكرم، وحمل المعنى على ظاهره لا يفيد.

(١) مفاتيح الغيب للرازي- الجزء ٢٦ ص ٤١٣

(٢) كما وجهوا النصوص الأخرى التي تتعلق باليد

(٣) مجموع الفتاوى الجزء السادس ص ٣٦٣



كما هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ أَعْظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]

فكيف تكون يد الله فوق أيديهم إلا إذا أولنا هذه اليد بالنصرة والقوة وغير ذلك؟

### ٣-٣-٣ النموذج الثالث: (يمكرون)<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

وجهت هذه الآية عند الشيعة وغيرهم؛ فقد أوّل هذه الآية معظم المفسرين على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم؛ وسبب توجيه هذه الآية هو أنّ المكر من الله بمعنى الاحتيال محال.

يقول الطبرسي: "﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ أي: ويدبرون في أمرك ويدبر الله في أمرهم عن أبي مسلم. وقيل: ويحتالون في أمرك من حيث لا تشعر فأحلّ الله بهم ما أراد من عذابه من حيث لا يشعرون عن الجبائي. وقيل: يمكرون والله تعالى يجازيهم على مكرهم كما قال سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] ﴿والله خير الماكرين﴾ لأنه لا يمكر إلا ما هو حق وصواب وهو إنزال المكروه بمن يستحقه، والعباد قد يمكرون مكرًا هو ظلم وباطل ومكرهم الذي هو عدل لا يبلغ في المنفعة للمؤمنين مبلغ مكر الله؛ فلذلك قال خير الماكرين. وقيل: معناه خير المجازين على المكر."<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> وقريب من هذا التوجيه الطبرسي لقوله تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) النساء ١٤٢

<sup>(٢)</sup> الأنفال، آية ٣٠

<sup>(١)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء الرابع ص ٣٣٨

والمكر احتيال في خفة، قال أهل العلم بالتأويل: المكر من الله تعالى جزاء سُمي باسم مكر المجازي كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، فالثانية ليست بسيئة في الحقيقة ولكنها سميت سيئة لازدواج الكلام، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾، فالأول ظلم والثاني ليس بظلم ولكنه سمي باسم الذنب ليعلم أنه عقاب عليه وجزاء به، ويجري مجرى هذا القول قوله تعالى: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَاللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول الزمخشري: "﴿وَيَمَكُرُ اللَّهُ﴾ وينفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ أي: مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً، أو لأنه لا يتزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب." <sup>(٢)</sup>

ويقول الرازي: "فإن قيل: كيف قال: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ ولا خير في مكرهم قلنا: فيه وجوه؛ أحدها: أن يكون المراد أقوى الماكرين فوضع ﴿خَيْرٌ﴾ موضع أقوى وأشد، لينبه بذلك على أن كل مكر فهو يبطل في مقابلة فعل الله تعالى. وثانيها: أن يكون المراد خير الماكرين لو قدر في مكرهم ما يكون خيراً وحسناً. وثالثها: أن يكون المراد من قوله: ﴿خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ ليس هو التفضيل، بل المراد أنه في نفسه خير كما يقال: (الثريد خير من الله تعالى)." <sup>(٣)</sup>

يقول القرطبي: "﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ ابتداء وخبر. والمكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون." <sup>(٤)</sup>

وأقول: ربما غلب على معنى المكر المعنى السلبي، والمكر في اللغة احتيال في خفة، وعرفه الجرجاني بأنه إرادة مضرة الغير خفية<sup>(٥)</sup>. ومنه قول الله: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾<sup>(٦)</sup>، أي صنع الله صنيعاً خفياً جلب فيه الخير ليعقوب وبنيه بإحضارهم من المجاعة إلى أرض مصر<sup>(٧)</sup>، وهكذا

(١) لسان العرب - الجزء الخامس ١٨٣

(٢) تفسير الكشاف - الجزء الثاني ص ٢١٦

(٣) تفسير الرازي - الجزء ١٥ ص ٤٧٨

(٤) تفسير القرطبي - الجز لسابع ص ٣٩٧

(٥) كتاب التعريفات للجرجاني ص ١٨٩

(٦) يوسف، آية ٧٦

(٧) انظر تفسير الطبري وتفسير القرطبي موضع الآية ٦٧ من سورة يوسف

فالكيّد الحسن والخداع الحسن لا يستهجنه أحد، ومن مثل هذا المخادعة والمكر بمن أراد الاعتداء على العرض والمال والنفس.

فإذا أضفنا إلى ذلك المشاكلة اللفظية بين يمكرون ويمكر الله، والمشاكلة اللفظية: " في اللغة هي المماثلة، والذي تحرر في المصطلح عند علماء هذا الفن أن المشاكلة هي ذكر الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته،" <sup>(١)</sup> وعند ابن عاشور المشاكلة هي: "استعارة لفظ لغير معناه مع مزيد مناسبة مع لفظ آخر مثل اللفظ المستعار". فالمشاكلة ترجع إلى التلميح، أي إذا لم تكن لإطلاق اللفظ على المعنى المراد علاقة بين معنى اللفظ والمعنى المراد إلا محاكاة اللفظ، سميت مشاكلة،" <sup>(٢)</sup> فإذا أضفنا هذا المعنى للمشاكلة اللفظية، فإن المعنى يتضح.

### ٣-٣-٤ النموذج الرابع:

قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ <sup>(١)</sup>

ويرجع هذا التوجيه إلى اعتقاد الشيعة الاثني عشرية بالعصمة المطلقة للأنبياء، يقول جعفر السبحاني: "جميع الأنبياء كانوا معصومين، مطهرين عن العيوب والذنوب كلها، وعن السهو والنسيان في الأفعال والأقوال، من أول الأعمار إلى اللحد، بدليل أنهم لو فعلوا المعصية أو يطرأ عليهم السهو لسقط محلهم من القلوب، فارتفع الوثوق والاعتماد على أقوالهم وأفعالهم، فتبطل فائدة النبوة، فما ورد في الكتاب ﴿القرآن﴾ فيهم فهو واجب التأويل" <sup>(٢)</sup>، ويبالغون في ذلك، بل يعتقدون أن الأئمة معصومون كالأنبياء، يقول آية الله الموسوي: "العصمة معتبرة في الإمام؛ فهو حافظ الشرع قائم به فحاله كحال النبي". <sup>(٣)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿وتقلبك في الساجدين﴾ أي: ويرى تصرفك في المصلين بالركوع والسجود والقيام والقعود، عن ابن عباس وقتادة، والمعنى يراك حين تقوم إلى الصلاة مفرداً

<sup>(١)</sup> الإيضاح في علوم البلاغة - الجزء الثاني ٢٥٢

<sup>(٢)</sup> التنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - بن عاشور - الجزء الخامس ٢٣٩

<sup>(٣)</sup> الشعراء، آية: ٢١٩

<sup>(٢)</sup> أضواء على عقائد الشيعة الإمامية للسبحاني ص ٣٧٣

<sup>(٣)</sup> عقائد الإمامية الاثني عشرية - الموسوي - الطبعة الخامسة ١٩٨٢ - الجزء الأول ص ٧٧

وتقبلبك في الساجدين إذا صليت في جماعة. وقيل: معناه وتقبلبك في أصلاب الموحدين من نبيّ إلى نبيّ حتى أخرجك نبيّاً، عن ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله صلوات الله عليهما قالا: في أصلاب النبيين نبيّاً بعد نبيّ حتى أخرجته من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم (ع).<sup>(١)</sup>

السين والجيم والذال أصلٌ واحدٌ مطّرد يدلّ على تطامنٍ وذلّ. يقال سجد، إذا تطامنَ.<sup>(٢)</sup>، وسَجَدَ وَضَعَ جَبْهَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ<sup>(٣)</sup>، والسجود اصطلاحاً: وضع الجبهة أو بعضها على الأرض أو ما اتّصل بها من ثابت مستقرّ على هيئة مخصوصة.<sup>(٤)</sup>

وذكر الطبري تأويلين للآية: بأنّ تقلّبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمّهم، والتأويل الثاني: تقلب بصره فيمن يصلي خلفه، وهو ما ذكره الزمخشري والقرطبي وابن كثير.<sup>(١)</sup>

وفصلالرازي قول الشيعة بهذه الآية باعتبار أنّ الشيعة اتخذتها دليلاً على العصمة المطلقة عند الأنبياء، ولم يُجز أن تحمل على المعنى الذي ذكره الطبرسي.<sup>(٢)</sup>

والراجع - والله أعلم - أنّ تقلّبه في الساجدين يدل على تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده؛ ومما يستدل عليه من الناحية اللغوية:

١- أنّ معنى ساجدين لغة واصطلاحاً يوفق هذا المعنى، ولا يتناسب أبداً مع معنى انتقاله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، كما ادعى الطبرسي وشيعته.

(١) مجمع البيان للطبرسي-الجزء السابع ص ٢٦٠-٢٦١

(٢) مقاييس اللغة -الجزء الثالث ص ١٣٣

(٣) المعجم الوسيط -الجزء الأول ص ٤١٦

(٤) حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي للشيخ محمد أمين

الشهير: بن عابدين، الطبعة الثانية، ٣٠٠/١

(١) انظر في تفاسيرهم في موضع الآية

(٢) مفاتيح الغيب للرازي-الجزء ٢٧ ص ٣٧

٢- أن حرف الجر (في) في معناه الوعاء<sup>(١)</sup> وقوله سبحانه تعالى ﴿في﴾ يدل على انصهاره فيهم حتى كأنهم وعاء له.

٣- السياق الدلالي للآية يؤكد ذلك فقوله سبحانه وتعالى: ﴿حين تقوم﴾ ثم قوله ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ وهذه أفعال الصلاة.

### ٣-٤ المبحث الرابع: التوجيه بتقدير محذوف

ومن المسالك الغريبة التي سلكها الطبرسي لتأييد معتقداته، تقديرُ كلام محذوف في الآية وإضافته للآية، وله شواهد عديدة؛ منها:

#### ٣-٤-١ النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾<sup>(١)</sup>

حيث يصرح الطبرسي في هذه الآية أنها تتنافى ومعتقداته وبذلك فهو يضيف عليها ما يناسب معتقده بالعدل الإلهي الذي يتنافى في معتقدهم مع إرادة الله سبحانه وتعالى في إهلاكهم.

يقول الطبرسي: "﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ لما لم يجز في العقول تقديم إرادة العذاب على المعصية لأنه عقوبة عليها ويستحقه لأجلها - فمتى لم توجد المعصية لم يحسن فعل العقاب وإذا لم يحسن فعله لم تحسن إرادته - اختلفوا في تأويل الآية وتقديرها على وجوه؛ أحدها: أن معناه وإذا أردنا أن نهلك أهل قرية بعد قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم أمرنا مترفيها أي رؤساءها وساداتها بالطاعة واتباع الرسل أمراً بعد أمر نكره عليهم وبينه بعد بينة نأتيهم بها إعداراً للعصاة وإنذاراً لهم وتوكيداً للحجة ففسقوا فيها بالمعاصي وأبوا

<sup>(١)</sup> معاني الحروف للرماني - ص ٩٦

<sup>(١)</sup> الإسراء، آية: ١٦

إلا تمادياً في العصيان والكفران. " ثم ذكر عدة وجوه إلا أنه رجح القول الأول يقول: "والوجه الأول عندي أصح الوجوه وأقربها إلى الصواب." (١)

ووجهها الرازي التوجيه نفسه (٢)، ورد هذا الرأي الزمخشري لعدم وجود دليل على الحذف يقول الزمخشري: "فإن قلت: هلاً زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا؟ قلت: لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز، فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه، وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه، وهو كلام مستفيض، يقال: أمرته فقام؛ وأمرته فقراً لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة، ولو ذهب تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب، ولا يلزم على هذا قولهم: أمرته فعصاني، أو فلم يمتثل أمري؛ لأن ذلك منافٍ للأمر مناقض له، ولا يكون ما يناقض الأمر مأموراً به، فكان محالاً أن يقصد أصلاً حتى يجعل دالاً على المأمور به، فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي؛ لأن من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمره مأموراً به، وكأنه يقول: كان مني أمر فلم تكن منه طاعة، كما إن من يقول: فلان يعطي ويمنع، ويأمر وينهى، غير قاصد إلى مفعول. فإن قلت: هلاً كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالقصد والخير، دليلاً على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا؟ قلت: لا يصح ذلك؛ لأن قوله ﴿فَفَسَقُوا﴾ يدافعه." (١)

وحملها الزمخشري على المجاز، أي أن الله صب عليهم النعمة صباً، فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات، فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه (٢).

وأنكر الرازي على الزمخشري حملها على المجاز واكتفى بقوله: "وهذا الكلام في غاية الظهور فلا أدري لم أصر صاحب «الكشاف» على قوله مع ظهور فساد؟ فثبت أن الحق ما ذكره

(١) مجمع البيان للطبرسي-الجزء السادس ١٧٧-١٧٨

(٢) تفسير الرازي-الجزء ٢٠ ص ٣١٣-٣١٤

(١) الكشاف للزمخشري-الجزء الثاني ص ٦٥٤

(٢) المصدر السابق

الكل وهو أن المعنى أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك الأمر عنادًا وأقدموا على الفسق." (١)

**والأرجح - والله أعلم -** حمل الآية على حقيقتها؛ فإذا أراد الله إهلاك قرية أمر مترفيها بالفسق فحق عليها القول بالتدمير. فمن هلك فإثمًا هلك بإرادته سبحانه، وهو التوجيه الأول من التوجيهات التي ذكرها القرطبي. (٢)

ويدعمه ما ذكره سبحانه في الآية السابقة من أن العذاب لا يكون إلا بعد إرسال الرسل، يقول تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٣)

### ٣-٤-٢ النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)

وهذه الآية تتعلق بالرؤيا عند الشيعة، والتي هي غير جائزة عندهم، وقد ناقشت هذه الآية في عدد من المواضع (٢)، وفي هذا الموضع سأناقش قول الطبرسي: ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بأنه لا يراك أحد من خلقك عن ابن عباس والحسن، ورؤي مثله عن أبي عبد الله (ع) قال معناه: أنا أول من آمن وصدق بأنك لا تُرى. وقيل: معناه أنا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية عن الجبائي. وقيل: أول المؤمنين بك من بني إسرائيل عن مجاهد والسدي. (٣)

(١) مفاتيح الغيب للرازي - الجزء ٢ - ص ٣١٤

(٢) الجزء العاشر ص ٢٤٣

(٣) الإسراء، آية: ١٦

(١) الأعراف، آية: ١٤٣

(٢) انظر ص ٦٠ و ص ٧٠ و ص ١٠٦ و ص ١٢٧

(٣) مجمع البيان للطبرسي - جزء الرابع ص ٢٦١

وقال الرازي: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنك لا ترى في الدنيا، أو يقال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأنه لا يجوز السؤال منك إلا بإذنك.<sup>(١)</sup>، وهو توجيه ذكره عدد من المفسرين واختاره بعضهم. ١.

ويقول الطبري: "أنا أول المؤمنين من بني إسرائيل لأنه قد كان قبله في بني إسرائيل مؤمنون وأنبياء، منهم ولد إسرائيل لصلبه، وكانوا مؤمنين وأنبياء". ١. والأرجح - والله أعلم - القول هو ما اختاره الطبري؛ لأن عدم تخصيص المعنى يدل على الإيمان بالله، أما تخصيص الدلالة بأنه لا ترى أو لا ترى في الدنيا على رأي المعتزلة فلا حاجة له.

### ٣-٤-٣ النموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

يقول الطبرسي: "﴿وقفّوهم﴾ أي: قفوا هؤلاء الكفار وأحبسوهم عن دخول النار ﴿إنهم مسئولون﴾ روى أنس بن مالك مرفوعاً أنهم مسئولون عما دعوا إليه من البدع. وقيل: مسئولون عن أعمالهم وخطاياهم عن الضحاك. وقيل: عن قول لا إله إلا الله عن ابن عباس. وقيل: عن ولاية علي بن أبي طالب (ع) عن أبي سعيد الخدري وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً حدثناه عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني بالإسناد.<sup>(١)</sup>

أما مفسرو أهل السنة فأولوا الآية تأويلات مختلفة منها أنهم مسئولون عن لا إله إلا الله، ومنها أنهم مسئولون عن أعمالهم وأقوالهم، ومنها أنهم مسئولون عن خطاياهم، ولا يخفى ما في عدم ذكر المسؤول عنه من بلاغة، ضمن السياق الدلالي للآيات فسبحانه يصف هذا الموقف

(١) مفاتيح الغيب للرازي-الجزء ١٤ ص ٣٥٩

(٢) الصفات، آية: ٢٤

(١) مجمع البيان الجزء الثامن ص ٢٣٠



العظيم، البعث والحشر ثم السؤال وهو سؤال لم يحدد، وهذا مما يزيد الموقف رهبة، ومن الطبيعي أن يؤول هذا السؤال بالسؤال عن التوحيد أو الأعمال أو الأقوال، أمّا أن يؤول أنه السؤال عن ولاية سيدنا عليّ فهو تطاول على النص القرآني، لم يفعله إلا أئمة الشيعة الاثني عشرية ومنهم الطبرسي.

### ٣-٤-٤ النموذج الرابع:

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾<sup>(١)</sup>

يحشد الطبرسي هذه الآية ضمن الآيات الدالة على أن الولاية لعليّ رضي الله، يقول الطبرسي: ﴿ثم اهتدى﴾ أي: ثم لزم الإيمان إلى أن يموت واستمر عليه. وقيل: ثم لم يشك في إيمانه عن ابن عباس. وقيل: ثم أخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلك سبيل البدعة عن ابن عباس أيضاً والربيع بن أنس. وقال أبو جعفر الباقر (ع): ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت (ع) فوالله لو أن رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجئ بولايتنا لأكبّه الله في النار على وجهه، رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده وأورده العياشي في تفسيره من عدة طرق.<sup>(٢)</sup>

والقول بأن الهداية إلى ولاية سيدنا عليّ رضي الله عنه، ذكرها الطبري يقول: "حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا عمر بن شاکر، قال: سمعتُ ثابتاً البُناني يقول في قوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ قال: إلى ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم."<sup>(١)</sup>

كما ذكرها القرطبي ضمن ثمانية أقوال في توجيه قوله تعالى ﴿ثم اهتدى﴾، اختار منها أي أنهما قام على إيمانه حتى مات عليه.<sup>(٢)</sup>

(١) طه، آية: ٨٢

(٢) مجمع البيان للطبرسي - الجزء السابع ص ٣٣

(١) تفسير الطبري - الجزء ١٦ ص ١٢٩

(٢) تفسير القرطبي الجزء ١١ ص ٢٣١

وحصر الدلالة بالهداية لولاية آل البيت، مما يحتاج إلى قرينة، والسياق الدلالي للآيات يدور حول بني اسرائيل وليس آل النبي صلى الله عليه وسلم.

### ٣-٤-٥ النموذج الخامس:

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

ويرجع توجيه هذه الآية عند الشيعة الاثني عشرية، إلى أنَّ نفي الأبوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخرج الحسن والحسين رضي الله عنهما، من إطار البنوة، والتي يعتد بها الشيعة في إثبات حق آل البيت بالإمامة.

يقول الطبرسي: "﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ الذين لم يلدهم وفي هذا بيان أنه ليس بأب لزيد فتحرم عليه زوجته فإنَّ تحريم زوجة الابن معلق بثبوت النسب فمن لا نسب له حرمة لامراته ولهذا أشار إليهم فقال من رجالكم وقد ولد له صلى الله عليه وسلم أولاد ذكور إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر؛ فكان أباهم. وقد صح أنه قال للحسن: "إنَّ ابني هذا سيدٌ". وقال أيضاً: للحسن والحسين: "ابناني هذان إمامانقما أو قعدا" وقال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ كل بني بنت ينتسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمة فإنِّي أنا أبوهم" وقيل: أراد بقوله رجالكم البالغين من رجال ذلك الوقت ولم يكن أحد من أبنائه رجلاً في ذلك الوقت."<sup>(١)</sup>

وتأويل الطبرسي قوله تعالى ﴿﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾﴾ بقوله الذين لم يلدهم غاية في الضعف؛ فسبحانه نفى أن يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أبا لأحد من رجاله على الإطلاق، والنفي واضح، و﴿من﴾ هنا أتت لبيان الجنس، فالمعنى نفى أن يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أبا لأحد من الرجال على الإطلاق، ولا أدري لماذا يصر الشيعة الاثنا عشرية على إثبات بنوة الحسن والحسين لرسول الله والتي لم ينكرها أهل السنة؟ ولكن النبوة لا تورث، ولن أزيد على ما قاله الزمخشري يقول: "فإن قلت: أما كان أبا للطاهر

<sup>(١)</sup> الأحزاب، آية: ٤٠

<sup>(١)</sup> مجمع البيان - الجزء الخامس ص ١٢٥

والطيب والقاسم وإبراهيم؟ قلت: قد أخرجوا من حكم النفي بقوله: ﴿مَنْ رَجَّالَكُمْ﴾ من وجهين، أحدهما: أنَّ هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال. والثاني: أنه قد أضاف الرجال إليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم. فإن قلت: أما كان أبا للحسن والحسين؟ قلت: بلى، ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ، وهما أيضاً من رجاله لا من رجالهم، وشيء آخر: وهو أنه إنما قصد ولده خاصة، لا ولد ولده؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ألا ترى أنَّ الحسن والحسين قد عاشا إلى أن نيّف أحدهما على الأربعين والآخر على الخمسين.<sup>(١)</sup>

وهذا الكلام وافٍ في هذه المسألة، إضافة إلى أنَّ السياق الخارجي للآية، من أنها نزلت بزيد بن حارثة رضي الله عنه، يبعدها عن كونها أحد آيات إثبات الإمامة أو نفي غير ذلك.

### ٣-٤-٦ النموذج السادس:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخُسْرِينَ﴾<sup>(١)</sup>

ويرجع توجيه هذه الآية إلى أنَّ الشيعة الاثني عشرية تحرم الزواج من الكتابيات، وقد تحدث عن هذا تفصيلاً في المبحث الخاص بتخصيص الدلالة<sup>(٢)</sup>.

يقول الطبرسي: "﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ وهم اليهود والنصارى واختلف في معناه فقليل: هنَّ العفاف حرائر كنَّ أو إماء حرييات كنَّ أو ذميات، عن مجاهد

(١) الكشف للزمخشري- الجزء الثالث - ص ٥٤٤

(٢) المائدة، آية ٥

(٣) ص ١٩٧

والحسن والشعبي وغيرهم. وقيل: هنَّ الحرائر ذميات كنَّ أو حرييات. وقال أصحابنا: لا يجوز عقد نكاح الدوام على الكتابية لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] ولقوله: ﴿لَا تَمْسُكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ [المتحنة: ١٠] وأولوا هذه الآية بأنَّ المراد بالمحصنات الذين أوتوا الكتاب اللاتي أسلمنَّ منهنَّ، والمراد بالمحصنات من المؤمنات اللاتي كنَّ في الأصل مؤمنات بأنَّ وُلدن على الإسلام؛ وذلك أنَّ قومًا كانوا يتخرجون من العقد على من أسلمت عن كفر فبيِّن سبحانه أنه لا حرج في ذلك فلهذا أفردهنَّ بالذكر، حكى ذلك أبو القاسم البلخي: قالوا ويجوز أن يكون مخصوصاً أيضاً بنكاح المتعة وملك اليمين فإنَّ عندنا يجوز وطؤهنَّ بكلا الوجهين على أنه قد روى أبو الجارود عن أبي جعفر (ع) أنه منسوخ بقوله: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ﴾ وبقوله: ﴿وَلَا تَمْسُكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾. <sup>(١)</sup>

وظاهر الآية لا يدل على ذلك، بل إنَّ السياق الدلالي يدل على أنَّ المقصود المحصنات من أهل الكتاب، بدليل قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، أمَّا قوله أنَّ المقصود بالمحصنات من المؤمنات من وُلدن على الإيمان فهذا أيضاً لا مبرر له.

### ٣-٥ المبحث الخامس: التوجيه الباطني:

ومصطلح التأويل الباطني يتركب من كلمتين (التأويل): ومعناه يدور حول التفسير، والمصير، والعاقبة وغيرها من المعاني <sup>(١)</sup>، و(الباطني): وأصل هذه الكلمة مادة بَطُن، وهو خلاف الظاهر، والباطن: اسم فاعل وهو ضد الظاهر. <sup>(٢)</sup>

أمَّا المعنى الاصطلاحي للتأويل الباطني: فهو الزعم بأنَّ لنصوص الشرع ظاهراً وباطناً؛ فكان لابدَّ من إخراج النص من دلالة الظاهرية إلى دلالة الباطنية بطريق التأويل؛ فالظاهر هو الصور

<sup>(١)</sup> مجمع البيان الجزء الثالث ص ٢٣٢

<sup>(١)</sup> لسان العرب الجزء ١١ ص ٣٢

<sup>(٢)</sup> لسان العرب الجزء ١٣ ص ٥٢

والأمثال المضروبة للمعاني، والباطن هو المعاني الخفية التي لا تتجلى إلا لأهل البرهان....؛  
فالتأويل -في نظرهم- هو الطريقة المؤدية إلى رفع التعارض بين ظاهر الأقاويل وباطنها.<sup>(١)</sup>

بل إنه مما تروي الشيعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إنَّ للقرآن ظهراً وباطناً"<sup>(٢)</sup>،  
ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن"، وقد ذكر الأصفهاني في الفصول الغروية أنَّ الكثير من الأخبار  
دلَّت على أنَّ للقرآن سبعة أبطن أو سبعين بطناً"<sup>(٣)</sup>، إلا أنَّ هذه التأويلات لا يعيها ولا يفهمها  
إلا أئمتهم<sup>(٤)</sup> يقول الصافي في تفسيره: "ومن عسى يبلغ علمهم بمعالم التزويل والتأويل وفي بيوتهم  
كان يتزل جبريل؟ وهي البيوت التي أذن الله أن ترفع، فعنهم يؤخذ، ومنهم يسمع، إذ إنَّ أهل  
البيت بما في البيت أدري، والمخاطبون بما خوطبوا به أوعى.. فكل ما لا يخرج من بيتهم فلا  
تعويل عليه"<sup>(٥)</sup>، ويعلل كاشف الغطاء سبب هذا الحصر فيقول: "إنَّ حكمة التشريع اقتضت  
بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه، وكل وصي  
يعهد بها إلى الآخر لينشره في الوقت المناسب."<sup>(٦)</sup>

وهذا يستلزم أن لا يشاركهم أحدٌ في فهم كتاب الله، ومحاولة استنباط الأحكام منه؛ لأنهم  
المكلفون من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان ما تضمنه القرآن من أحكام.

ولا شك في أنَّ للقرآن العظيم أسراراً العظيمة، وإيماءاته، وإيجاءاته، ولا ريب في أنه بحر عظيم  
لا تنفذ كنوزه، ولا تنقضي عجائبه، ولكن ذلك كله منوط بما يتسع له اللفظ، ويشهد له

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي - محمد أحمد الخطيب - مكتبة الأقصى - عمان - ص ١٩٨٦ - ص ٣٠

(٢) انظر بحث باسم نظرية البطون وبنية الخطاب القرآني (نظرية العلامة فضل الله أمودجاً) لحيدر حبّ الله، ناقش فيه البحث ل  
فضل الله نشر آخرهما في مجلة الكلمة في العدد الخاص بالسيد فضل الله، رقم ٧٠، شتاء عام ٢٠١١ م.

(٣) — الفصول الغروية — محمد حسين الغروي الاصفهاني، ط / مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم، حجرية. ص: ٥٨.

(٤) يقول الخراساني في مقدمة تفسيره: "اعلم أنَّ علم القرآن بتمامه منحصرٌ بمحمد وعليٍّ وأوصيائه الاثني عشر... ولما كان مقام  
محمد وعليٍّ وأولادهما مقام المشيئة، كان علم القرآن كله عندهم، وكان عليٌّ هو من عنده علم الكتاب" ( بيان السعادة في  
مقامات العبادة - لمحمد بن حيدر الخراساني - دار الكتب - طهران - الجزء الأول - ص ١٠).

(٥) تفسير الصافي - للفيض الكاشاني - مؤسسة الأعلمي للنشر - لبنان - الجزء الأول ص ٧

(٦) أصل الشيعة وأصولها - لكاشف الغطاء ص ٧٧

الدليل الصحيح، ولا يخرج عن إطار المعنى العام، وأن يكون ذلك عن علم وبصيرة لا عن تحرُّص وهوى.

ولكن دعوى أولئك الباطنيين بعيدة كل البعد عن هذا المقصد؛ فهي تأويلات لا تتصل بمدلول الألفاظ، ولا بمفهومها، ولا بالسياق القرآني، بل هي مخالفة للنص القرآني تمامًا، باحثة في كتاب الله عن أصل تتشبت به؛ ليؤيد شذوذهم، وغايتهم في الصد عن كتاب الله ودينه، وحاصل هذا الاتجاه الباطني في تأويل نصوص الشريعة هو الانحلال عن الدين.

وعموماً البشر على اختلاف لغاتهم يعدون ظاهر الكلام هو العمدة في المعنى، أمّا أسلوب التعمية والإلغاز فلا وجود له إلا في الفكر الباطني، ولو اتُّخذ هذا الأسلوب قاعدةً لما أمكن التفاهم بحال، ولما حصل الثقة بمقال؛ لأنَّ المعاني الباطنية لا ضابط لها ولا نظام، هذا في الكلام عموماً؛ فكيف بكلام الله المتزل، الذي وصفه الله - عز وجل - بأنه "بيان للناس"، وفي الناس عالمون، وجاهلون، ومنهم أميون، وكاتبون قارئون، ولكن الله جعله بياناً لهم جميعاً، مُيسِّراً للذكر؛ ليعبد الناس ربهم على بصيرة.

والتأمل لمقالة التأويل الباطني يدرك خطورتها في تفسير القرآن، وأنها تقتضي بطلان الثقة بالألفاظ، وتسقط الانتفاع بكلام الله ورسوله، ويصير ما يسبق إلى الفهم لا يوثق به.

وبهذا الطريق يحاول الباطنية التوصل إلى هدم الشريعة بتأويل ظواهرها، وتزليلها على رأيهم دون ضابط، أو رادع.

ولو كانت تلك التأويلات الباطنية هي معاني القرآن ودلالاته لما تحقق الإعجاز، ولكان من قبيل الإلغاز<sup>(١)</sup>.

ويقول الشاطبي: إنَّ هدف الباطنيين من تأويلهم: إنهم أرادوا باعتقادهم هذا إبطال الشريعة جملة وتفصيلاً، وإلقاء ذلك فيما بين الناس لينحل الدين في أيديهم فلم يمكنهم إلقاء ذلك صراحاً

(١) انظر أصول مذهب الشيعة - ناصر القفاري - الجزء الأول ص ١٥٣-١٥٤

فيرد ذلك في وجوههم وتمتد إليهم أيدي الحكام فصرفوا أعناقهم إلى التحيل ومن جملتها صرف الهمم من الظواهر إحالة على أن لها بواطن هي المقصودة.<sup>(١)</sup>

ومعظم التأويلات الباطنية استدل على صحتها بروايات، وفي هذا المبحث سأذكر بعض التوجيهات الباطنية التي ذكرها الطبرسي، دون البحث في مصادر هذه الروايات، والتي هي في معظمها كذب صريح بين، وفي بعضها الآخر إسقاط لسياق خارجي لا علاقة له بالنص على النص القرآني دون وجه حق.

### ومن أمثلة هذه التوجيهات:

توجيهه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>

حيث أوّل الطبرسي البلاغ بولاية عليّ رضي الله عنه مستنداً إلى حديث<sup>(٣)</sup> "من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه".

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>

ويؤول الطبرسي الذي جاء بالصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم، والذي صدّق به عليّ بن أبي طالب (ع) عن مجاهد ورواه الضحاك عن ابن عباس، ودليله الوحيد أنهما مروى عن أئمة الهدى (ع) من آل محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لَنَجْعَلَ لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>

---

(١) الاعتصام - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (٧٩٠هـ) سليم بن عيد الهلالي - دار ابن

عفان، السعودية - الطبعة: الأولى (١٩٩٢م) - ص ٣٢١

(٢) المائدة، آية: ٦٧

(٣) مجمع البيان للطبرسي - الجزء الثالث ص ٣١٣ - ٣١٤

(١) الزمر، آية: ٣٣

(٢) مجمع البيان الجزء الثامن ص ٣٠٣

(٣) الحاقة، آية: ١٢

وأول الطبرسي الأذن بأذن علي رضي الله عنه، مستنداً إلى حديث عن عكرمة عن بريدة الأسلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي (ع): "يا علي، إن الله تعالى أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وتعي، وحق على الله أن تعي" فترل وتعيها أذن واعية.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وأول دابة الأرض سيدنا علي رضي الله عنه، يقول الطبرسي: "وروى علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره عن أبي عبد الله (ع) قال: قال رجل لعمار بن ياسر يا أبا اليقظان آية في كتاب الله أفسدت قلبي. قال عمار: وآية آية هي فقال: هذه الآية، فأية دابة الأرض هذه؟ قال عمار: والله ما أجلس ولا أكل ولا أشرب حتى أريكما، فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين (ع) وهو يأكل تمرا وزبداً فقال: يا أبا اليقظان، هلم! فجلس عمار يأكل معه، فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل: سبحان الله! حلفت أنك لا تأكل ولا تشرب حتى ترينها. قال عمار: أريتكمها إن كنت تعقل! وروى العياشي هذه القصة بعينها عن أبي ذر رحمه الله أيضاً."<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾<sup>(٣)</sup>

ومن التاويلات التي ذكرها الطبرسي لمن عنده علم الكتاب أيضاً هو سيدنا علي، والأئمة من بعده، يقول: "إن المراد به علي بن أبي طالب وأئمة الهدى (ع)" عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وروي عن بريد بن معاوية عن أبي عبد الله أنه قال: إيانا عني، وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه عبد الله بن كثير أنه وضع يده على صدره، ثم قال

<sup>(١)</sup> النمل، آية: ٨٥

<sup>(٢)</sup> مجمع البيان - الجزء السابع ص ٢٩٣

<sup>(٣)</sup> الرعد، آية: ٤٣



عندنا والله علم الكتاب كاملاً ويؤيد ذلك ما روي عن الشعبي أنه قال ما أحد أعلم بكتاب الله بعد النبي من عليّ بن أبي طالب (ع) ومن الصالحين من أولاده.<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

فالمؤمنون هم الأئمة، يقول الطبرسي: "قيل أراد بالمؤمنين الشهداء. وقيل: أراد بهم الملائكة الذين هم الحفظة الذين يكتبون الأعمال. وروى أصحابنا أن أعمال الأمة تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في كل اثنين وخميس فيعرفها، وكذلك تعرض على أئمة الهدى عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيون بقوله ﴿والمؤمنون﴾".<sup>(٣)</sup>

وقوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>

وهذه الآية كلها في آل محمد<sup>(١)</sup>، يقول الطبرسي: "نور العلم في صدر النبي صلى الله عليه وسلم. المصباح في زجاجة الزجاج صدر عليّ (ع)، صار علم النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدر عليّ علم النبي عليّاً. يوقد من شجرة مباركة نور العلم. لا شرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية. يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال يكاد العالم من آل محمد صلى الله عليه وسلم يتكلم بالعلم قبل أن يُسأل. نور على نور أي إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في إثر إمام من آل محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك من لدن آدم (ع) إلى أن تقوم الساعة؛ فهؤلاء الأوصياء

(١) مجمع البيان-الجزء السادس ص ٤١

(٢) التوبة، آية: ١٠٥

(٣) مجمع البيان للطبرسي-الجزء الخامس ص ٩١

(٤) النور، آية: ٣٥

(١) عن أبي الجارود قال: "سمعتُ أبا جعفر عليه السلام: يقول: نزل القرآن على أربعة أرباع؛ ربعٌ فينا، وربعٌ في عدونا، وربعٌ في فرائض وأحكام، وربعٌ سننٌ وأمثال. ولنا كرائم القرآن"، وعن الأصمغ بن نباتة قال: سمعتُ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: "نزل القرآن أثلاثاً؛ ثلثٌ فينا وفي عدونا، وثلثٌ سننٌ وأمثال، وثلثٌ فرائض وأحكام" (تفسير العياشي ص ٩).

الذين جعلهم الله خلفاء في إرضه وحججه على خلقه لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم...تحقيق هذه الجملة يقتضي أن الشجرة المباركة المذكورة في الآية هي دوحة التقى والرضوان وعتره الهدى والإيمان؛ شجرة أصلها النبوة، وفرعها الإمامة، وأغصانها التزليل، وأوراقها التأويل، وخدمها جبرائيل وميكائيل." (١)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (٢)

يقول الطبرسي: "وقد أجمع أهل البيت (ع) وموافقوهم وكثير من مخالفينهم على أن المراد بذلك علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، والآية مع ما بعدها متعينة فيهم، وأيضاً فقد انعقد الإجماع على أنهم كانوا أبراراً وفي غيرهم خلاف." (٣)

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (٤)

يقول الطبرسي: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني أن القرآن دلالات واضحة في صدور العلماء وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به؛ لأنهم حفظوه ووعوه ورسخ معناه في قلوبهم عن الحسن. وقيل: هم الأئمة (ع) من آل محمد عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام. وقيل: إن (هو) كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم أي إنه في كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب آيات بينات في صدور العلماء من أهل الكتاب لأنه منعوت في كتبهم بهذه الصفة، عن الضحاك. وقال قتادة: المراد به القرآن، وأعطى هذه الأمة الحفظ ومن كان قبلها لا يقرؤون الكتاب إلا نظراً، فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا اليسير." (٥)

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء السابع ١٨٣ - ١٨٤

(٢) الانسان، آية: ٥

(٣) الجزء العاشر ص ١٦٤

(٤) العنكبوت، آية: ٤٩

(٥) مجمع البيان - الجزء الثامن - ص ٢٧

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>

والأئمة حبل الله، يقول الطبرسي: "وقيل في معنى حبل الله أقوال؛ أحدها: أنه القرآن، عن أبي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي، ويروى ذلك مرفوعاً. وثانيها: أنه دين الله الإسلام عن ابن عباس وأبي زيد. وثالثها: ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد (ع) قال: نحن حبل الله الذي قال ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ والأولى حمله على الجميع والذي يؤيده ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أيها الناس إني قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا وإني لفي يافوخٍ حتى يردا عليّ الخوض".<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>

ولحن القول هو بغضهم لعلي رضي الله عنهم يقول الطبرسي: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ أي: وتعرفهم الآن في فحوى كلامهم ومعناه ومقصده ومغزاه؛ لأن كلام الإنسان يدل على ما في ضميره. وعن أبي سعيد الخدري قال: لحن القول بغضهم علي بن أبي طالب (ع) قال: وكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ببغضهم علي بن أبي طالب (ع)، وروي مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الأنصاري وعن عبادة بن الصامت قال: كنا نبور أولادنا بحب علي (ع) فإذا رأينا أحدهم لا يحبه علمنا أنه لغير رشدة، وقال أنس: ما خفي منافق على عهد رسول الله بعد هذه الآية.<sup>(١)</sup>

(١) آل عمران، آية: ١٠٣

(٢) مجمع البيان الجزء الثاني - ص ٢٨٧

(٣) محمد، آية: ٣٠

(١) مجمع البيان للطبرسي - الجزء التاسع ١٣٤

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾<sup>(١)</sup>

وأولها الطبرسي عدة تأويلات منها: "أن ذلك رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وسلم أن قروداً تصعد منبره وتترل؛ فساء ذلك واغتم به. روى سهل بن سعيد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذلك، وقال له صلى الله عليه وسلم لم يستجمع بعد ذلك ضاحكاً حتى مات. وروى سعيد بن يسار أيضاً وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) وقالوا على هذا التأويل إن الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو أمية، أخبره الله سبحانه بتغلبهم على منامه وقتلهم ذريته.<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن التأويلات التي أولها الطبرسي لهذه الآية أن الأئمة هم نعمة الله أن من بدلهم بنو أمية وبنو المغيرة، يقول الطبرسي: "وروي عن الصادق (ع) أنه قال: نحن - والله - نعمة الله التي أنعمها أنعم بها على عباده، وبنا يفوز من فاز ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره، ويحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله على العموم بدلوها أقبح التبديل إذا جعلوا مكان شكرها الكفر بها، واختلف في المعنى بالآية فروي عن أمير المؤمنين علي (ع) وابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد أنهم كفار قريش كذبوا نبيهم ونصبوا له الحرب والعداوة.

وسأل رجل أمير المؤمنين علياً (ع) عن هذه الآية فقال: هم الأفجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة، فأما بنو أمية فمتعوهم إلى حين، وأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر. وقيل إنهم جيلة بن الأيهم ومن اتبعوه من العرب تنصروا ولحقوا بالروم.<sup>(٤)</sup>

وذكر هذه الرواية أيضاً للزمخشري والرازي والقرطبي وابن كثير.<sup>(٥)</sup>

(١) الاسراء، آية ٦٠

(٢) مجمع البيان - الجزء السادس - ص ٢-٢

(٣) سورة ابراهيم، آية: ٢٨

(٤) مجمع البيان - الجزء السادس ص ٥٨

وقد استغل الطبرسي هذه الرواية في تأويل الآية بأن آل البيت نعمة الله، وأن الذين بدلوا نعمة الله هم بنو أمية، أنهم سيمتنعون إلى حين، ويبدو أنهم جميعاً نقلوا هذه الرواية عن بعضهم، وهذا الحديث صححه الحاكم في المستدرک، وورد في جامع الأحاديث للسيوطي، وفي كثر العمال. ولا أظن أن هذا كافٍ للحكم بصحة الحديث، وحتى وإن حكمنا بصحته فلا دليل على أن المقصود بنعمة الله هم الأئمة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾<sup>(٢)</sup>

يقول الطبرسي: "قال أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بالإسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ (ع) قال: سمعتُ عليّاً (ع) يقول: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مسنده إلى صدري فقال: "يا عليُّ، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ هم شيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب يدعون غرّاً محجلين" وفيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحاک عن ابن عباس في قوله ﴿هم خير البرية﴾ قال: نزلت في عليّ (ع) وأهل بيته."<sup>(٣)</sup>

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

ويوجه الطبرسي كلمة ﴿الغيب﴾<sup>(١)</sup> في تفسيره فيقول: "الذين يؤمنون بالغيب أي يصدقون بجميع ما أوجبه الله تعالى أو ندب إليه أو أباحه وقيل يصدقون بالقيامة والجنة والنار، وقيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس، وقيل بما غاب عن العباد علمه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة، وهذا أولى لعمومه ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان غيبة المهدي (ع) ووقت

(١) انظر في تفاسيرهم في موضع الآية

(٢) البينة، آية: ٦

(٣) مجمع البيان للطبرسي - الجزء العاشر - ص ٣١٧

(٤) البقرة ٣

(١) يوجه الشيعة الاثني عشرية النصوص المتعلقة بالغيب بأنه غيبة المهدي المنتظر، فعن عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه

السلام) (من ثبت على موالينا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد). انظر الإمام المهدي

لمحمد حسني الشيرازي مؤسسة المجتبى للطباعة والنشر ص ٥٢ وانظر العسال ص؟؟

خروجه، وقيل الغيب هو القرآن عن زرّ بن حبیش، وقال الرماني: الغيب خفاء الشيء عن الحس قرب أو بعد إلا أنه كثرت صفة غايب على البعيد الذي لا يظهر للحس.<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

يقول الطبرسي: "وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها" فيه وجوه؛ أحدها: أنه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من أبوابها ولكنهم كانوا ينقبون في ظهر بيوتهم أي في مؤخرها نقباً يدخلون ويخرجون منه؛ فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس وقتادة وعطاء ورواه أبو الجارود عن أبي جعفر (ع). وقيل إلا أن الحمس وهو قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة كانوا لا يفعلون ذلك، وإنما سُموا حمساً لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة. وقيل: بل كانت الحمس تفعل ذلك وإنما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم وبين السماء شيء. وثانيها: أن معناه ليس البر أن تأتوا البيوت من غير جهاتها وينبغي أن تأتوا الأمور من جهاتها أي الأمور كان وهو المروي عن جابر عن أبي جعفر. وثالثها: أن معناه ليس البر طلب المعروف من غير أهله، وإنما البر طلب المعروف من أهله ولكن البر من اتقى قد مرّ معناه ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ قد مضى معناه وقال أبو جعفر: آل محمد أبواب الله وسبيله والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والأدلاء عليها إلى يوم القيامة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا مدينة العلم وعليّ بإمّا" ولا تؤتى المدينة إلا من بإمّا ويروى "أنا مدينة الحكمة".<sup>١</sup>

ومن الواضح أن للآية سياقاً خارجياً، مما كانوا يفعلونه من إتيان البيوت من الخلف، ويعتبرونه من البر في الحج وأعمال الطاعة، أمّا تأويلها بما أولها الطبرسي فلا يدل عليه اللفظ ولا السياق الداخلي ولا حتى الخارجي للآية.

<sup>(١)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء الأول ص ٤٩

<sup>(٢)</sup> البقرة، الآية: ١٨٩

<sup>١</sup> مجمع البيان - الجزء الثاني ص ٢٥

وفي ختام هذا الفصل أنه إلى أن هذا الفصل اختصُّ بالنصوص المتعلقة بالمستوى الدلالي للغة.

واندرج تحت هذا الفصل عددٌ من المباحث الدلالية؛ حيث خُصِّص المبحث الأول للدلالة المعجمية، والثاني للدلالات المخصصة، والثالث للدلالة المجازية، والرابع للدلالة بالزيادة، وألحقتُ ملحقاً تحدثُ فيه حديثاً موجزاً عن الدلالة الباطنية.

الفصل الرابع  
التَّوجِيهُ الصَّرْفِيُّ لِلنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ عِنْدَ  
الشَّيْعَةِ الْإِثْنِي عَشَرِيَّةِ

٤- تمهيد:

يتناول البحثُ اللغويُّ فيالمستوى الصرفي الكلمةَ مفردةً؛ فيدرس صيغ الكلماتمن حيث مبنائها ، والتغيرات التي تطرأ عليها من نقص أو زيادة، وأثر ذلك في المعنى.

ويطلق الدارسون المحدثون على هذا الدرس مصطلح (المورفولوجيا) وهو يشير عادة إلى دراسة الوحدات الصرفية، أي: "المورفيمات" دون أن يتطرق إلى مسائل التركيب النحوي.



وتأتي دراسة الصرف على هذا النحو ضمن تسلسل العناصر اللغوية الذي انتهجته اللسانيات الحديثة، وهو يبدأ من الأصوات إلى البنية فالتركيب النحوي ثم الدلالة التي تمثل قمة هذه العناصر وثمرتها.

وقد قُسم هذا الفصلُ إلى مبحثين: خصص أولهما للأفعال، وثانيهما للأسماء.

#### ٤-١ المبحث الأول: الأفعال

الأفعال: ما دلت على حدث وزمان وتقسم من حيث الزمان إلى ماض ومضارع وأمر، ومن حيث البناء والتعدي إلى لازم ومتعدٍّ، كما تقسم إلى أفعال مجردة ومزيدة، صحيحة ومعتلة، جامدة ومشتقة، وإلى أفعال مبنية للمعلوم أو مبنية للمجهول.

ويعالج هذا المبحثُ بعضَ النصوص التي وجهها الطبرسي، معتمداً على حالة الفعل، وينقسم هذا المبحث إلى عدة مطالب:

#### ٤-١-١ المطلب الأول: الفعلية.

اتجه النحاة عدة اتجاهات في تعريف الفعل؛ منها تعريف الفعل بالمثال كتعريف سيبويه يقول: "الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم يَنْقَطع، فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومُكث وحُمد، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب واقتل واضرب، ومخبراً: يقتل ويذهب ويضرب ويُقتل ويُضرب..."<sup>(١)</sup>

ومنها ما اعتمد على الزمن؛ كالكسائي، فقد روي عنه أنه قال: "الفعل ما دل على زمان".<sup>(٢)</sup>

ومنها ما اعتمد على الإسناد؛ فعرفوه بملاحظة ماله من شأن في الإسناد. فالاسم في بناء الجملة ما يسند ويسند إليه، أي يخبر به ويخبر عنه، والفعل ما يسند ولا يسند إليه أي يخبر به ولا يخبر عنه، أما الحرف فما لا يسند ولا يسند إليه وأول من نهج هذا النهج ابن السراج (٣١٦هـ): "والفعل ما كان خبراً، ولا يجوز أن يخبر عنه" ونهج نهجه الإمام بدر الدين في شرحه للألفية: "الكلمة إما أن يصح أن تكون ركناً للإسناد أولاً، الثاني: الحرف، والأول: إما أن يصح أن يسند إليه أولاً، الثاني الفعل والأول الاسم".<sup>(٣)</sup>

ومنها وهو ما يهمننا في هذا المقام من عرفها استناداً إلى دلالة الفعل على الحدث والزمان معاً، وهو بهذا المدلول أدنى إلى علم الصرف الذي يبحث بنية الكلمة، فيعني بالمفردات من حيث صورها وهيأتها، وأول من عرفها على هذا الأساس الزجاجي<sup>(١)</sup> يقول: الفعل على أوضاع النحويين ما دل على حدث وزمان ماضٍ أو مستقبل نحو قام يقوم<sup>(٢)</sup>، ونهج الفارسي (٣٧٧هـ) نهج الزجاجي في التعريف فقال: "كل لفظة دلت على معنى مقترن بزمان محصل". وجرى النحاة بعد الفارسي على هذه السُّنة، فقد أشار ابن جني (٣٩٢هـ) إلى هذا في

(١) كتاب سيبويه الجزء الأول ص ١٢

(٢) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة -فاضل مصطفى السناني- مكتبة الخانجي القاهرة -1977- ص ٧٢

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك -الصبان الشافعي - الجزء الأول ص ٣٥

(١) الزجاجي ٣٣٧ هـ - ممن جمعوا علم الكوفة إلى علم البصرة، وقد كان إلى البصرية أميل.

(٢) الإيضاح في علل النحو -للزجاجي -تحقيق مازن مبارك- دار النفائس- الطبعة الثالثة ص ٧٩

الخصائص حيث يقول: "ألا ترى إلى قامودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه"<sup>(١)</sup>. وقال ابن الحاجب في الكافية (٦٤٦هـ)، إذ قال: "الفعل ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة."<sup>(٢)</sup>

### ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً على تضمن الفعل لمعنى الحدث والزمان:

قوله تعالى: ﴿الرَّكَّابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾<sup>(٣)</sup>

يقول الطبرسي في توجيهه: "وفي هذه الآية دلالة على أن كلام الله سبحانه محدث؛ لأنه وصفه بأنه أحكم آياته ثم فصلت والإحكام من صفات الأفعال."<sup>(٤)</sup>

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

يقول الطبرسي: "هذه الآية دلالة على أن كلام الله سبحانه محدث، وأنه غير الله لأنه وصفه بالإنزال، وبأنه عربي ولا يوصف بذلك القديم سبحانه."<sup>(٦)</sup>

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن القرآن محدث بمعنى مخلوق<sup>(٧)</sup>، يقول الحلبي: "إنه تعالى متكلم بالإجماع، والمراد بالكلام الحروف والأصوات المسموعة المنظمة، ومعنى ألهتعالى متكلم أنه يوجد الكلام في جسم من الأجسام."<sup>(٨)</sup>، وهذا هو القول المعروف بين الشيعة الاثني عشرية كما

(١) الخصائص - ابن جني - الجزء الثالث ص ١٠٠

(٢) المفصل في صناعة الإعراب - الجزء الأول ص ٣١٩

(٣) هود، آية: ١

(٤) مجمع البيان للطبرسي الجزء الرابع ص ٦١٨

(٥) يوسف، آية: ٢

(٦) مجمع البيان للطبرسي الجزء الرابع ص ٢٧٦

(٧) هذا اعتقادهم أمّا بالنسبة للروايات فقد وردت في بحار الأنوار نصوص عن الأئمة تؤيد أن القرآن مخلوق وأخرى لا أنظر

الجزء ٥٠ ص ٢٥٥، و الجزء ٨٩ ص ١١٧ من طبعة دار احياء التراث العربي

(٨) النافع يوم الحشر - للحلي - دار الأضواء - بيروت سنة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م - الجزء الثاني ص ٤٤

تفيدة مصادرههم، يقول الطوسي: "كلام الله تعالى، فعله، وهو محدث، وامتنع أصحابنا من تسميته بأنه مخلوق لما فيه من الإيهام بكونه منحولاً".<sup>(١)</sup>

وهم بذلك وافقوا المعتزلة<sup>(٢)</sup> الذين قالوا بخلق القرآن في زمن المأمون؛ مما أحدث فتنة كبيرة في زمن المأمون، وقال خصومهم بأنه قديم غير مخلوق لأنه كلام الله عز وجل. وكان المأمون العباسي قد تبني رأي المعتزلة ووقف إلى جانبهم وواجه القائلين بقدم القرآن الكريم وكونه ليس بمخلوق، وأصدر الأوامر بتقوية المعتزلة والوقوف بوجه خصومهم.<sup>(٣)</sup>

وبالرجوع لكلام الطبرسي، أقول: إنَّ كلا من أحكمت وفصلت وأنزلنا أفعال، والأفعال محدثة، فحروف القرآن وعباراته محدثة لكن كلام الله قديم، والاستشهاد بالفعل على حدوث القرآن من قبيل التضليل الذي لجأت له المعتزلة وتبعهم بها الشيعة. يقول الرازي في الجواب على الجبائي<sup>(٤)</sup> حيث استشهد بالفعل على خلق القرآن: "والجواب عن هذه الوجوه بأسرها أن نقول: إنها تدل على أن المركب من الحروف والكلمات والألفاظ والعبارات محدث وذلك لا نزاع فيه، إنما الذي ندعي قدمه شيء آخر فسقط هذا الاستدلال".<sup>(١)</sup>

ويقول ابن تيمية<sup>(٢)</sup>: إنَّ أردتَ بقولك: محدث، أنه مخلوق منفصل عن الله كما يقول الجهمية<sup>(١)</sup> والمعتزلة والنجارية، فهذا باطل لا نقوله، وإنَّ أردتَ بقولك: إنه كلام تكلم الله به

---

<sup>(١)</sup> وراجع أيضاً كتاب قواعد المرام في علم الكلام للمحقق الشيخ ميثم البحراني - مكتبة آية الله المرعشي النجفي - قم سنة ١٤٠٦ هـ - ص ٩٣، وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي نشر وتحقيق الشيخ فارس الحسون - قم سنة ١٤١٧ هـ - ص ١٠٦.

<sup>(٢)</sup> كتاب الخلاف للطوسي - مؤسسة النشر الإسلامي - بقم - الجزء السادس ص ١١٩.

<sup>(٣)</sup> الانصاف في مسائل الخلاف - لحسين معتوق - الجزء الثاني - ص ١١٧ - المسألة السابعة.

<sup>(٤)</sup> محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، المعروف بأبي علي الجبائي. شيخ المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره، مؤسس فرقة الجبائية. ولد سنة ٨٤٩ م في مدينة جبِّي في خوزستان، وتوفي في البصرة سنة ٩١٦.

<sup>(١)</sup> مفاتيح الغيب للرازي - الجزء ١٨ ص ٤١٦.

<sup>(٢)</sup> ويوضح ابن تيمية هذه المسألة يقول: ( الله يتكلم بمشيئته وقدرته، وكلامه هو حديث، وهو أحسن الحديث، وليس بمخلوق باتفاقهم، ويسمى حديثاً وحادثاً، وهل يسمى محدثاً؟ على قولين لهم. ومن كان من عادته أنه لا يطلق لفظ المحدث إلا على المخلوق المنفصل كما كان هذا الاصطلاح هو المشهور عند المتناظرين الذين تناظروا في القرآن في محنة الإمام أحمد رحمه الله وكانوا لا يعرفون للمحدث معنى إلا المخلوق المنفصل فعلى هذا الاصطلاح لا يجوز عند أهل السنة أن يقال: القرآن

بمشيئته بعد أن لم يتكلم به بعينه، وإن كان قد تكلم بغيره قبل ذلك مع أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء فإننا نقول بذلك. وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة وهو قول السلف وأهل الحديث.<sup>(٢)</sup>

#### ٤-١-٢ المطلب الثاني: التعدي والنزوم

الفعل اللازم: يسمى أيضًا "القاصر" والمراد ما يقتصر على الفاعل، ولا يتجاوز به إلى المفعول به لينصبه، أو ما يأتي معه بعد الفاعل جار ومجرور له صلة به، تقول مثلًا: "التقى الجمعان فانتصرت الشجاعة والمبدأ وهزم الجبن والتخاذل" وتقول أيضًا: "التقيتُ بصديقي وذهبتُ للترهة".

والفعل المتعدي: ويسمى أيضًا "المجاوز" وهو ما ينصب بعده المفعول به واحدًا أو أكثر من واحد، كقولك: "أرسلتُ خطابًا وجاءني الرد" وكذلك: "رأيتُ الهدى حقًا فاتبعته، وعلمتُ الباطلَ ضلالًا فاجتنبته."<sup>(١)</sup>

---

حدث، بل من قال: إنه محدث، فقد قال: إنه مخلوق. ولهذا أنكر الإمام أحمد هذا الإطلاق على داود لما كتب إليه أنه تكلم بذلك، فظن الذين يتكلمون بهذا الاصطلاح أنه أراد هذا فأنكره أئمة السنة. وداود نفسه لم يكن هذا قصده، بل هو وأئمة أصحابه متفقون على أن كلام الله غير مخلوق، وإنما كان مقصوده أنه قائم بنفسه، وهو قول غير واحد من أئمة السلف، وهو قول البخاري وغيره. والتراع في ذلك بين أهل السنة لفظي، فإنهم متفقون على أنه ليس بمخلوق منفصل، ومتفقون على أن كلام الله قائم بذاته، وكان أئمة السنة كأحمد وأمثاله، والبخاري وأمثاله، وداود وأمثاله، وابن المبارك وأمثاله، وابن خزيمة وعثمان بن سعيد الدارمي وابن أبي شيبه وغيرهم، متفقين على أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، ولم يقل أحد منهم: إن القرآن قديم. وأول من شهر عنه أنه قال ذلك هو ابن كلاب).

<sup>(١)</sup> الجهمية: إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية خاطئة في مفهوم الإيمان وفي صفات الله تعالى وأسمائه، وترجع في نسبتها إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي، الذي كان له ولأتباعه في فترة من الفترات شأن وقوة في الدولة الإسلامية. قال عنهم ابن مبارك: (أصول البدع أربعة: الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة: فليل لابن المبارك: والجهمية؟ فأجاب بأن أولئك ليسوا من أمة محمد) انظر الرد على الجهمية والزنادقة - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٥٢٤١هـ) - المحقق: صبري بن سلامة شاهين - دار الثبات للنشر والتوزيع - الطبعة: الأولى - ص ٨.

<sup>(٢)</sup> مجموع الفتاوى - الجزء الخامس ٥٣٢

<sup>(١)</sup> النحو المصنفى محمد عيد - مكتبة الشباب - ص ٣٦٣

ويكون التعدي بالفعل نفسه كما يمكن أن يكون بعدة أساليب كالتعدي بالهمز، وبحرف الجر والتضعيف والتضمين والتعدي ببناء الفعل على فاعل واستفعل ووزن المبالغة<sup>(١)</sup>

وليست هذه الوسائل سواء فالتعدي بالهمزة أو التضعيف لا تزيد على أن الفعل لازم امتاز بميزة زيادة، أمّا التعدي بحرف الجر، فأمكن القول بأنّ الفعل اللازم قد تعدى للمفعول، وقد ميز بابشاد بين التعدي بحرف الجر والتعدي بالهمزة؛ فسمى الأولى تعدي إضافة وسمى الثاني تعدياً بالنية.<sup>(٢)</sup>

#### ٤-١-٢-١ الأمر الأول: التعدي بالهمزة

صيغة أفعل من الصيغ المزیدة بحرف واحد<sup>(٣)</sup>، وهي تفيد معاني عديدة؛ فهي تفيد أحد عشر معنى، وهي: (الجعل والمهجوم والضياء ونفي الغريزة والتسمية والدعاء والتعريض وبمعنى صار صاحب كذا والاستحقاق والوجود والوصول).<sup>(٤)</sup>

وتأتي أفعل في معظم معانيها للتعديّة، قال الرضی في شرح الشافية: "فاعلم أنّ المعنى الغالب في أفعل للتعديّة تعديّة ما كان ثلاثياً، وهي أن يجعل ما كان فاعلاً لل لازم مفعول لمعنى الجعل فاعلاً لأصل الحدث على ما كان."<sup>(٥)</sup>

فالأفعال تتعدى بنفسها أو بطرق أخرى كما ذكرت سابقاً منها أن تتعدى بالهمزة، فإدخال الهمزة على أول الفعل الثلاثي وهي همزة تنقل معنى الفعل إلى مفعوله ويصير الفاعل مفعولاً فما

---

(١) قضايا التعدي وال لزوم في الدرس النحوي - أبو اوس ابراهيم الشمسان - دار المدني - الطبعة الأولى ١٩٨٧ - ص ٤٢ وما بعدها

(٢) شرح المقدمة المحسّبة لطاهر بن أحمد بن بابشاد (٥٤٦٩هـ) - تحقيق خالد عبد الكريم - المطبعة العصرية - الكويت - الطبعة: الأولى - ١٩٧٧م - ص ٣٦٨

(٣) انظر شرح الشافية للاستراباذي - دار الكتب العلمية - بيروت ط ١٩٧٥ - الجزء الأول ص ٨٦

(٤) انظر المتعم الكبير في التصريف لابن عصفور الاشيلي - تحقيق فخر الدين قباوة طبعة ٢٠١٠ - مكتبة لبنان - بيروت - ص ١٢٧ وما بعدها

(٥) شرح شافية ابن الحاجب للاستراباذي - الجزء الأول ص ٨٦

كان فاعلاً للفعل اللازم يصير مفعولاً لمعنى الجعل وهو في الوقت نفسه فاعل لأصل الحدث على ما كان عليه، فهو وإن كان مفعولاً للجعل فاعل من ناحية المعنى.<sup>(١)</sup>

### ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى معنى أفعل

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾<sup>(٢)</sup>

وسبب توجيه هذه الآية اعتقاد الشيعة الاثني عشرية بأن ظاهر الآية يدل على أن الغفلة قدر الله عباده، وهو ما يتنافى مع العدل الإلهي باعتقادهم، مشايهين المعتزلة في ذلك، ولتوضيح قولهم في العدل الإلهي يقول شيخهم السبحاني: "خلاصة هذا الأصل عند العدلية من غير فرق بين المعتزلة والإمامية، هو أن الله عز وجل عدل كريم، خلق الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وعمهم بهدأيته، بدأهم بالنعم وتفضل عليهم بالإحسان. لم يكلف أحداً إلاّ دون الطاقة، ولم يأمره إلاّ بما جعل له عليه الاستطاعة. لا عبث في صنعه ولا قبيح في فعله. جلّ عن مشاركة عباده في الأفعال، وتعالى عن اضطرابهم إلى الأعمال لا يعذب أحداً إلاّ على ذنب فعله، ولا يلوم عبداً إلاّ على قبيح صنعه. لا يظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً."<sup>(٣)</sup>

ويقول الطبرسي في توجيه كلمة أغفلنا: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ قيل في معناه أقوال:

أحدها: أن معناه ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بتعريضه للغفلة ولهذا قال: ﴿واتبع هواه﴾ ومثله ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ [الصف: ٥]

<sup>(١)</sup> حث في صيغة أفعل بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربية - مصطفى أحمد النماس - مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة

المنورة - العدد ٥٣ ص ٢٢٦

<sup>(٢)</sup> الكهف، آية: ٢٨

<sup>(٣)</sup> بحوث في الملل والنحل لجعفر السبحاني - الجزء الثالث ص ٢٤٠

وثانيها: أغفلنا قلبه أي نسبنا قلبه إلى الغفلة، كما يقال أكفره إذا نسبته إلى الكفر وسمّاه كافراً كقول الكميت:

وَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي  
بِحُبِّكُمْ  
وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ وَمُذْنِبٌ.

وثالثها: (أغفلنا قلبه) صادفناه غافلاً عن ذكرنا كما قالت العرب: "سألناكم فما أقحمناكم، وقاتلناكم فما أجبنّاكم".

ورابعها: أغفلنا قلبه أي جعلناه غفلاً لم نسمة بسمة قلوب المؤمنين ولم نعلم فيه علامة المؤمنين لتعرفه الملائكة بتلك السمة، تقول العرب: أغفل فلان ماشيته إذا لم يسمها بسمة تعرف بها.

وخامسها: أن معناه ولا تطع من تركنا قلبه خذلناه وخلينا بينه وبين الشيطان بتركه أمرنا عن الحسن. <sup>(١)</sup>.

وسأناقش في هذا الموضع قوله بأن معنى أغفلنا نسبنا قلبه إلى الغفلة أو وجدناه غافلاً، وهو قول الزمخشري نفسه يقول: "﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبُهُ﴾ من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان. أو وجدناه غافلاً عنه، كقولك: أجبنته وأفحمته وأبخلته، إذا وجدته كذلك. أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة، أي: نسمة بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ وقرأ «أغفلنا قلبه» بإسناد الفعل إلى القلب على معنى: حسبنا قلبه غافلين، من أغفلته إذا وجدته غافلاً. <sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء السادس - ص ٢٥٨

<sup>(١)</sup> الكشف للزمخشري - الجزء الثاني ص ٧١٨



ويقول ابن جني<sup>(١)</sup>: "﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أغفلنا قلبه عن ذكرنا فكأنه قال: وجدناه غافلاً، وإذا وجد غافلاً فقد غفل لا محالة. فكأنه قال إذا: ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً." (٢)

ويقول في خصائصه: "لو أقام إنسان على خدمة هذا العلم ستين سنة حتى لا يحظى منه إلا بهذا الموضوع لما كان مغبوناً فيه ولا منتقص الحظ ولا السعادة به، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ ولن يخلو ﴿أَغْفَلْنَا﴾ هنا من أن يكون من باب أفعلت لشيء أي صادفته ووفقته كذلك" ثم يعقب ابن جني بعد هذا بقليل بقوله: "وإذا صح هذا الموضوع ثبت به لنا أصل شريف يعرفه من يعرفه ولولا ما تعطيه العربية صاحبها من قوة النفس ودربة الفكر لكان هذا الموضوع ونحوه مجوزاً عليه غير مأبوه له." (٣)

وفي المعجم: أغفلنا: غفل عنه يَعْفُلُ غُفُولًا وَغَفْلَةً وَأَغْفَلَهُ عنه غيره وَأَغْفَلَهُ: تركه وسها عنه، وفسر بعضهم قوله عز وجل: وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا؛ قال: ولو كان على الظاهر لوجب أن يكون قوله وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، بالفاء دون الواو؛ وسئل أبو العباس عن هذه الآية فقال: مَنْ جَعَلْنَاهُ غَافِلًا، وكلام العرب أكثره أَغْفَلْتَهُ سَمِيْتَهُ غَافِلًا، وَأَحْلَمْتَهُ سَمِيْتَهُ حَلِيمًا، قال: وفعل هو وأفعلته أنا، أكثر اللغة ذهب وأذهبت، هذا أكثر الكلام، وفعلت أكثر ذلك فيه مثل غَلَقْتُ الأبواب وأغلقتها، وأفعلت يحيي مكان فَعَلْتُ مثل: مَهَلْتُ وأمهلت ووصيت وأوصيت وسقيت وأسقيت. (٤)

**والأرجح - والله أعلم - أن أغفلنا، معناها من أن الله سبحانه وتعالى كتب الغفلة على بعض البشر، وهو رأي عدد من المفسرين، يقول الطبري: "ولا تطع يا محمد من شغلنا قلبه من**

(١) لابن جني ميول اعتزالية انظر مقدمة تحقيق الخصائص - الجزء الأول ص ٤٢ وما بعدها.

(٢) المحتسب لابن جني الجزء الأول ص ١٤٠

(٣) الخصائص لابن جني - الجزء الثالث ص ٢٥٦

(٤) لسان العرب - الجزء ١١ ص ٤٩٨

الكفار." <sup>(١)</sup>، ويقول القرطبي: "﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد" <sup>(٢)</sup>.

وما يستدل به على ذلك:

١- أن مع تعدد معني أفعال كما ذكرت إلا أنها في أغلبها تفيد التعدية؛ فهي تشترك بين الإيجاد والوجدان إلا أن ورودها بمعنى الإيجاد أكثر وأسرع وروداً إلى الذهن، فالمعنى الذي ذكره الطبرسي من نسب قلبه إلى الغفلة، أو مصادفته غافلاً هي من معاني أفعال، إلا أن إفادة أفعال لمعنى التعدية أكثر وهو ما ذكره الرازي يقول: "الأول: أن الاشتراك خلاف الأصل فوجب أن يعتقد أن وزن الأفعال حقيقة في أحدهما مجاز في الآخر وجعله حقيقة في التكوين مجازاً في الوجدان أولى من العكس وبيانه من وجوه: أحدها: أن مجيء بناء الأفعال بمعنى التكوين أكثر من مجيئه بمعنى الوجدان والكثرة دليل الرجحان. وثانيها: أن مبادرة الفهم من هذا البناء إلى التكوين أكثر من مبادرته إلى الوجدان ومبادرة الفهم دليل الرجحان. وثالثها: أنا إن جعلناه حقيقة في التكوين أمكن جعله مجازاً في الوجدان لأن العلم بالشيء تابع لحصول المعلوم، فجعل اللفظ حقيقة في المتبوع ومجازاً في التابع موافق للمعقول، أما لو جعلناه حقيقة في الوجدان مجازاً في الإيجاد للزم جعله حقيقة في التابع مجازاً في الأصل وأنه عكس المعقول فثبت أن الأصل جعل هذا البناء حقيقة في الإيجاد لا في الوجدان." <sup>(٣)</sup>

٢- أن الفاعل ضمير متصل يعود لله سبحانه وتعالى وهو (نا) في ﴿أغفلنا﴾.

٣- أن ما ذكره الطبرسي من تأويلات أخرى كقوله: "أن معناه ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بتعريضه للغفلة" أو "أغفلنا قلبه أي جعلناه غفلاً لم نسمة بسمة قلوب المؤمنين ولم نعلم فيه علامة المؤمنين لتعرفه الملائكة بتلك السمة" أو "أن معناه ولا تطع من تركنا قلبه خذلناه وخلينا بينه وبين الشيطان بتركه أمرنا عن الحسن"، فهو القول نفسه بأنه تعالى فعل ما يوجب حصول الغفلة في قلبه.

<sup>(١)</sup> جامع البيان في تفسير القرآن للطبري - الجزء ١٥ ص ٢٤١

<sup>(٢)</sup> الجامع لأحكام القرآن - الجزء العاشر ص ٣٩٢

<sup>(٣)</sup> مفاتيح الغيب للرازي - الجزء ٢١ ص ٤٥٦

وهذا التوجيه هو أحد التوجيهات أيضاً التي وجهها الطبرسي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>

ولقوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>

أما التوجيهات الأخرى التي ذكرها الطبرسي من أن معناه ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بتعريضه للغفلة، أو جعلناه غفلاً لم نسمة بسمة قلوب المؤمنين ولم نعلم فيه علامة المؤمنين لتعرفه الملائكة بتلك السمة، أو قوله أن معناه: ولا تطع من تركنا قلبه خذلناه وخلينا بينه وبين الشيطان بتركه أمرنا عن الحسن.<sup>(٣)</sup> فهذه التوجيهات لا تخرج على معنى أن الله سبحانه قدر الغفلة على بعض الناس.

#### ٤-١-٢-الأمر الثاني: التعدي يالى.

قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>

وبما أن النموذج الذي بين أيدينا يتعلق باسم الفاعل؛ فلا بد أن نقدم بأن اسم الفاعل يعمل عمل فعله في التعدي إن كان فعله متعدياً، ويعمل للزوم إن كان فعله لازماً، ووجه إعمال اسم الفاعل، أنه أشبه الفعل المضارع لفظاً ومعنى، لفظاً من حيث دلالاته على الحال أو الاستقبال، ومن حيث اللفظ موافقته له في حركاته وسكناته وعدد الحروف.<sup>(٥)</sup>

<sup>(١)</sup> البقرة، آية: ٢٦

<sup>(٢)</sup> الأعراف، آية: ١٦

<sup>(٣)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء السادس - ص ٢٥٨

<sup>(٤)</sup> القيامة: آية: ٢٣

<sup>(٥)</sup> انظر التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة - أبو عبد الله محمد عبد القادر بن أحمد العالم القبلوي الجزائري المالكي الشهير

بالشيخ باي بلعالم (١٤٣٠ هـ) الجزء الأول ص ٤٩

ووجه الطبرسي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ عدة توجيهات لغوية؛ ناقشتُ الأول منهما في المبحث الخاص بحذف المضاف في المستوى النحوي<sup>(١)</sup>، وثانيهما في الدلالة المعجمية<sup>(٢)</sup>، وفي هذا الموضوع سأناقش توجيهه للنظر بمعنى الانتظار.

يقول الطبرسي: "وأما من حمل النظر في الآية على الانتظار فإنهم اختلفوا في معناه على أقوال: أنَّ المعنى منتظرة لثواب ربها وروى ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك وهو المروي عن عليّ (ع). ومن اعترض على هذا بأنَّ قال إنَّ النظر بمعنى الانتظار لا يتعدى إلى فلا يقال انتظرت إليه وإنما يقال انتظرتَه، فالجواب عنه على وجوه؛ منها: أنه قد جاء في الشعر بمعنى الانتظار معدى إلى ... كقول جميل بن معمر:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلَكٍ  
وَالْبَحْرُ دُونَكَ جُدَّتِي نَعِمًا<sup>٣</sup>

وقول الآخر:

إِنِّي إِلَيْكَ لِمَّا وَعَدْتَ لَنَظِيرُ  
نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُسِيرِ<sup>٤</sup>

ونظائره كثيرة، ومنها أن تحمل إلى في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] على أنها اسم فهو واحد الآلاء التي هي النعم فإنَّ في واحدها أربع لغات؛ إليّ، وألّ مثل معًا وقفًا، وإلّ، وإلي مثل جدى وحسى، وسقط التثوين بالإضافة، وقال أعشى وائل:

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْهَزَالَ  
يَقْطَعُ رَحْمًا وَلَا يَخُونُ إِلَّا<sup>٥</sup>  
وَلَا

أي: لا يخون نعمة من أنعم عليه، وليس لأحد أن يقول إنَّ هذا من أقوال المتأخرين وقد سبقهم الإجماع فإننا لا نسلم ذلك لما ذكرناه من أنَّ عليًّا (ع) ومجاهد والحسن وغيرهم قالوا:

(١) انظر ص ٥٩

(٢) انظر ص ١٣٩

<sup>٣</sup> لم أجد البيت

<sup>٤</sup> لم أجد البيت

<sup>٥</sup> والبيت من بحر المنسرح للأعشى (انظر ديوان الأعشى\_تحقيق محمد حسين\_دار النهضة\_بيروت ١٩٧٤ ص ٢٣٥)

المراد بذلك تنتظر الثواب، ومنها أنَّ لفظ النظر يجوز أن يعدَّى بإلى في الانتظار على المعنى كما  
إنَّ الرؤية عدت بإلى في قوله تعالى ﴿لَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] فأجرى  
الكلام على المعنى، ولا يقال: رأيتُ إلى فلان.

ومن إجراء الكلام على المعنى قول الفرزدق:

وَلَقَدْ عَجِبْتُ إِلَى هَوَازِنَ أَصْبَحَتْ  
مِنْ مَنِّي تَلُودُ  
بِبَطْنِ أُمِّ جَرِيرٍ<sup>١</sup>

فعدَّى عجبت بإلى لأن المعنى نظرت.

وثانيها: أنَّ معناه مؤملة لتجديد الكرامة كما يقال: عيني ممدودة إلى الله تعالى، وإلى فلان.  
وأنا شاخص الطرف إلى فلان، ولما كانت العيون بعض أعضاء الوجوه أضيف الفعل الذي يقع  
بالعين إليها عن أبي مسلم.

وثالثها: أنَّ المعنى أنهم قطعوا آمالهم وأطماعهم عن كل شيء سوى الله تعالى ووجوه دون  
غيره فكفى سبحانه عن الطمع بالنظر ألا ترى أنَّ الرعية تتوقع نظر السلطان وتطمع في إفضاله  
عليها وإسعافه في حوائجها، فنظر الناس مختلف؛ فناظر إلى سلطان، وناظر إلى تجارة، وناظر إلى  
زراعة، وناظر إلى ربه يؤمله، وهذه الأقوال متقاربة في المعنى، وعلى هذا فإنَّ هذا الانتظار متى  
يكون فقيلاً إنه بعد الاستقرار في الجنة.<sup>(٢)</sup>

وفي معنى نظر: والنون والطاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأملُ  
الشَّيْءِ ومعانيته، ثم يُستعار ويُتَّسَع فيه. فيقال: نظرتُ إلى الشَّيْءِ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، إِذَا عَايَنْتَهُ. وَحَيُّ  
حَالًا نَظَرٌ: متجاوزون ينظرون بعضهم إلى بعض. ويقولون: نَظَرْتُه، أَيِ انتظرته. وهو ذلك  
القياس، كأنَّه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه.<sup>(٣)</sup>

<sup>١</sup> منتهى الطلب من أشعار العرب \_ محمد مبارك بن ميمون \_ تحقيق محمد الطريفي \_ دار صادر \_ الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

<sup>(٢)</sup> مجمع البيان للطبرسي - الجزء العاشر ص ١٥٢

<sup>(٣)</sup> مقاييس اللغة - الجزء الخامس - ص ٤٤٤

وحمل النظر على معنى الانتظار والأمل والرجاء ، وهو التأويل الذي ارتضاه الزمخشري، ففي هذا قال العلماء: إنّ النظر بمعنى الانتظار لا يقترب إلى أبداً، وقال الأزهري: "إنّ قول مجاهد تنتظر ثواب ربّها خطأ؛ لأنه لا يقال نظر إلى كذا. بمعنى الانتظار، وإنّ قول القائل: نظرتُ إلى فلان ليس إلا رؤية عين، كذلك تقوله العرب؛ لأنهم يقولون نظرتُ إليه: إذا أرادوا نظر العين، فإذا أرادوا الانتظار قالوا نظرتُه." (١) وهو ما ذكره الرازي والقرطبي في استبعاده لهذا التأويل، وهو دليل كافٍ في رد هذا التوجيه.

وأما قوله بأنّها بمعنى مؤملة لتجديد الكرامة، أو أنّهم قطعوا آمتاهم عن غير الله، فلا يخرج عن معنى الانتظار.

#### ٤-١-٣ المطلب الثالث: صيغة فاعل

وفاعل: من الصيغ المزيدة بحرف، وأكثر ما تأتي بمعنى المشاركة كضارب، وقد تأتي من واحد كسافر، ولها معان أخرى كالمولاة. (٢)

#### ومن النماذج التي وجهها الطبرسي اعتماداً على هذه الصيغة

قوله تعالى: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٣)

ويعتقد الشيعة الاثني عشرية - كما هو حال جميع الفرق - أنه لا يجوز خداع الله؛ ولذلك فهم يوجهون النصوص التي يبدو ظاهرها على أنّها بمعنى مخادعة الله، وهو ما عليه تفاسيرهم.

قال الطبرسي في توجيهه يخادعون: "معنى قوله تعالى: ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ أي: يعملون عمل المخادع؛ لأنّ الله تعالى لا يصح أن يخادعه من يعرفه، ويعلم أنه لا يخفى عليه خافية، وهذا كما تقول لمن يزين لنفسه ما يشوبه بالرياء في معاملته ما أجعله يخادع الله وهو أعلم به من نفسه أي يعمل عمل المخادع وهذا يكون من العارف، وغير العارف. وقيل: المعنى يخادعون رسول الله

(١) تهذيب اللغة-الجزء ١٤ ص ٢٦٦

(٢) انظر شذا العرف في فن الصرف-أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: ١٣٥١هـ)- نصر الله عبد الرحمن نصر الله -مكتبة

الرشد الرياض-الجزء الأول ص ٣١

(٣) البقرة، آية : ٩

لأن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهذا كقوله تعالى: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ [الأنفال: ٦٢] والمفاعلة قد تقع من واحد، كقولهم عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل، فكذلك يخادعون إنما هو من واحد فمعنى يخادعون يظهرون غير ما في نفوسهم وقوله ﴿والذين آمنوا﴾ أي ويخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم قالوا آمنا وهم غير مؤمنين أو بمجالستهم ومخالطتهم إياهم حتى يفسحوا إليهم أسرارهم فينقلوها إلى أعدائهم، والتقية أيضًا تسمى خداعًا؛ فكأنهم لما أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر صارت تقيتهم خداعًا من حيث إنهم نجوا بها من إجراء حكم الكفر عليهم.<sup>(١)</sup>

وفي المعاجم: الخدعُ: إظهار خلاف ما تُخفيه. أبو زيد: خدعه يخدعه خدعًا، بالكسر، مثل سحره يسحره سحرًا؛ قال رؤبة: وقد أداهي خدع من تخذعًا وأجاز غيره خدعًا، بالفتح، وخديعةً وخدعةً أي أراد به المكروه وختله من حيث لا يعلم.

وخادعه مُخادعة وخداعًا وخدعه واختدعه: خدعه. قال الله عز وجل: يُخادعون الله؛ جاز يُفاعِلُ لغير اثنين لأن هذا المثال يقع كثيرًا في اللغة للواحد نحو عاقبت اللص وطارقت النعل.<sup>(٢)</sup>

ويقول القرطبي: "قال علماؤنا: معنى «يخادعون الله» أي يخادعونهم عند أنفسهم وعلى ظنهم. وقيل: قال ذلك لعملهم عمل المخادع. وقيل: في الكلام حذف، تقديره: يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ عن الحسن وغيره. وجعل خداعهم لرسوله خداعًا له؛ لأنه دعاهم برسالته، وكذلك إذا خادعوا المؤمنين فقد خادعوا الله. ومخادعتهم: ما أظهروه من الإيمان خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليحقتوا دماءهم وأموالهم، ويظنون أنهم قد نجوا وخدعوا؛ قاله جماعة من المتأولين."<sup>(٣)</sup>

ووجهها ابن كثير بأن هذه المخادعة عند أنفسهم<sup>(٤)</sup>، أمّا البيضاوي فقد وجهها بأن الخداع لرسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>(٥)</sup>

(١) مجمع البيان للطبرسي-الجزء الأول ص ٦١

(٢) لسان العرب -الجزء الثامن ص ٦٣

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي-الجزء الأول ص ١٩٥

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الجزء الأول ص ٨٨

والأرجح أن معنى يخادعون يعملون عمل المخادع لله، ومما يعزز هذا التوجيه من الوجهة اللغوية: أن صيغة فاعل تكون متعدية نحو قاتل، وتكون غير متعدية نحو سافر، وأكثر ما تأتي بين اثنين وقد تأتي من واحد مثل عاقب وطارق<sup>(٢)</sup> وكما في ﴿يُظَاهِرُونَ﴾ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾<sup>(٣)</sup>

## ٢-٢ المبحث الثاني: الأسماء

الاسم: ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، ثم إن دل على معنى يقوم بذاته فاسم عين، وإلا فاسم معنى سواء كان معناه وجودياً كالعلم أو عدمياً كالجهل.<sup>(٤)</sup>

### ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استناداً إلى هذا المبحث، اسم الفاعل.

واسم الفاعل: "اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، حادث وعلى فاعله". فلا بد أن يشتمل على أمرين معاً؛ هما: المعنى المجرد الحادث<sup>(١)</sup>.

وعرفه الأشموني: الصفة الدالة على فاعل جارية في التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضي.<sup>(٢)</sup>

ويصاغ من مصدره الماضي الثلاثي، المتصرف، على وزن: "فَاعِل"؛ بأن تأتي بهذا المصدر - مهما كان وزنه- وندخل عليه من التغيير ما يجعله على وزن: "فَاعِل". ويصاغ اسم الفاعل من

(١) انظر أنوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوي-الجزء الأول ص ٤٤

(٢) انظر الممتع الكبير في الصرف لابن عصفور ص ١٢٨-١٢٩

(٣) المجادلة، آية: ٢

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف- الجزء الأول ص ٥١

(١) النحو الوافي -عباس حسن- ص ٥١ نقلا عن كتاب التعريفات للجرجاني

(٢) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك -الجزء الثاني ص ٢١٥



مصدر الماضي غير الثلاثي بالإتيان بمضارعه، وقلب أول هذا المضارع ميمًا مضمومة، مع كسر الحرف الذي قبل آخره، إن لم يكن مكسورًا من الأصل..<sup>(١)</sup>

### ومن التوجيهات التي وجهها الطبرسي استنادًا على اسم الفاعل:

#### النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

وسبب توجيه هذه الآية هو الرغبة في نفي الاستماع عن الله، لأن الاستماع طلب الإصغاء ولا يجوز على الله سبحانه وتعالى.

بقول الطبرسي: "إنا معكم مستمعون" أي نحن نحفظكم ونحن سامعون ما يجري بينكم ومستمع هنا في موضع سامع؛ لأن الاستماع طلب السمع بالإصغاء إليه، وذلك لا يجوز عليه سبحانه، وإنما أتى بهذه اللفظة لأنه أبلغ في الصفة وأكد وهو قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦] وإنما قال: إِنَّا مَعَكُمْ لأنه أجراهما مجرى الجماعة.<sup>(٣)</sup>

وجعلها القرطبي من السماع لا من الاستماع يقول: ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ أي: سامعون ما يقولون وما يجاوبون. وإنما أراد بذلك تقوية قلبيهما وأنه يعينهما ويحفظهما. والاستماع إنما يكون بالإصغاء، ولا يوصف الباري سبحانه بذلك. وقد وصف سبحانه نفسه بأنه السميع البصير. وقال في «طه»: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى﴾<sup>(١)</sup>.

وجعلها الرازي<sup>(٢)</sup> والزمخشري من باب المجاز يقول الزمخشري: "وقوله: ﴿مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ من مجاز الكلام، يريد: أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه. فأظهركما وأغلبكما وأكسر شوكته عنكما وأنكسه. ويجوز أن يكونا

(١) النحو الوافي - عباس حسن - الجزء الثالث ص ٢٤٠

(٢) الشعراء، آية: ١٥

(٣) مجمع البيان ص ٢٣٦

(١) تفسير القرطبي الجزء ١٣ ص ٩٣

(٢) مفاتيح الغيب للرازي الجزء ٢٤ ص ٤٩٥

خبرين لأنّ، أو يكون ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ مستقراً، و﴿مَعَكُمْ﴾ لغوًا. فإن قلت: لم جعلت ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ قرينة ﴿مَعَكُمْ﴾ في كونه من باب المجاز، والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع؟ قلت: ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة؛ لأنّ الاستماع جار مجرى الإصغاء، والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية. ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] ويقال: استمع إلى حديثه وسمع حديثه، أي: أصغى إليه وأدركه بحاسة السمع. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ في أذنيه البرم"، وكذلك الرازي حملها على المجاز أيضاً.<sup>(١)</sup>

وحملها على المجاز كما قال الزمخشري والرازي أفضل، ويقويه وجود مسوغ لهذا وهو الخوف من فرعون؛ فسبحانه أراد طمأننتهم بأنه يسمع ويرى كما في قوله تعالى في سورة طه: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾<sup>(٢)</sup>.

### النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أنهم خاصة الله وصفوته، كما اعتقد اليهود من قبلهم بأنهم شعب الله المختار، ولا عجب من أحفاد عبدالله بن سبأ، يقول المجلسي نقلًا عن المفيد: "إنا شيعتنا خلقنا من طينة العليين، وخلق عدونا من طينة خبال من حمأ مسنون."<sup>(٢)</sup>، بل يعتبرون أنّ الأئمة

(١) تفسير الكشاف - الجزء الثالث ص ٣٠٣

(٢) طه، آية: ٤٦

(١) البقرة، آية: ١٤٣

(٢) بحار الأنوار الجزء ٢٤ الصفحة ٨ من طبعة دار احياء التراث العربي

هم الواسطة بينهم وبين خلقه، يقول المجلسي في الأئمة: فإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق.<sup>(١)</sup>

ويقول الطبرسي ملتزماً بعقيدتهم: "ثم يبين سبحانه فضل هذه الأمة على سائر الأمم؛ فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أنه جعل أمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عدلاً وواسطة بين الرسول والناس، ومتى قيل إذا كان في الأمة من ليس هذه صفته فكيف وصف جماعتهم بذلك؟ فالجواب أن المراد به من كان بتلك الصفة ولأن كل عصر يخلو من جماعة هذه صفتهم. وروى بريد بن معاوية العجلي عن الباقر (ع): "نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه"، وفي رواية أخرى قال: "إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر"، وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن عليّ (ع): أن الله تعالى إيانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه ونحن الذين قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً".<sup>(٢)</sup>

وفي مقاييس اللغة: الواو والسين والطاء: بناءً صحيح يدل على العدل والنصف. وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه. قال الله عز وجل: أُمَّةً وَسَطًا، وفي لسان العرب وسط الشيء: ما بين طرفيه.. فإذا سكنت السين من وسط صار ظرفاً.. فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، وذلك في مثل قوله تعالى وتقدس: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً؛ أي عدلاً، فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه وأنه اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه<sup>(١)</sup>.

وفي المحيط: الوسط، حركة، من كل شيء: أعدله. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: عدلاً خياراً.<sup>(٢)</sup>

(١) بحار الانوار للمجلسي الجزء ٢٣ الصفحة ٩٧ دار احياء التراث العربي

(٢) مجمع البيان للطبرسي-الجزء الأول ٣١١

(١) مقاييس اللغة -الجزء السادس ص ١٠٨

(٢) القاموس المحيط -الجزء الأول ٦٩١

وكلمة وسطاً تعني عدلاً عند معظم المفسرين، يقول القرطبي: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ المعنى: وكما أنَّ الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أُمَّةً وَسَطًا؛ أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم. والوسط: العدل؛ وأصل هذا أنَّ أحمد الأشياء أوسطها. وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: «عَدْلًا»<sup>(١)</sup>.

وردها البيضاوي إلى دلالتها الأصلية وجعلها من قبيل الاستعارة، يقول البيضاوي: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: خياراً، أو عدولاً مزكين بالعلم والعمل. وهو في الأصل اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب، ثم استعير للخصال الحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفریط. <sup>(٢)</sup>

وهي تفاسير متقاربة، ولم أجد في تفاسيرهم ما ذكره الطبرسي من جعل الشيعة خاصة وسطاً بين الله وبين الناس، ولا أدري كيف وجهها الطبرسي؟! فسبحانه قال: (وسطاً) على وزن فعل ولم يقل سبحانه واسطة، والواسطة ما يتوصل به إلى الشيء<sup>(٣)</sup>، فالمعنى مختلف لاختلاف المبنى فكلمة وسط تدل على معنى الوسطية فقط ولا تحمل في معناها معنى اسم الفاعل الذي يدل على الحدث ومن يقوم به.

وفي ختام هذا الفصل أنه إلى أن هذا الفصل اختص بالمستوى الصرفي للغة؛ فدرس صيغ الكلمات من حيث مبناها، والتغيرات التي تطرأ عليها من نقص أو زيادة، وأثر ذلك في المعنى.  
وقد قسّم هذا الفصل إلى مبحثين: خصص أولهما للأفعال، وثانيهما للأسماء.

<sup>(١)</sup> تفسير القرطبي - الجزء الثاني ص ١٥٤

<sup>(٢)</sup> تفسير البيضاوي - الجزء الأول ص ١١٠

<sup>(٣)</sup> المعجم الوسيط - الجزء الثاني ص ١٠٣١

الخاتمة

## الختام

الحمد لله الذي يسّر ما أردتُ من البحث في التوجيه اللغوي لنصوص القرآن الكريم عند الشيعة الاثني عشرية، من وجهة لغوية.

ومن أهم النتائج التي توصلت لها في بحثي هذا أنّ الشيعة الاثني عشرية قد تأثروا في توجيهاتهم اللغوية الصّرفية والنحوية والدلالية بمعتقداتهم الأصولية والفرعية تأثيراً شديداً؛ وذلك من واقع النماذج التي تمّ الوقوف عليها، وأنّهم يعتمدون كثيراً على أصول عقيدتهم في توجيههم الصّرفي لنصوص القرآن الكريم، كنفهم الاستماع عن الله؛ في الآيات ذات صلة؛ لأنّ الاستماع في رأيهم هو طلب الإصغاء؛ وهذا لا يجوز على الله سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup> كما هم يعتمدون على تلك الأصول في توجيههم النحوي، وإن خالفت اللغة والنحو، منها أنّ الرؤيا بمعنى العلم؛ لأنّها تعدّت إلى مفعول واحد<sup>(٢)</sup>، كما هو يعتمدون على أصولهم في توجيههم الدلالي، ومن صور ذلك حصرهم دلالة أهل البيت بأصحاب الكساء، (محمد صلى الله عليه وسلّم، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً، دون نساء النبي وبناته وأقاربه، لغاياتٍ تتعلق معظمها بالإمامة<sup>(٣)</sup>)، وتوجيه الكثير من النصوص على التأويل الباطني كتوجيههم النصوص المتعلقة بالغيب بأنّه غيبة المهدي المنتظر<sup>(٤)</sup>. كما توصلت الباحثة إلى اختلاف المتقدمين من مفسري أهل الشيعة عن المتأخرين في توجيه نصوص المتأخرين، وميل المتأخرين في الغالب إلى مشابهة السُنّة، ومخالفة الطبرسي لشييعته في كثير من النصوص، وموافقته لأهل السُنّة؛ وربّما يعود ذلك إلى محاولته الالتزام بالمنهج اللغوي الذي وضعه لنفسه في تفسير الآيات.

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَإِذْهَا بَايَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾، سورة الشعراء، آية ١٥

(٢) كما ورد في قوله تعالى وقال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، القيامة، آية: ٢٣.

(٣) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، الأحزاب، آية: ٢٢.

(٤) كما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، سورة البقرة،

ومن البحوث المقترحة التي أنصح الباحثين بدراستها: أثر التشيع في تأويلات التّحاة<sup>(١)</sup>، سواءً كانوا من الشيعة أو من غيرهم، كما أنصح بعمل دراسات مشابهة لهذه البحث كدراسة التّوجيهات اللّغوية عند الفرق الأخرى من الشيعة ؛ كالتّصيرية والدروز وغيرهم.

---

<sup>(١)</sup> انظر مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع عشر -محمد عليو محمد -دار المنهاج - الرياض

## فهرس الآيات

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ \* خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٦-٧]..... ١٦٦
- قال تعالى: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ٩]..... ٢٨٢
- قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥]..... ١٦٣
- قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]..... ١٢٣
- قال تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢]..... ٢٠٠
- قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦]..... ١٦٨
- قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥]..... ١٢١
- قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]..... ٢١٦
- قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨]..... ٢٢٢
- قال تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقُلُوبَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]..... ٢٨٦
- قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾. [البقرة: ١٧٥]..... ١٥٢
- قال تعالى: ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٨]..... ١٩٠
- قال تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]..... ١٤٧
- قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَلَهَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٩]..... ٢٦١



- قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَأَمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعِبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿البقرة:

[٢٢١]..... ٢٣٣

- قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:

[٢٢٣]..... ١٣٣

- قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]..... ١٩٥
- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٤]..... ٢٠٢

- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]

..... ٢٠٢

- قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَذُحْ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَّنَّعْتِ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]..... ٤٩
- قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]..... ٢٦٤

- قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧]..... ١٦٢

- قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَلَهُنَّ أَجُورُهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٢٤]..... ٢٢٨

- قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]..... ١٩٧

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]..... ٨١

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]..... ٨٣

- قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَانِئْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخُسْرَيْنِ﴾ [المائدة: ٥]..... ٢٠٥

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ [المائدة: ٦]..... ١١٤
- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿ [المائدة: ٥٥]..... ١٧٦
- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿ [المائدة: ٦٧]..... ٢٧
- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ غَزِيرٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿ [المائدة: ٩٥]..... ١٩٤
- قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ [الأنعام: ١٧]..... ١٠٧
- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ [الأنعام: ٧٤]..... ١٧٤
- قال تعالى: ﴿لَا تَذَرِكُ الْأَبْصُرُ وَهُوَ يَذَرُكَ الْأَبْصُرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿ [الأنعام: ١٠٣]..... ١٥٦
- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿ [الأنعام: ١١٢]..... ١٧٠
- قال تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئدةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿ [الأنعام: ١١٣]..... ١٢٦
- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿ [الأنعام: ١٢٣]..... ١٢٩
- قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿ [الأنعام: ١٢٤]..... ٥٤
- قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَبِيبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ [الأعراف: ٥٤]..... ١٦١
- قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الأعراف: ١٤٣]..... ١٦٠، ١١٩، ٧٧، ٦٤، ٢٥٣، ٦٤
- قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ ﴿ [الأنفال: ٣٠]..... ٣٤٧

- قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَآبِنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ أَمْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفْصِيلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُرْقَانَ يَوْمَ التَّفْصِيلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُرْقَانَ يَوْمَ التَّفْصِيلِ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُرْقَانَ يَوْمَ التَّفْصِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]..... ١٣٩, ٢٣٨
- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]..... ١٨٨
- قال تعالى: ﴿إِلَّا تَتَصَوَّرُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]..... ٩٦
- قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]..... ٤٧
- قال تعالى: ﴿وَأَخْرُجُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ أَمَا يُعَذِّبُهُمْ وَأَمَّا يُتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦]..... ١٣٠
- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]..... ١٣٧
- قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]..... ١٥١
- قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ٨]..... ٢٧١
- قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ \* ﴿إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَكَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]..... ١٠٣
- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]..... ٢٧١
- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]..... ٥٩
- قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَنِي رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نُرْغِ الشَّيْطَانَ بَيْنَ بَنِي إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]..... ٨٩
- قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]..... ٢٦١
- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْآلْوَارِ﴾ [ابراهيم: ٢٨]..... ٢٦٥
- قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ \* كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ١١-١٢]..... ٩٣

- قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاذِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩]..  
١١٧.....
- قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].....  
٢١١.....
- قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].....  
٢٥٣.....
- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].....  
٢٦٥.....
- قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].....  
٢٧٥.....
- قال تعالى: ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦].....  
١٨٣.....
- قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥].....  
١٨٦.....
- قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].....  
٢٥٤.....
- قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرِ كَوْكَبٍ ذُرِّيُّ يَوْفَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].....  
٢٦٢.....
- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].....  
١٠١.....
- قال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَإِذْهَا بَايَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥].....  
٢٨٥.....
- قال تعالى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩].....  
٢٤٩.....
- قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يُمُوسَىٰ لَا يَخَافُ إِنِّي لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النمل: ١٠-١١].....  
١٠٢.....
- قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بَايَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ٨٣].....  
١٠٩.....
- قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٥].....  
٢٦١.....
- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يُمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].....  
١١١.....
- قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْجِدُ بَايَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].....  
٢٦٣.....
- قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].....  
٢١٥.....

• قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾.

[الأحزاب: ٤٠]..... ٢٥٥

• قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢]..... ٩٨

• قال تعالى: ﴿ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]..... ٢٥٤

• قال تعالى: ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ \* إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ \* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ \* وَإِنِّ مِنَ شِيعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ ﴾

[الصافات: ٨٣]..... ٩٥

• قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]..... ١٣١

• قال تعالى: ﴿ قَالَ يَابُنَيَّ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْغَالِينَ ﴾ [ص: ٧٥]..... ٢٤٣

• قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣]..... ٢٦٠

• قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]..... ٧٩

• قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى: ٢٣]..... ٢٠٧

• قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]..... ١٧١

• قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٦]..... ١٠٠

• قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٠]..... ٢٦٤

• قال تعالى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق: ٢٤]..... ٨٦

• قال تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِئْسَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢]..... ٧٠

• قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢]..... ٢٤١

• قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمَ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَارِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ١٠]..... ٢٣٦

- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾  
[التغابن: ٢]..... ٨٤
- قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ [الملوك: ١٧]..... ٦٦
- قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]..... ٢٦١
- قال تعالى: ﴿مَنْ أَلَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ\* تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾  
[المعارج: ٣-٤]..... ٩١
- قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]..... ٦٣.٢٧٩
- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]..... ٢٦٣
- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾  
[النبا: ٣٨]..... ٢١٩
- قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]..... ٦٨
- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]..... ٢٦٦

## فهرس المصادر والمراجع

١. آية التطهير شبهات وردود (رد على الشيخ عثمان الخميس) - حسن عبد الله - سلسلة الكتب المؤلفة في رد الشبهات (٧١) - مركز الأبحاث العقائدية.
٢. الإبانة عن أصول الديانة - لأبي الحسن الأشعري - تحقيق بشير عون - مكتبة دار البيان - الطبعة الثالثة (١٩٩٠م).
٣. إبراز المعاني من حرز الأمان - أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (٦٦٥هـ) - دار الكتب العلمية.
٤. الإتقان في علوم القرآن - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: ١٩٧٤ م.
٥. اتعاط الخفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء - لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (٨٤٥هـ) - الجزء ١: حققه د جمال الدين الشيال الجزء ٢، ٣: حققه د محمد حلمي محمد أحمد - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي. الطبعة: الأولى.
٦. الإحكام في أصول الأحكام - لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٤٥٦هـ) - تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاکر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس - دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٧. أثر التوحيد والتزوية في توجيه إعراب القرآن الكريم - لخالد عبد القادر السعيد - رسالة ماجستير كلية الآداب الجامعة الأردنية ١٩٨٤.
٨. أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية - ليوسف خلف محل العيسوي - دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان - قم الطبعة: الأولى ٢٠٠٢.
٩. أثر العقيدة الأشعرية في توجيه اللغوي والنحوي لنصوص القرآن الكريم - لشاهر ذياب - رسالة ماجستير كلية اللغة العربية وآدابها - الجامعة الأردنية - ٢٠٠١.
١٠. الأخبار الطوال - أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (٥٢٨٢هـ) - تحقيق: عبد المنعم عامر - مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال - دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة - الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ م.
١١. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ) - إشراف: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٥ م.
١٢. أسرار العربية المؤلف - عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (٥٧٧هـ) - دار الأرقم بن أبي الأرقم الطبعة الأولى ١٩٩٩ م.
١٣. أسس علم اللغة - ماريو باي - ترجمة أحمد مختار عمر - عالم الكتب الطبعة الثامنة ١٩٨٨.
١٤. إسلام بلا مذاهب - لمصطفى الشكعة - الدار المصرية لبنانية - طبعة ٢٠١٣.
١٥. أسلوبا النفي والاستفهام في اللغة العربية - خليل عمائر - جامعة اليرموك - ص ٥٦.
١٦. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى - للقرطبي - تحقيق عرفان حسونة الدمشقي - المكتبة العصرية للطباعة والنشر ٢٠٠٥.
١٧. الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦ م.
١٨. أصل الشيعة وأصولها - ل محمد حسين كاشف الغطاء - تحقيق: علاء آل جعفر - مؤسسة الإمام علي عليه السلام.
١٩. الأصول في النحو - أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ) - عبد الحسين الفتلي - الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
٢٠. الأصول الستة عشر - دار الشبيستري - قم - الطبعة الثانية سنة ١٤٠٥ - ص ٥٤.
٢١. أصول العقائد لرضي الشيرازي - مطبعة دار الرسول الأكرم - الطبعة الأولى ١٤٢٥.

٢٢. أصول الفقه الإسلامي-أحمد حسين الدار الجامعية -١٩٨٦.
٢٣. أصول الكافي- غي الدين يعقوب الكليني- تعليق عليّ أكبر الغفاري -دار الكتب الإسلامية -طهران، الطبعة الثالثة ١٣٨٨.
٢٤. الأصول من الكافي - أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي - دار الكتب الإسلامية -نوبت چاپ: چهارم زمستان.
٢٥. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد- المؤلف: ناصر بن عبد الله بن عليّ القفاري الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ .
٢٦. أضواء على الصحيحينمحمد صادق النجفي ترجمة يحيى كمالي البحراني<sup>1</sup> مؤسسة المعارف الإسلامية الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية. الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ -پاسدار إسلام.
٢٧. أضواء على عقائد الشيعة الإمامية للسبحاني .
٢٨. الاعتصام -إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (٧٩٠هـ) سليم بن عيد الهلالي -دار ابن عفان، السعودية-الطبعة: الأولى (١٩٩٢م)-ص ٣٢١.
٢٩. الاعتقادات- محمد بن عليّ بن بابويه القمي- تحقيق عصام عبد السيد- من منشورات المؤتمر العالي لألفية الشيخالمفيد.
٣٠. الاعتقادات في دين الإمامية -للصديق -تحقيق عصام عبد السيد - دار المفيد -بيروت- الطبعة الثانية ١٤١٤.
٣١. إعراب القرآن- لأبي جعفر النّحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم - منشورات محمد عليّ بيضون- دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ.
٣٢. إعراب القرآن -لابن سيدة - المكتبة الشاملة (هناك شك في نسبته لابن سيدة لعدة أسباب منها نقله عن الزمخشري وهو سابق له).
٣٣. إعراب القرآن -للياقولي -دار الكتاب المصري - القاهرة ودار الكتب اللبنانية - بيروت- الطبعة: الرابعة - ١٤٢٠ هـ.
٣٤. إعراب القرآن وبيانه - يحيى الدين بن أحمد مصطفى درويش (١٤٠٣هـ)- دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية -الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.
٣٥. إعراب القرآن -لأحمد بن محمد الخراط-مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة 1426 هـ.
٣٦. الأعلام - خير الدين بن محمود بن محمد بن عليّ بن فارس، الزركلي الدمشقي (١٣٩٦هـ)-دار العلم للملايين -الطبعة الخامسة عشرة.
٣٧. أعلام الورى بأعلام الهدى- لأبي عليّ البرسي -تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
٣٨. أعيان الشيعة- لحسن الأمين العالمي- مطبعة ابن زيدون دمشق ١٣٩٩.
٣٩. أقسام الكلام العربيمنحيث الشكل - فاضل مصطفى السناني -مكتبةالخانجي القاهرة1977 .
٤٠. الاقتصاد -للطوسي -مطبع الخيام -قم - ١٤٠٠ هـ.
٤١. الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع - شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (٩٧٧هـ)-تحقيقمكتب البحوث والدراسات - دار الفكر الناشر: دار الفكر - بيروت.
٤٢. إلى أهل النغر بباب الأبواب -لأبيالحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (٣٢٤هـ)تحقيق - عبد الله شاكر محمد الجنيدي - عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية-الطبعة: ١٤١٣ هـ.
٤٣. ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين -علي الكوراني العاملي- دار الهدى الطبعة: الثانية ٢٠٠٨ .
٤٤. الأمالي- لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٤٦٠ هـ)- تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع دار الثقافة.



٤٥. الأمالي للصدوق- الطبعة الأولى- ١٤١٧- منشورات مؤسسة الأعلمي.
٤٦. الإمامة والرد على الرافضة- لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني(٥٤٣٠هـ) تحقيق عليّ بن محمد بن ناصر الفقيهي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة- الطبعة: الأولى ١٩٨٧ .
٤٧. الإمام المهدي- محمد حسني الشيرازي -مؤسسة المجتبى للطباعة والنشر.
٤٨. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار- أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليميني الشافعي (٥٥٨هـ)الحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف -أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية- الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
٤٩. الأنساب - عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (٥٥٦٢هـ)- تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره -مجلس دائرة المعارف العثمانية-حيدر آباد -الطبعة: الأولى- ١٩٦٢ م.
٥٠. الإنصاف- لجعفر السبحاني - مؤسسة الإمام الصادق -مطبعة الاعتماد.
٥١. الإنصاف في مسائل الخلاف- لحسين معتوق.
٥٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ)-الحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي -دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٥٣. أوائل المقالات -محمد العكبري الملقب بالمفيد-تحقيقابراهيم الأنصاري -مطبعةمهر - الطبعة الاولى ١٤١٣ هـ.
٥٤. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك- لابن هشام -تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاع-دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة:
٥٥. الإيضاح في علل النحو- للزجاجي -تحقيق مازن مبارك -دار النفائس -الطبعة الثالثة (١٩٧٩).
٥٦. الإيضاح في علوم البلاغة - محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (٧٣٩هـ)-تحقيقمحمد عبد المنعم خفاجي - دار الجيل - بيروتالطبعة: الثالثة.
٥٧. الإيمان- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ)- محمد ناصر الدين الألباني-الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن-الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ.
٥٨. بدائع الفوائد- محمد ابن قيم الجوزية- دار الكتاب العربي -بيروت- لبنان.
٥٩. البداية والنهاية - لأبيالغداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ)-تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي - دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان -الطبعة: الأولى، ١٩٩٧.
٦٠. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ) -تحقيقيوسف عبد الرحمن المرعشلي والشيخ/ جمال حمدي الذهبي والشيخ/ إبراهيم عبد الله الكردي - دار المعرفة - بيروت -الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٦١.
٦٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار- محمد باقر المجلسي - دار إحياء التراث العربي- بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة (١٩٨٣م)، وطبعة مؤسسة الوفاء- الطبعة الثانية ١٤٠٣.
٦٣. البحر الرائق شرح كثر الدقائق - لابن نجيم -دار الكتب العلمية -بيروت-الطبعة الأولى-١٩٧٧.
٦٤. البحر المحيط في التفسير -لأبيحيان محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ)تحقيقصدي محمد جميل-دار الفكر - بيروت الطبعة 1420 هـ.
٦٥. البحر المحيط -بدر الدين بن محمد بهادر الزركشي-دار الكتي - الطبعة الأولى ١٩٩٤.
٦٦. البحر المحيط في التفسير -أبو حيان محمد بن يوسف بن عليّ بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (٧٤٥هـ)-الحقق: صديقي محمد جميل دار الفكر - بيروت-الطبعة: ١٤٢٠.
٦٧. بحوث في الملل والنحل -لجعفر السبحاني- مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

٦٨. بشارة المصطفى لشيعه المرتضى - عماد الدين الطبري - تحقيق جواد الأصفهاني - مؤسسة النشر الإسلامي.
٦٩. بصائر الدرجات الكبرى - لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار - مؤسسة الأعلمي - مطبعة الأحمدى - طهران ١٤٠٤.
٧٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) - الخقق: محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
٧١. البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها) - عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى - ١٩٩٦م.
٧٢. البيان في تفسير القرآن - السيد أبو القاسم الخوئي - دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، الطبعة السادسة.
٧٣. بيان السعادة في مقامات العبادة - محمد بن حيدر الخرساني - دار الكتب - طهران.
٧٤. البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة - دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٧٥. بين الشيعة والسنة، إحسان الهي ظهير (١٤٠٧): ترجمان السنة - لاهور - باكستان.
٧٦. تاج العروس من جواهر القاموس - محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين - دار الهداية.
٧٧. تبديد الظلام وتنبيه الأنام على خطر التشيع على المسلمين والإسلام - لإبراهيم الجيهان - دار السقيفة - القاهرة.
٧٨. التبيان في إعراب القرآن - أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ) - تحقيق علي محمد البجاوي - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٧٩. التبيان في تفسير القرآن - أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ). تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي - دار إحياء التراث.
٨٠. التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة - أبو عبد الله محمد عبد القادر - العالم القبلي الجزائري المالكي (١٤٣٠ هـ).
٨١. تصحيح اعتقادات الإمامية - للمفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله، العكبري، البغدادي، تحقيق حسين درگاهی - دار المفيد ١٤١٤.
٨٢. التطبيق النحوي - عبده الراجحي - دار النهضة للطباعة والنشر ١٩٨٨.
٨٣. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب الجيد» ١ - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ) - الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر 1984.
٨٤. التحفة الوسيمة شرح على الدرة اليتيمة - المؤلف: أبو عبد الله محمد عبد القادر بن محمد بن المختار بن أحمد العالم القبلي الجزائري المالكي الشهير بالشيخ باي بعالم (المتوفى: ١٤٣٠ هـ).
٨٥. التعريفات - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) - تحقيق جماعة من العلماء - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٩٨٣م.
٨٦. تفسير الصافي للفيض الكاشاني - مؤسسة الأعلمي للنشر - لبنان.
٨٧. تفسير العياشي - لأبي النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (العياشي) - تحقيق هاشم الرسولي المحلاقي - المكتبة العلمية الإسلامية - طهران.
٨٨. تفسير القرآن العظيم - (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (٧٧٤هـ) - الخقق: محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

٨٩. تفسير القمي - أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي - تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري - مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - الطبعة: الثالثة.
٩٠. تفسير اللغوي للقرآن الكريم - مساعد الطيار - دار ابن الجوزي - الطبعة الأولى - ١٤٢٢.
٩١. تقريب المعارف - لأبي الصلاح الحلبي - نشر وتحقيق الشيخ فارس الحسون - قم ١٤١٧ هـ.
٩٢. تناوب حروف الجر في القرآن الكريم - محمد حسن عواد - دار الفرقان.
٩٣. التنبيه والإشراف - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (٣٤٦ هـ) - تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي - دار الصاوي - القاهرة.
٩٤. التنقيح في شرح العروة الوثقى - تأليف الميرزا علي التبريزي الغروي - مطبعة الآداب - النجف - الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ.
٩٥. تنزيه الأنبياء - للمرتضى - دار الأضواء ١٩٨٩.
٩٦. التنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣ هـ) - الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ هـ.
٩٧. التيسير في القراءات السبع - لأبي عمرو الداني - تحقيق حاتم صالح الضامن - مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى ٢٠١١.
٩٨. تهذيب الأحكام - للطوسي - تحقيق الموسوي - دار الكتب الإسلامية ١٣٦٥.
٩٩. تهذيب اللغة - محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (٥٣٧٠ هـ) - تحقيق - محمد عوض مرعب - دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.
١٠٠. التوحيد - محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الملقب بالصدوق - دار المعرفة - لبنان.
١٠١. التوقيف على مهمات التعاريف - زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (١٠٣١ هـ) - عالم الكتب - القاهرة - الطبعة: الأولى ١٩٩٠ م.
١٠٢. ثمرات الأوراق (مطبوع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للشهاب الأبهشي) - ابن حجة الحموي - تقي الدين أبو بكر بن علي (٨٣٧ هـ) - الناشر: مكتبة الجمهورية العربية - مصر.
١٠٣. حاشية الصبان على شرح الأشموني - محمد بن علي، تحقيق - طه عبد الرؤوف سعيد - المكتبة التوفيقية - القاهرة.
١٠٤. حروف الجر علاقتها ودلالاتها - أبو اوس اراهيم الشمسان - مطبعة المدني جدة ١٩٨٧ م.
١٠٥. حروف المعاني والصفات - عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (٣٣٧ هـ) تحقيق - علي توفيق الحمد - مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى ١٩٨٤ م.
١٠٦. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي - محمد أحمد الخطيب - مكتبة الأقصى - عمان - ١٩٨٦.
١٠٧. جاء دور الجوسالطبة العاشر - (لم أجد أي معلومات عليه).
١٠٨. الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١ هـ) - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
١٠٩. الجدول في إعراب القرآن الكريم - محمود بن عبد الرحيم صافي (١٣٧٦ هـ) - دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة: الرابعة ١٤١٨ هـ.
١١٠. الجنى الداني في حروف المعاني للحسن - المرادي - تحقيق فجر الدين قباوة - الطبعة الأولى ١٤١٣ - دار الكتب العلمية - بيروت.
١١١. الجملة الشرطية لأوس إبراهيم الشمسان، ذكر آراء الكثير من النحاة - مطبعة الدجوي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٨١.

١١٢. جوامع الجامع: الطبرسي - تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم - الطبعة: الأولى.
١١٣. الجمل في النحو - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (١٧٠هـ) - تحقيق: د. فخر الدين قباوة - الطبعة: الخامسة، ١٩٩٥م.
١١٤. جهرة اللغة - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ) - تحقيق: رمزي منير بعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٧.
١١٥. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - لابن قيم الجوزية - دار المعرفة - المغرب - ١٤١٨.
١١٦. جواهر الكلام - محمد حسن النجفي الطبعة الأولى ١٩٩٢م - بيروت - ج ١٠ ص ٦٣٩.
١١٧. حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك - أبو العرفان محمد بن علي الصبان - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٩٩٧م.
١١٨. الحاشية على أصول - لرفيع الدين محمد بن حيدر النائي (١٠٨٢) - تحقيق: محمد حسين الدرايتي - دار الحديث الطبعة: الأولى ١٤٢٤.
١١٩. الحمل على الظاهر - دراسة تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير الطبري - إعداد: ابتسام بنت بدر عوض الجابري - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية ١٤٣٢.
١٢٠. حروف المعاني بين الأصالة والحداثة - حسن عباس - منشورات اتحاد الكتاب العربي دمشق ٢٠٠٠.
١٢١. حث في صيغة أفعال بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربية - مصطفى أحمد النماس - مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - العدد ٥٣.
١٢٢. الحشاشون - برنارد لويس وتعريب محمد العزب موسى - دار المشرق العربي الكبير، بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٠.
١٢٣. حقّ اليقين في معرفة أصول الدين - عبد الله شبر - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٩٧م.
١٢٤. خزانة الأدب وغاية الأرب - ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراي (٨٣٧هـ) - تحقيق: عصام شقيو - دار ومكتبة الهلال - بيروت، دار البحار - بيروت الطبعة: الأخيرة ٢٠٠٤م.
١٢٥. الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني (ت ٣٩٢هـ) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: الرابعة.
١٢٦. خصائص التركيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٠م.
١٢٧. الخصال - للصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي - صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم.
١٢٨. الخلاف - للطوسي - مؤسسة النشر الإسلامي - بقم.
١٢٩. خلفيات كتاب مأساة الزهراء - جعفر مرتضى العاملي - الجزء الرابع - الطبعة الخامسة ٢٠٠٢م.
١٣٠. خلق أفعال العباد - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (٥٢٦هـ) تحقيق: عبد الرحمن عميرة - دار المعارف السعودية - الرياض.
١٣١. خواطر الشعراوي - محمد متولي الشعراوي (١٤١٨هـ) - مطابع أخبار اليوم ١٩٩٧.
١٣٢. الدر المصون في علوم الكتاب - أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (٥٧٥٦هـ) - تحقيق: أحمد محمد الخراط - دار القلم - دمشق.
١٣٣. الدر المنثور - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) - دار الفكر - بيروت -
١٣٤. دراسات في الدلالة والمعجم - رجب إبراهيم - دار غريب طبعة ٢٠٠١.
١٣٥. دلالة السياق - لعبد الفتاح البركاوي .
١٣٦. انظر ديوان الأعشى - تحقيق محمد حسين - دار النهضة - بيروت ١٩٧٤.

١٣٧. ديوان امرئ القيس  
المؤلف: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (٥٤٥ م)  
عبد الرحمن المصطاوي دار المعرفة - بيروت  
الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
١٣٨. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (٨٠٨هـ) - تحقيق خليل شحادة - دار الفكر - بيروت - الطبعة: الثانية ١٩٨٨ م.
١٣٩. الرد على الجهمية والزنادقة - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ) - تحقيق: صبري بن سلامة شاهين - دار الثبات للنشر والتوزيع - الطبعة: الأولى - ص.
١٤٠. رد اختار على الدر المختار - ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (١٢٥٢هـ) - دار الفكر - بيروت - الطبعة: الثانية ١٩٩٢ م.
١٤١. ردود القرطبي على الشيعة - لأبي عبيدة آل سلمان - المطبعة الأثرية - الأردن.
١٤٢. رجال الكشي - لأبي جعفر الطوسي - تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني - مؤسسة النشر الإسلامي - قم - الطبعة الأولى ١٤٢٧.
١٤٣. الرجعة أو العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت - مركز الرسالة - الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ.
١٤٤. رسالة في اسم الفاعل، المراد به الاستمرار في جميع الأزمنة - أحمد بن قاسم الصباغ العبادي ثم المصري الشافعي الأزهرى، شهاب الدين (٩٩٢هـ) - تحقيق الدكتور محمد حسن عواد - دار الفرقان - عمان الطبعة الأولى - ١٩٨٣ م.
١٤٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ) - تحقيق عليّ عبد الباري عطية - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٥ هـ - ٢٣٧.
١٤٦. روضات الجنات وأحوال السادات - للخنوساري - طبعة النجف ١٣٧٣، وطبعة الدار الإسلامية بيروت ١٩٩١.
١٤٧. زاد المسير في علم التفسير - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ) - تحقيق عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.
١٤٨. الزاهر في معاني كلمات الناس - محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (٣٢٨هـ) - تحقيق حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى ١٩٩٢.
١٤٩. سر صناعة الإعراب - لأبيالفتح عثمان بن جني الموصلية (٣٩٢هـ) - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ٢٠٠٠ م.
١٥٠. سلسلة المعارف الإسلامية رقم ٤١ - حقوق آل البيت - مركز الرسالة.
١٥١. السنن الكبرى - للبيهقي - الطبعة الأولى.
١٥٢. سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (٢٧٥هـ) - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - العصرية، صيدا - بيروت.
١٥٣. سنن ابن ماجه - ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (٢٧٣هـ) - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
١٥٤. سنن النسائي - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الطبعة: الأولى - سنة الطبع 1409.
١٥٥. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار - محمد بن عليّ الشوكاني - دار ابن حزم - ٢٠٠٤.
١٥٦. شذا العرف في فن الصرف - أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: ١٣٥١هـ) - نصر الله عبد الرحمن نصر الله - مكتبة الرشد الرياض.
١٥٧. الشافي في شرح أصول الكافي - عبد الحسين بن عبد الله المظفر - مطبعة الغي الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ.

١٥٨. شرح الأجرومية-أبو مُحَمَّد، صالحُ بنُ مُحَمَّد بنِ حسنِ آلِ عُمَيْرٍ، الأسمريُّ، القحطانيُّ-المكتبة الشاملة.
١٥٩. شرح الأجرومية - حسن بن محمد الحفظي-المكتبة الشاملة .
١٦٠. شرح الأشثوني على ألفية ابن مالك-علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشثوني الشافعي (٥٩٠هـ)- دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى ١٩٩٨م.
١٦١. شرح الأصول الخمسة -عبد الجبار بن أحمد المعتزلي -تعليق-أحمد بن الحسين بن أبي هاشم -تحقيق عبد الكريم عثمان - مكتبة وهبة.
١٦٢. شرح الأصول من علم الأصول"، محمد بن صالح العثيمين-دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع -الرياض.
١٦٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك -ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (٧٦٩هـ)إخفق: محمد محيي الدين عبد الحميد-دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه-الطبعة: العشرون ١٩٨٠م.
١٦٤. شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)- جمال الدين محمد بن مالك الأندلسي(ت ٦٧٢ هـ)، تحقيق -: محمد عبد القادر عطا، طارق فتحي السيد- دار الكتب العلمية - بيروت -الطبعة الأولى ٢٠٠١ م.
١٦٥. شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ( ٢٣١ هـ)- يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (٥٥٠٢) دار القلم - بيروت
١٦٦. شرح ديوان علقمة الفحل تحقيق حنا نصر الحتي- دار الكتاب العربي بيروت \_الطبعة الأولى ١٩٩٣ ص ٤٤)
١٦٧. شرح السُّنة المؤلّف: محيي السُّنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)تحقيق: شعيب الأرناؤوط-محمد زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروتالطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الجزء التاسع.
١٦٨. شرح شافية ابن الحاجم شرح شواهد العالم للجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفى عام ١٠٩٣ من الهجرة -: محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (٦٨٦هـ)تحقيقمحمد نور الحسن - محمد الزفراف -محمد محيي الدين عبد الحميد -دار الكتب العلمية -بيروت - لبنان ١٩٧٥م.
١٦٩. شرح شذور الذهب - ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد- توزيع دار الفكر- المكتبة العصرية للطباعة والنشر-بيروت.
١٧٠. شرح العقيدة الطحاوية -لعلي بن أبي العز الدمشقي- دار الرسالة ١٩٩٧.
١٧١. شرح العقيدة الواسطية -محمد بن خليل بن هراس -دار ابن عفان ٢٠٠٢م
١٧٢. شرح عمدة الأحكام-مؤلف الأصل: عبد الغني المقدسي (٦٠٠هـ)الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير - المكتبة الشاملة.
١٧٣. شرح الكافية في النحو- رضى الدين الإستربادي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيقأحمد السيد أحمد - المكتبة التوفيقية -القاهرة.
١٧٤. شرح لامية ابن تيمية- عمر بن سعود بن فهد العيد- شرح الدرس الثالث عشر -المكتبة الشاملة.
١٧٥. شرح الملحّة البدرية في علم اللغة العربية -لابن هشام الأنصاري -تحقيق هادي نمر -دار البازوزي ٢٠٠٧.
١٧٦. شرح مختصر الأصول من علم الأصول - أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف النياوي - المكتبة الشاملة- مصر الطبعة: الأولى ٢٠١١م.
١٧٧. شرح المقدمة المحسّبة-لطاهر بن أحمد بن بابشاذ (٥٤٦٩هـ)-تحقيق خالد عبد الكريم.-المطبعة العصرية-الكويت -.الطبعة: الأولى ١٩٧٧م.
١٧٨. شرح المفصل - يعيش بن عليّ بن يعيش موفق الدين- إدارة الطباعة المنيرية الطبع المنيرية.
١٧٩. الشيخ الطبرسي إمام المفسرين في القرن السادس (حياته وآثاره) لجعفر السبحاني- منشورات مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام- الطبعة الأولى.

١٨٠. الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع-عليّ أحمد السالوس-الطبعة السابعة-مكتبة دار الفرقان-مصر.
١٨١. الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم- محمد العسال -الطبعة الأولى ١٤٢٧.
١٨٢. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة- هاشم معروف حسني - مطبعة المدينة-الطبعة الأولى.
١٨٣. الشيعة والتشيع، إحسان الهي ظهير(١٤٠٧): ترجمان السنة- لاهور - باكستان.
١٨٤. الشيعة وآل البيت، إحسان الهي ظهير (١٤٠٧): ترجمان السنة- لاهور - باكستان.
١٨٥. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامه -أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٥٣٩٥)-تحقيق محمد عليّ بيضون - الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
١٨٦. الصافي في تفسير كلام الله الوافي - محسن فيض الكاشاني-مؤسسة الأعلمي -بيروت -لبنان.
١٨٧. الصافي في شرح أصول الكافي (لم أجد الطبعة).
١٨٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية -أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ)-تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين - بيروت-الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ.
١٨٩. صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - محمد زهير بن ناصر الناصر -دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٩٠. صيغ العربية وأوزانها- عبدالحليم عبدالباسط -القاهرة ١٩٧٩.
١٩١. صيغة أفعال بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربية -مصطفى أحمد التماس - مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ٥٣.
١٩٢. ضياء المسالك إلى أوضح المسالك - محمد عبد العزيز النجار - مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ٢٠٠١م.
١٩٣. طبقات المفسرين العشرين - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)-الحقق: عليّ محمد عمر - مكتبة وهبة - القاهرة الطبعة: الأولى ١٣٩٦.
١٩٤. الطراز، العلوي، راجعه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ٢٥١.
١٩٥. ظاهرة التقارض في النحو العربي - أحمد محمد عبد الله -مجلة الجامعة الإسلامية -المدينة المنورة الجزء ٥٩.
١٩٦. العروة الوثقى- السيد اليزدي- مؤسسة النشر الإسلامي- الطبعة الأولى ١٤١٩.
١٩٧. العصمة (بحث مفصل في عصمة الأنبياء والأئمة)-لأحمد الإحساني -تحقيق صالح أحمد دياب -مؤسسة البلاغ - الطبعة الثانية ١٤٢٩.
١٩٨. عصمة الأنبياء عليهم السلام - زين العابدين عبد عليّ طاهر الكعبي - مطبعة ستارة.
١٩٩. العقائد- للمجلسي -مؤسسة الهدى للنشر- الطبعة الأولى ١٣٧٨.
٢٠٠. عقائد الاثني عشرية- للزنجاني -مؤسسة الأعلمي- بيروت.
٢٠١. عقائد الإمامية -محمد رضا المظفر .
٢٠٢. عقائد الإمامية الاثني عشرية -آية الله السيد إبراهيم الموسوي- الطبعة الخامسة ١٩٨٢.
٢٠٣. عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد - الورداني - عربية للطباعة والنشر-الطبعة: الأولى ١٩٩٥.
٢٠٤. العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي - مكتبة دار ابن حزم -بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٥.
٢٠٥. عقيدة الدروز عرض ونقض -محمد أحمد الخطيب.
٢٠٦. العلامة الحلي-تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث- ترجمة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم.
٢٠٧. علم الأصوات- لكمال بشر- دار غريب.
٢٠٨. علل النحو - لأبي الحسن محمد بن عبد الله الوراق - مكتبة الرشد - الرياض / السعودية الطبعة: الأولى ١٩٩٩.
٢٠٩. علم الدلالة -أحمد مختار عمر- دار العروبة- الكويت- ١٩٨٢م.

٢١٠. علم اللغة العام - لـ دي سوسير - ترجمة يوثيل عزيز - آفاق عربية ١٩٩٥.
٢١١. علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) - السعران - دار النهضة - بيروت.
٢١٢. غريب القرآن - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) - تحقيق: أحمد صقر - دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) ١٩٧٨ م.
٢١٣. الفتاوى الكبرى - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس - تحقيق: حسنين محمد مخلوف - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ.
٢١٤. فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية محمد بن أب القلاوي الشنقيطي) - أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي - مكتبة الأسد - مكة المكرمة - الطبعة: الأولى ٢٠١٠ م.
٢١٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.
٢١٦. فتح القدير - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ) - دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
٢١٧. الفتوى الحموية الكبرى - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ) - تحقيق: محمد بن عبد الحسنة التويجري - الناشر: دار الصميعي - الرياض - الطبعة الثانية ٢٠٠٤ م.
٢١٨. الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية - عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (٥٤٢٩هـ) - دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة: الثانية ١٩٧٧.
٢١٩. فرق الشيعة - حسن للنوختي وسعد القمي - تحقيق عبد المنعم الحفني - دار الرشد - الطبعة الأولى ١٩٩٢.
٢٢٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٤٥٦هـ) - مكتبة الخانجي - القاهرة.
٢٢١. الفصول المختارة - المفيد - تحقيق علي مير شريف - دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت. لبنان. الطبعة الثانية ١٤١٤ هجرية.
٢٢٢. الفصول الغروية - محمد حسين الغروي الاصفهاني، ط/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم.
٢٢٣. الفصول المهمة في أصول الأئمة - للحر العاملي - تحقيق محمد بن محمد الحسين القاني - مؤسسة معارف إسلامية - إمام رضا - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
٢٢٤. الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: ١٣٦٠هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٢٥. في النحو العربي نقد وتوجيه - مهدي المخزومي منشورات المكتبة العصرية بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٤.
٢٢٦. الفهرست - أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (٤٣٨هـ) - المحقق - إبراهيم رمضان - دار المعرفة بيروت - لبنان - الطبعة: الثانية ١٩٩٧ م.
٢٢٧. القاموس المحيط - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ) - تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - الطبعة: الثامنة ٢٠٠٥ م.
٢٢٨. القرآن وإعراجه - إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ) - تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي - عالم الكتب - بيروت - الطبعة: الأولى ١٩٨٨ م.
٢٢٩. قضايا التعدي واللزوم في الدرس النحوي - أبو أوس إبراهيم الشمسان - دار المدني - الطبعة الأولى ١٩٨٧.
٢٣٠. قواعد المرام في علم الكلام - تحقيق: ميثم البحرائي - مكتبة آية الله المرعشي النجفي - قم.



٢٣١. كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني) - أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (٢٨٧هـ) - المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
٢٣٢. الكتاب - عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء - أبو بشر (الملقب سيبويه) ٥١٨٠ - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٨٨ م.
٢٣٣. كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي - لعبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري - تحقيق عبد الله عمر - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م.
٢٣٤. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها - لمكي بن طالب - تحقيق محيي الدين رمضان - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٩٤.
٢٣٥. الكشف الوافي في شرح - الكافي - محمد هادي بن محمد معين الدين الشيرازي - دار الحديث - قم - ١٣٨٨.
٢٣٦. كشاف اصطلاحات العلوم والفنون - للتهانوي - تحقيق لطفي عبد البديع - موسوعة العلوم الإسلامية.
٢٣٧. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ) - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧.
٢٣٨. الكفاية في علم الرواية - أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي - تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني.
٢٣٩. المكتبة العلمية - المدينة المنورة.
٢٤٠. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - أيوب بن موسى الحسيني القرمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (١٠٩٤هـ) - تحقيق عدنان درويش - محمد المصري - مؤسسة الرسالة - بيروت.
٢٤١. الكنى والألقاب للقمي - منشورات مكتبة الصدر - لبنان.
٢٤٢. لباب الإعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب - لعبد الوهاب الشعراوي - تحقيق: مها العسكر ونوال الثنيان.
٢٤٣. اللباب في علوم الكتاب - أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (٧٧٥هـ) - تحقيق عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٩.
٢٤٤. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل - محمد علي السراج - دار الفكر - دمشق - الطبعة: الأولى - ١٩٨٣ م.
٢٤٥. اللامات - للزجاجي - تحقيق مازن مبارك - المطبعة الهاشمية - دمشق ١٩٦٩.
٢٤٦. اللامات - للهروي - بتحقيق يحيى البلداوي - مكتبة الفلاح - الكويت الطبعة الأولى - ١٩٨٠ م.
٢٤٧. لام العاقبة والصيرورة في القرآن الكريم: دراسة لغوية وتحليلية - عز الدين سليمان - مجلة التربية والتعليم - المجلد ١٥ العدد ٢ عام ٢٠٠٨.
٢٤٨. لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٧١١هـ) - دار صادر - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
٢٤٩. لعل في القرآن الكريم: دراسة دلالية - ليوسف الفجالي - مركز بحوث كلية الآداب بجامعة الملك سعود ٢٠٠٦.
٢٥٠. اللغة العربية معناها ومبناها المؤلف - تمام حسان عمر - عالم الكتب - الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
٢٥١. اللغة المؤلف - جوزيف فندريس (Joseph Vendryes) (١٣٨٠هـ) - تعريب: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٥٠ م.
٢٥٢. اللمع في العربية - أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ) - الخقق: فائز فارس - دار الكتب - الثقافية - الكويت.
٢٥٣. مبادئ قواعد اللغة العربية - علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني المعروف بسيد مير شريف (٨١٦هـ) - العرب عن الفارسية: حامد حسين - وضع الحواشي: عبد القادر أحمد عبد القادر - ضبطها: مجاهد صغير أحمد صودهوري - مكتبة الفيصل - شاهي جامع مسجد ماركيت، اندرقلعة، شيتاغونغ - الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.

٢٥٤. الباحث المرضية المتعلقة بـ (من) الشرطية - ابن هشام (٧٦١هـ) - تحقيق مازن المبارك - دار ابن كثير - دمشق / بيروت - الطبعة: الأولى ١٩٨٧.
٢٥٥. مجلة أم القرى - شوال ١٤٢٤ - الجزء ١٦.
٢٥٦. مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث - اللغوي الدكتور رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - الطبعة الثانية - ١٩٨٥.
٢٥٧. مروج الذهب ومعادن الجوهر - لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي - تحقيق: أسعد داغر - دار الهجرة - قم (١٤٠٩هـ).
٢٥٨. الزهر في علوم اللغة وأنواعه - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) - تحقيق فؤاد علي منصور - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٢٥٩. مجلة إسلامية المعرفة - العدد (٨).
٢٦٠. احتساب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ) - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - الطبعة ١٩٩٩م.
٢٦١. الخلى بالآثار - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (٤٥٦هـ) - دار الفكر - بيروت.
٢٦٢. المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها - محمد الأنطاكي - دار الشروق - بيروت - الطبعة الثالثة.
٢٦٣. مختار الصحاح - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (٦٦٦هـ) - المحقق: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا - الطبعة: الخامسة، ١٩٩٩م.
٢٦٤. مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعراب - محمد بن صالح بن محمد العثيمين (١٤٢١هـ) - مكتبة الرشد - الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ.
٢٦٥. مجمل عقائد الشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة - لمدوح الحري مطابع العمرانية - الطبعة الأولى ٢٠٠٩.
٢٦٦. مجمع البيان في تفسير القرآن - أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة: الأولى ٢٠٠٥.
٢٦٧. مجموع الفتاوى - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) - تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٩٩٥م.
٢٦٨. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز - عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٤٢٠هـ) - أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
٢٦٩. احتساب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - ابن جني - تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٩٩٤م.
٢٧٠. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) - ٢٠٠١م.
٢٧١. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة - ناصر بن عبد الله بن علي القفاري - دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨هـ.
٢٧٢. المسائل الإسلامية - محمد الحسني الشيرازي - الطبعة الثامنة والثلاثون ٢٠٠٠م - ٢٧٣٠م.
٢٧٣. المسائل البصريات، أبو علي الفارسي، تحقيق: محمد الشاطر أحمد، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١، ١٩٨٥م.
٢٧٤. المسائل المنتخبة - جواد التبريزي م ٩٨٤.
٢٧٥. مستدرک الوسائل - ميرزا حسين النوري الطبرسي - تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم.
٢٧٦. مستند العروة الوثقى - كتاب الصوم - محاضرات الخوئي - الشيخ مرتضى الروجدي - مرتضى الروجدي الناشر: لطفي - المطبعة: العلمية - قم ١٣٦٤ هـ.

٢٧٧. المستصفى - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٥٠٥هـ) - محمد عبد السلام عبد الشافي - دار الكتب العلمية - الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣.
٢٧٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ) - شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون - مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى (٢٠٠١ م).
٢٧٩. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار - أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (٢٩٢هـ) - تحقيق محفوظ الرحمن زين الله - تحقيق عادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الطبعة الأولى ٢٠٠٩ م.
٢٨٠. مستند الشيعة - لأحمد التراقي - تحقيق وطباعة مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث - قم - الطبعة الأولى ١٤٢٠.
٢٨١. مصباح المنهاج كتاب الخمس - محمد سعيد الطباطبائي الحكيم - دار الهلال - الطبعة الثانية ٢٠٠٧.
٢٨٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (٧٧٠) - المكتبة العلمية - بيروت.
٢٨٣. مع الانفي عشرية في الأصول والفروع - لأحمد السالوس - الطبعة السابعة - مكتبة دار الفرقان بمصر ٣٠٠٣.
٢٨٤. معاني الحروف للرماني - تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلي - دار الشروق الطبعة الثانية ١٩٨١.
٢٨٥. معاني القرآن - للأخفش - تحقيق هدى محمود قراءة - مكتبة الخانجي - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١١.
٢٨٦. معاني القرآن - أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (٥٢٠٧هـ) - تحقيق: أحمد يوسف النجاني / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلي - دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر - الطبعة: الأولى.
٢٨٧. معاني القرآن - أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (٥٣٣٨هـ) - تحقيق: محمد علي الصابوني - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - الطبعة الأولى ١٤٠٩.
٢٨٨. معاني القرآن وإعرابه - إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٣١١هـ) - تحقيق عبد الجليل عبده شلي - عالم الكتب - بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٨ م.
٢٨٩. معاني النحو - فاضل صالح السامرائي - دار الفكر - عمان - الأردن - الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م.
٢٩٠. معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى المؤلف - محمد بن خليفة بن علي التميمي - أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى (١٩٩٩).
٢٩١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ط ١٣٦٤.
٢٩٢. المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) - دار الدعوة.
٢٩٣. مغني اللبيب عن كتب الأعراب - عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (٥٧٦١هـ) - تحقيق مازن المبارك / محمد علي حمد الله - دار الفكر - دمشق - الطبعة السادسة.
٢٩٤. مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (٦٠٦هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٢٩٥. مفاهيم القرآن لجعفر السبحاني - مؤسسة الصادق عليه السلام - مطبعة الاعتماد.
٢٩٦. مفتاح العلوم - يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٩٨٧ م.
٢٩٧. مفردات غريب القرآن - للراغب الأصفهاني - الطبعة الثانية.
٢٩٨. المفصل في صناعة الإعراب - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (٥٣٨هـ) - تحقيق علي بو ملحم - مكتبة الهلال - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٩٩٣.

٢٩٩. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (٥٣٢٤هـ) تحقيق محمد عبد الحميد مكتبة النهضة الإسلامية - الطبعة الثانية ١٣٨٩، وطبعة دار فرانز شتايز - بمدينة فيسبادن (ألمانيا) - الطبعة: الثالثة.
٣٠٠. المقالات والفرق - سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي (٣٠١هـ) - تصحيح وتعليق: محمد جواد مشكور - مركز انتشارات علمي وفرهنكي التابع لوزارة الثقافة والتعليم العالي - طهران - الطبعة الثانية ١٣٦٠هـ.
٣٠١. المقتضب - محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (٢٨٥هـ) - تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة - عالم الكتب. - بيروت.
٣٠٢. معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٩٥هـ) - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - ١٩٧٩م.
٣٠٣. الملل والنحل - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٥٥٤٨هـ) - مؤسسة الحلبي.
٣٠٤. المتع الكبير في التصريف - لابن عصفور الإشبيلي - تحقيق فخر الدين قباوة - مكتبة لبنان - بيروت - طبعة ٢٠١٠.
٣٠٥. مناسك الحج - للسيستاني - الطبعة الأولى ١٤١٣ - ص ١٠٣.
٣٠٦. مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب رشيد الدين أبي عبد الله محمد بن عليّ بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيش السروي المازندراني (٥٨٨هـ) قام بتصحيحه وشرحه لجنة من النجف الأشرف - المكتبة والمطبعة الحيدرية - النجف.
٣٠٧. مناقب عليّ بن أبي طالب (ع) وما نزل من القرآن في علي - لأبي بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني - (410) - جعهورتبه وقدم له عبد الرزاق محمد حسين حوز الدين - دار الحديث - الطبعة الثانية 1424.
٣٠٨. مناهج اللغويين في تقرير العقيدة - محمد عليوم محمد - دار المنهاج - الرياض.
٣٠٩. مناهج المفسرين - منيع بن عبد الحليم محمود (١٤٣٠هـ) - دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت.
٣١٠. من لا يحضره الفقيه - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم - الطبعة الثانية ١٤٠٤.
٣١١. مناهج اللغويين في تقرير العقيدة - محمد الشيخ عليو محمد - مكتبة دار المنهاج - الرياض.
٣١٢. مناهج السُنّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحاراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ) - تحقيق محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة: الأولى ١٩٨٦ م.
٣١٣. منهاج الصالحين - عليّ الحسيني السيستاني - ج ٣ - مسألة ٢٠٥.
٣١٤. منهج الشيعة الاثني عشرية في تفسير القرآن (الطبرسي نموذجاً) - لمجدي الجارحي - الطبعة الأولى ٢٠٠٩.
٣١٥. النية والأمل - للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤١٥هـ) - تحقيق: الدكتور سامي النشار - الدكتور عصام الدين محمد - دار المطبوعات الجامعية - الإسكندرية - ١٩٧٢ م.
٣١٦. الموجز في قواعد اللغة العربية - سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني - دار الفكر - بيروت - لبنان - ٢٠٠٣م.
٣١٧. الموافقات - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (٧٩٠هـ) - تحقيقاً بعبدة مشهور بن حسن آل سلمان - دار ابن عفان - الطبعة الأولى (١٩٩٧م).
٣١٨. موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف - موقع الدرر السنية على الإنترنت.
٣١٩. الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي - منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم.
٣٢٠. النافع يوم الحشر - للحلي - دار الأضواء - بيروت - ١٩٩٦م.
٣٢١. النبوات - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحاراني الحنبلي الدمشقي (٧٢٨هـ) - تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان - أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.

٣٢٢. نتائج الفكر في النّحو -أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السّهيلي (٥٨١ هـ)- دار الكتب العلمية - بيروت والطبعة الأولى: ١٩٩٢ م.
٣٢٣. النحو المصفى - محمد عيد-مكتبة الشباب.
٣٢٤. النحو الوافي - عباس حسن (١٣٩٨ هـ)- دار المعارف\_ الطبعة الخامسة عشرة.
٣٢٥. النصيرية طغاة سورية أو العلويون كما سماهم الفرنسيون- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحاراني الحنبلي الدمشقي- (٧٢٨ هـ)- دار الإفتاء- الرياض- المملكة العربية السعودية.
٣٢٦. نظرية الإمام في ميزان النقد- لحجت الله نيكوئي- ترجمة سعد رستم- طبعة ٢٠٠٩.
٣٢٧. نهاية الأحكام في معرفة الأحكام للحلي - مؤسسة إسماعيليان - قم الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ.
٣٢٨. همع الموامع في شرح جمع الجوامع -عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)-تحقيق عبد الحميد هندراوي -المكتبة التوفيقية.
٣٢٩. وحي القلم- محمد حسين فضل الله - دار الملاك -لبنان- الطبعة الثانية ١٩٩٨.
٣٣٠. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة - تأليف محمد بن الحسن الحر العاملي- تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث -نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ١٤١٤ هـ.
٣٣١. الوصية الكبرى لابن تيمية -مكتبة الصديق- الطائف\_السعودية\_١٩٨٧
٣٣٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان -أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (٥٦٨١ هـ) - المحقق: إحسان عباس - دار صادر - بيروت.